

تأملات تربوية  
في سور من القرآن الكريم  
( الجزء الثاني )

الدكتور  
عثمان قدرى مكانسي



## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة:

ما أروع العيش في ظلال القرآن الكريم !!

تنهل من معينه الادب والاخلاق

وتغوص في معانيه مستنبطاً متذوقاً

تضع يدك على بعض كنوزه ،

ترتوي من ينابيعه الثرة غذاء الروح الذي يخلق بك في سماوات الفهم، وروعة التفكير والتدبر

يأخذ بيدك إلى حدائق رياض فتشعر باقترابك من جنة الرضوان ونعيم الخلود!!!

تخطط بك أنوار الرحمن ، فيأنس قلبك في محرابه ، وترتاح نفسك إلى ضيائه.

تشتاق رؤية الحبيب وصحبه وصالحى المسلمين ،

بل أنت معهم في ضيافة الرحمن ..

وأكرم بصحبة الأخيار في ضيافة الرحمن ..



---

## مع سورة الفاتحة (١)

---

عن أبي هريرة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {الحمد لله رب العالمين} أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني"

وهي الوافية والكافية قرأها رسول الله ثم قال : هي سبعٌ يا أم سلمة . أي سبع آيات وأخرج مسلم والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم عن ابن عباس قال "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضا من السماء من فوق، (جلبة قوية ) فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل ، لم ينزل إلى الأرض قط، قال: فأتى النبيّ فسلم عليه فقال: أبشّر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ من قبلك. فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفا إلا أوتيته". وأخرج أبو عبيدة وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ثلاثين راكبا، فنزلنا بقوم من العرب، فسألناهم أن يضيفونا فأبوا، فلدغ سيدهم فأتونا فقالوا: أفيكم أحدٌ يرقى من العقرب؟ فقلت: نعم أنا. ولكن لا أفعل حتى تعطونا شيئا قالوا: فإننا نعطيكم ثلاثين شاة فقال: فقرأت عليها {الحمد} سبع مرات فبرأ، فلما قبضنا الغنم عرض في أنفسنا منها، فكففنا حتى أتينا النبي، فذكرنا ذلك له قال "أما علمت أنها رقية! اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم".

وأخرج أحمد والبيهقي في شعب الإيمان بسند جيد عن عبد الله بن جابر أن رسول الله قال له "ألا أخبرك بأخير سورة نزلت في القرآن؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: فاتحة الكتاب. وأحسبه قال: فيها شفاء من كل داء".

وأخرج أحمد والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ، قال "كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج". (والخداج النقصان)

عن أبي هريرة قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل "قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرءوا... يقول العبد {الحمد لله رب العالمين} فيقول الله: حمدي عبدي. ويقول العبد {الرحمن

الرحيم} فيقول الله: أثني علي عبدي. ويقول العبد {مالك يوم الدين} فيقول الله مجدي عبدي، ويقول العبد {إياك نعبد وإياك نستعين} فيقول الله: هذا بيني وبين عبدي، أولها لي وآخرها لعبدي وله ما سأل. ويقول العبد {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فيقول الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل". (من الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي)

### يقرأها الإنسان في اليوم عشرات المرات

- يقرأها في الفرض سبع عشرة مرة .
- يقرأها في السنة المؤكدة عشر مرات .
- يقرأها في السنة غير المؤكدة ست مرات .
- يقرأها في النوافل ما شاء الله له أن يقرأها .
- يقرأها في غير الصلوات ما شاء الله له أن يقرأها .

### بسم الله

- كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بسم الله فهو أقطع.
- الاسم من الوسم أو من السمو ، وكلا الأمرين حقيق بالاسم.
- من السمو: ( فع ) ومن الوسم ( عل ) .
- الله : من ( ألّه ) والوزن : ( العال ) ، حذفت فاء الإله. وتصوروا أن الوزن الصرفيّ يدل على العلوّ ( العال )

- الإله من يستحق العبادة فهو الخالق العظيم.

### الرحمن الرحيم

إن جذر كلمتي " الرحمن والرحيم " هو -رحم - ومع ذلك فإن كل واحدة تمتاز بسمات خاصة ، وهذا من جمال اللغة العربية وروعيتها ، ولهذا مدح الله تعالى هذه اللغة مرات عديدة في كتابه الكريم . قال تعالى " نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " وقال " إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون".

فالرحمن : كلمة تدل على القوة والعظمة ، والقدرة والقهر ، والسيطرة والهيمنة . ونجدها تردّ مع

العذاب وتهديد العصي والمشرک وتهديد الکافر ، وترد مع الدعوة إلى الإيمان بالرحمن والسجود له .. مثال ذلك:

وعباد الرحمن الذين یمشون على الأرض هوناً  
إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب  
ومن یعش عن ذکر الرحمن نقیض له شیطاناً فهو له قرین  
أمّن هذا الذي ينصركم من دون الرحمن ؟  
قل : هو الرحمن آمنا به ، وعليه توكلنا .

وهي الكلمة الوحيدة من أسماء الله الحسنى التي تقوم مقام كلمة " الله "

والرحيم : كلمة تدل على اللطف والرحمة ، والعطف والغفران ، والسماح والصفح .. ونجدها في كل الآيات الداعية إلى الإيمان والاستغفار والتوبة ، تردّ مع الحلم والمغفرة والعفو و..... مثال ذلك في الآيات التالية:

فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم  
فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم  
أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم  
واستغفروا ربكم ، ثم توبوا إليه ، إن ربّي رحيم ودود  
إن ربكم لرؤوف رحيم .....  
وقد تردان معاً لتدلا على الأمر كله :

إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم  
والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم

- والملاحظ أن الصفتين حين تجتمعان ترى كلمة الرحمن قبل كلمة الرحيم . فهو الذي يفعل ما يشاء ويقدر عليه ولا يحتاج لأحد ( هو الصمد ) ، وهو رحيم بعباده حين يقبلون عليه سبحانه .

## الحمد لله رب العالمين :

- ال: الحمد ( للاستغراق. ال: الجنس) .. كل الحمد لله تعالى وحده.
- لماذا لا أقول : حمدي لله. ( ابن قيم الجوزية رحمه الله ينبه إلى أن تعظيم الله أن أخاطبه باسم البشرية كلها وأنا واقف أمامه ، وكل منا يستحضر إخوانه ويخاطب ربه بألستهم جميعاً . والدليل على ذلك في هذه السورة مخاطبة العبد ربه بصيغة الجمع ( إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم )
- لماذا لم أقل : أحمد الله رب العالمين. بالفعل المضارع؟ إن الحمد اسم يدل على الثبات واستغراق الأزمنة كلها ، والفعل يدل على الحدوث في الحاضر ، والثبات أقوى من الحدوث وأعم .
- الفرق بين الحمد والشكر :
- الشكر على الخير " وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم.
- الحمد على السراء والضراء ، فهي أعم من الشكر .
- والسور الخمس في القرآن التي بدأت بالحمد هي: (الفاتحة الأنعام الكهف فاطر سبأ) .
- ففي الفاتحة : ( الحمد لله رب العالمين )
- وفي الأنعام ( الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)
- وفي الكهف ( الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً )
- وفي فاطر ( الحمد لله فاطر السماوات والأرض )
- وفي سبأ ( الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير)
- اللام لام الملكية ( لله) فالذي يستحق الحمد هو الله تعالى ، والحمد كله لمولانا.
- ربّ من الربوبية فهو الخالق والرازق والمنعم والمتفضل.
- ومن التربية والتنمية والعطاء .
- ولأنه رب العالمين ( من الربوبية ) . وأغلب الناس حتى الكفار يقرون لله بربوبيته ويعترفون أنه خالقهم ورازقهم والمتفضل عليهم .



- لكنّ المسلمين فقط يقرون له ( بالألوهية ) وأنه وحده يستحق العبادة ، ولا تكون العبادة لله إلا بالطاعة والعمل بشرعه سبحانه ، فنعمل بما أمر و ننتهي عما نهى .

### العالمين :

- أهناك عالم واحد أو أكثر من عالم ، فقد قال : رب العالمين ...
- قد يكون المقصود بالعالمين : عالم الأنس وعالم الجن وعالم الحيوان وعالم الجماد ، وعالم الحركة وعالم السكون.
- وقد يكون المقصود عوالم أخرى غير السموات والأرض . استدلالاً بقوله تعالى في سورة فصلت : ( ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)

- موسى يقول : يارب لو أنهما لم تأتياك طائعتين ما أنت فاعل بهما؟
- قال : أسلط عليهما دابة من دواي فتبتلعهما .
- قال يارب : فأين دابتك؟
- قال: في مرج من مروجي .
- قال : يارب : فأين مروجك ؟ .
- قال : في علم من علمي .
- ( من تفسير القرطبي )
- سبحانه من إله .

- ولا ننسَ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو ذر وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة " ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، و فضلُ العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة"
- ملاحظة: الحلقة: الدائرة . جمعها حلق ، وحلقات.
- والحلقة بفتح اللام: مجموعة الذين حلّقوا الشعر.

- كنت أقرأ في السبعينات من القرن الماضي في مجلة حضارة الإسلام أن قطر السماء الدنيا

سبعون مليار سنة ضوئية ، ونعلم أن سرعة الضوء في الثانية ثلاث مئة ألف كيلو متر فإذا ضربت هذا العدد بستين علمت سرعة الضوء في الدقيقة ،

فإذا ضربت الناتج بستين علمت سرعة الضوء في الساعة ،

فإذا ضربت الناتج بأربعة وعشرين علمت سرعة الضوء في يوم ،

فإذا ضربت الناتج بثلاثمئة وخمسة وستين يوماً علمت سرعة الضوء في سنة ،

واضرب الناتج بعد ذلك بسبعين ملياراً ،

ثم قال العلماء : وقد يكون قطر السماء الدنيا أضعاف ذلك والله أعلم .

- وفي السنة الثانية من هذا القرن قدر العلماء قطر السماء الدنيا بمئة وأربعين مليار سنة ضوئية وقالوا : قد يكون قطرها أضعاف ذلك والله اعلم .

- وفي السنة الخامسة اكتشف العلماء مجرة جديدة قطرها خمسون مليار سنة ضوئية ، ولا ننس المسافة الهائلة بين المجرات وبين كل مجرة ومجرة سديم عظيم من الظلام. ..

- وهذا فقط في السماء الأولى .. فماذا نقول عن السماء الثانية التي تحيط بها ؟ وماذا نقول عن الثالثة التي تحيط بالثانية ؟ ... وعن السابعة التي تحيط بالسادسة ؟

" وما قدروا الله حق قدرة والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه،

سبحانه وتعالى عما يشركون"

فسبحان الخالق العظيم. ... سبحان الخالق العظيم....

### مالك يوم الدين:

- هناك مالك وملك

- قد يملك المالك ولا يحكم .

- وقد يحكم الملك ولا يملك .

- لكن الله مالكٌ يملكُ وملكٌ يحكم .

- يوم الدين : يوم الخضوع لحكم الله تعالى : وسمي المدين هكذا مديناً لأنه يخضع للدائن.

وذلك اليوم ( أطول يوم في الحياة ) مقداره خمسون ألف سنة ( يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر

يومئذ لله .)

- وهذا تنبيه إلى الحساب والعقاب
- وأسلوب فيه ترغيب وترهيب.

### إياك نعبد وإياك نستعين:

- نعبدك ونستعينك غير إياك نعبد وإياك نستعين.
- في الثانية أسلوب القصر، فلا عبادة إلا لله . وليست الأولى كذلك.
- وقدم ضمير النصب المنفصل على الفعل لقصر العبادة والاستعانة على الله تعالى .
- وقدمت العبادة على الاستعانة ، فمن عبد الله حقَّ العبادة لم يستعن بغيره.
- إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله .
- ولا ننس أن العبادة أفراد الله بالطاعة أمراً ونهياً . فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

### اهدنا الصراط المستقيم:

- يأمرنا الله تعالى أن نضرب إليه في الهداية مراراً وتكراراً؟
- والمضحك أن نصرانياً سخر من المسلمين في إحدى غرف (البالتوك) إذ قال : إننا معشر النصارى هادون مهديّون . وأنتم يا مسلمون ضالون مضلون. والدليل على ذلك أنكم تطلبون الهداية بإلحاح في الفاتحة، ولو كنتم تشعرون بالهداية في جوانحكم ما دأبتم على طلب الهداية !.
- فكان جوابي مختصراً: إن الهداية في أمور عدة وهي مطلوبة باستمرار ما دمنا على

### أ- قيد الحياة ..

ملاحظة: القيد: بفتح القاف - ما يكبل به ويُقيّد.

والقيد بكسر القاف : القدر : قيد أمثلة ( قدر)

١- فالهداية إيمان بالله لا ينقطع ،

٢- وطلب من الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا فالإيمان يزيد بالتقوى ، وينقص بالخطايا ،

والقلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ،

٣- ونحن ندعو بدعاء نبينا صلى الله عليه وسلم " يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا

على دينك" .

٤-ومن معاني الهداية أن نعمل بمقتضى الإيمان عبادة وسلوكاً فلا إيمان بلا عمل ولا عمل بغير الإيمان.

٥-وفي الغرّة نسأل الله أن يثبتنا على الإسلام .

### ب بعد الموت ..

١-تكون الهداية بالثبات في سؤال القبر عن الإيمان بالله تعالى والإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

٢-ثم بالبعث مطمئنين إلى عفو الله الكريم حيث لا شمس ولا قمر وإنما لكل إنسان نور منبعث منه حسب قوة إيمانه في ظلام البعث والنشور ، قال تعالى: " يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا ، واغفر لنا ، إنك على كل شيء قدير."

٣-ويقول " يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك الفوز العظيم . يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً . فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ينادونهم : ألم نكن معكم ؟! قالوا بلى ، ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم ، وغرتكم الأماني حتى جاء أمرُ الله ، وغرکم بالله العُور.

ملاحظة: الظرف : يوم: يستحضر الصورة من المستقبل إلى الحاضر وكأنها رأي العين ، للترغيب والترهيب ، ومثال ذلك قوله تعالى:

" يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم"

"يوم نقول لجهنم : هل امتلأت، وتقول : هل من مزيد؟"

" يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا ..."

٤-ومن الهداية أن يستظل المرء بظل عرش الرحمن في ذلك اليوم الطويل حين ترسل الشمس قريبة من رؤوس الخلائق،

٥-ومن الهداية ذلك اليوم أن يأخذ المرء كتابه يمينه فيفوز فوزاً عظيماً ويحاسب حساباً يسيراً.

ملاحظة: كنت أتساءل : كيف يستطيع المرء حمل كتبه وهي من الضخامة بمكان؟! حتى جاء يوم رأينا فيه ( الفلاش ميموري والسيديات تحمل مكينات ضخمة برقائيق بسيطة ، وهذا اكتشاف المخلوق ، فكيف بعظمة الخالق؟!)

٦-ومن الهداية في ذلك اليوم أن تكون حسناته بفضل الله أكثر من سيئاته فينجو من النار .  
٧-ومن الهداية أن يجوز الصراط المستقيم فينجو من السقوط في جهنم بفضل الله سبحانه .  
٨-وأعظم هداية في الحياة كلها أن يفوز بجنة عرضها السموات والأرض وأن يحظى برؤية وجه الله الكريم سبحانه ..

اللهم بلغنا ذلك يارب العالمين .

### صراط الذين أنعمت عليهم :

- تعريف بالصراط الذي ينشده المسلم :
- هو الصراط المستقيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.
- إن الذين نالوا النعمة هم المؤمنون الموحدون
- والله تعالى هو الذي أنعم علينا بنور التوحيد ، ولولا الله ما هتدينا ولا صمنا ولا صلينا .
- ولا يدخل أحد الجنة بعمله حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر الحديث الشريف " ما منكم من أحد ينجيهِ عمله ، قالوا : و لا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته.
- ولم يقل (غير الذين غضبت عليهم ) تأدباً مع الله تعالى ، فلا ينسب الخير إلا إليه ، فقال: ( أنعمت عليهم) ولم يقل ( غضبت عليهم) .
- ومن هذا الأدب قوله تعالى( وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ) والذي يريد الأمرين هو الله تعالى ، ولكن دُكرت إرادة الشر بضمير الغائب وذكر الخير بالفعل المبني للمعلوم.

- وفي قصة موسى مع الخضر ( الرجل الصالح ) نجده يقول ( وما فعلته عن أمري ) مع أنه نسب القتل لنفسه والإبدال لله ، وقال ( فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ) فنسب الخير إلى الله تعالى ، مع أنه قال في نهاية الحديث : " وما فعلته عن أمري " فنبهنا إلى أن كل شيء بأمر الله ، وهذا أدب رائع للعبد مع الله تعالى .

### غير المغضوب عليهم:

- من رضي الله عنه وأيده كان الجميع معه واقراً معي قوله تعالى ( وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير ) ولن يحتاج الله سبحانه لمؤيد وظهير ، إنما هو متابعة لما يريد الله تعالى من إعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم . ومثاله كذلك قوله تعالى : " من كان عدواً لله وملائكته وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين " وكان يكفي أن يصل المعنى " من كان عدواً لله ... " ولكن جميع عباد الله يسلمون أمرهم لله ويرون أنفسهم عباداً لله يمشون كما يأمر ويريد ويرضى .

- إن في المبني للمجهول تهويلاً على من غضب الله عليه وكرهه .

### غير المغضوب عليهم ولا الضالين:

- الضال من حاد عن درب الهداية وفقد البوصلة فتاة في سراديب الكفر والضلال . ومنهم

النصارى

- المغضوب عليه من خالف الحق وهو يعلمه ورضي الكفر وهو يستسيغه ، وهؤلاء اليهود عرفوا وأصروا على الكفر .

- وعلى هذا كان النصارى ضالين وكان اليهود مغضوباً عليهم .

- من هنا نفهم في آيتي الملائكة لماذا لعن من رمى زوجته بالزنى وهو كاذب وغضب الله على المرأة التي ألحقت بزوجها ولداً من الزنى ليس هو أباه ، فهي تعلم أبا الطفل فطمست الحقيقة . " والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء ... والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين " ويدراً عنها العذاب أن تشهد .... والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . فكانت اللعنة له والغضب عليها .

بقي أن نقول : إن في فاتحة الكتاب أركانَ الإيمان :

- بالله تعالى وقد ذكر الله تعالى باسمه وبصفات أخرى في هذه السورة ، فهو الله الرحمن الرحيم ، الرب ، مالك يوم الدين.

- باليوم الآخر: في قوله مالك يوم الدين، فإنه نُقلب وهو يوم الحساب الذي لا بد من حصوله.

- بالرسول: من الذي عرفنا بالله تعالى وأوصل إلينا هذا الدين كاملاً وشهدنا له بالصدق

- بالملائكة: ومن الذي كان الصلة بين الخالق عز وجل وبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم: إنه جبريل عليه السلام

- بالكتب: وما هذه السورة التي قرأناها وعشنا في ظلالها إلا سورة كريمة في كتاب ربنا سبحانه والإيمان بها يستدعي الإيمان بالكتاب الكريم الذي نزلت في ثنياه .

اللهم علمنا التأويل وفقهنا بدينك الرائع المبين

#### وقفة في: (الصراط المستقيم) (٢)

قرأ الجمهور " اهدنا الصراط المستقيم " بالصاد وقرأ السراط وقرأ بالزاي قال الفراء وهي لغة بني عذرة وبني كلب . وكان الثناء على المسئول تبارك وتعالى تقدّم في سورة الفاتحة ، وهذا الثناء المتقدم يسبق السؤال ، فقد ذكر المولى تعالى " فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبي ما سأل " .

ومن أكمل أحوال السائل أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله : " اهدنا الصراط المستقيم " لأنه أنجح للحاجة وأنجح للإجابة وقد أرشد الله إليه لأنه الأكمل .

١- وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى عليه السلام " رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير "

٢- وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسئول كقول ذي النون " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين "

٣- وقد يكون بمجرد الثناء على المسئول كقول الشاعر :

أذكر حاجتي أم قد كفاني      حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أتى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

والهداية ههنا الإرشاد والتوفيق وقد تُعدى الهداية بنفسها كما هنا "اهدنا الصراط المستقيم" فأخذت مفعولاً به مباشراً، فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا أو ارزقنا أو اعطنا "وهديناه النجدين" أي بينا له الخير والشر

أ- وقد تُعدى بإلى إضافة إلى المفعول الأول كقوله تعالى : "اجتبه وهداه إلى صراط مستقيم" "فاهدوهم إلى صراط الجحيم" وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة وكذلك قوله : "وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم" وفي هذه الآية حذف المفعول الأول للعلم به.

ب- وقد تُعدى باللام كقول أهل الجنة "الحمد لله الذي هدانا لهذا" أي وفقنا لهذا وجعلنا له أهلاً.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وذلك في لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر. قال الإمام بن جرير: ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل ووصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه .

أما الصراط فقد اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسيره وإن كان يرجع معناها إلى شيء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروي :

١- أنه كتاب الله . فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الصراط المستقيم كتاب الله" وقد تقدم في فضائل القرآن موقوفاً على علي رضي الله عنه .

٢- وقيل هو الإسلام . قال ابن عباس : قال جبريل لمحمد عليهما السلام "قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم" يقول ألهمنا الطريق الهادي وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله تعالى : "اهدنا الصراط المستقيم" قال ذاك الإسلام وقال إسماعيل بن عبد



الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي "اهدنا الصراط المستقيم" قالوا هو الإسلام وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر اهدنا الصراط المستقيم قال هو الإسلام أوسع مما بين السماء والأرض . وقال ابن الحنفية في قوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " قال هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال هو الإسلام . وعن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه - فإنك إن تفتحه تلجه - فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم " . وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد به . ورواه الترمذي والنسائي جميعا عن علي بن حجر عن بقية عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفيير عن النواس بن سمعان به . وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم .

٣- وقال مجاهد " اهدنا الصراط المستقيم " قال الحق وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم .  
٤- وعن أبي العالية " اهدنا الصراط المستقيم " قال هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده قال عاصم فذكرنا ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح .

وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة فإن من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى بالذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا والله الحمد .

ويقول الإمام الطبري رحمه الله: " اهدنا الصراط المستقيم " - معناه: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام

وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهاج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم. " فإن قيل " فكيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك ؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟ فالجواب أنّ العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمدّه بالمعونة والثبات والتوفيق فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار وقد قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل " الآية فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك .

وقال تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يقولوا " ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب " وقد كان الصديق رضي الله عنه يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرا فمعنى قوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " استمرّ بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره ، والله أعلم.



## في محراب موسى عليه السلام ( ١ )

- ١- أَلْقِيَ موسى في التابوت خوفاً أن يقتله فرعون ... وحملته أمواج النهر إلى قصر فرعون ليعيش في حمايته وأكنافه .
- ٢- لم يدّخر فرعون وسعه في الحفاظ على ملكه ، فبدأ يقتل الأطفال تحسباً لكل طارئ ، وظن أنه قضى على غريمه أو كاد ، ولم يكن يدري أن قضاء الله يكمن في قصره .
- ٣- قد يأتي الأمان من قلب الخوف : "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه ... إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ... ووعّد بعودته إلى أمه آمناً ، ووعّد لها أن يكون رسولاً ، فعرفت أن لابنها شأنًا عظيمًا في النبوة ، فلا بدّ إذاً أن يحفظه الله ليكبر ويصبح نبياً رسولاً .
- ٤- أغلب الظنّ أن أم موسى أخبرت ابنها أن الله أوحى إليها أنه سيكون نبياً رسولاً . وربّته على الإيمان والتوحيد . ليكمل المهمة حين يستوي عوده .
- ٥- أمرها الله تعالى أن ترضعه قبل إلقائه في اليمّ ليتعرف عليها من بين عشرات المرضعات ، فكان للرضعة الاولى بصمة اللقاء المرتقب .
- ٦- لا بأس من الخوف فهو سمة إنسانية ، على أن لا يشل التفكير ولا الحركة ، وهذا لا يتأتّى إلا بتقوية الإيمان وتثبيته في القلب . " وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إنّ كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين " .
- ٧- متابعة الأمر وقوة الإيمان والرضا بالقدر يوصل للهدف : "وقالت لأخته قُصّيه" فلا ينبغي التهاون في العمل . فعلى الرغم ان الله تعالى وعدها بإعادته إليها أمرت أخته أن تتابع مسيره في الماء والمكان الذي قد يقف عنده
- ٨- حسنُ التصرف والذكاء وسرعة البديهة مطلوبان فيمن يوكل بمهمة ما ، فقد تدخلت الأخت في الوقت المناسب للدلالة على أمها مرضعةً مباركة مع التعليل الذكي المرضي والمقنع " ... وهم له ناصحون " في الوقت الذي احتارت فيه زوجة فرعون في تأمين الموضع المناسبة .
- ٩- وعّد الله حق لا مرأ فيه ، هذا عند صاحب القلب المؤمن الذي يعلم أن ما قدّره الله

كائن، فيرتاح إلى قضاء الله وتخطيطه " ولتعلم أن وعد الله حق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون " وسبب الجهل بهذه الحقيقة بعد الناس عن الله .

١٠- في قصة يوسف عليه السلام نقرأ قوله تعالى " ولما بلغ أشده آتيناها حكماً وعلماً " وفي قصة

موسى نجد كلمة " استوى " بعد كلمة " أشدّه " للدلالة أن يوسف نال النبوة فتى،

أما موسى فقد نالها شاباً بعد أن استوى ونضج. وقد وصف الله النبيين كليهما بصفة الإحسان. فما

ينال الخير الصراح إلا من وصل في إيمانه درجة المحسن.

١١- ما دخل موسى المدينة على حين غفلة من أهلها إلا لأنه كان مطروداً من قصر فرعون حين

رفض عبادته وأعلن عبوديته لله ، وتابعه رجال الأمن خوف أن يلتقي بالناس فيؤثر في أفكارهم

واعتقادهم. وهذا دأب الطغاة في كل زمان ومكان.

١٢- والداعية المؤمن يغتنم الفرص لإيصال الخير إلى الناس كلما سنحت له الفرصة ، ولا ننسى

أن زكريا عليه السلام حين حملت زوجته فحقت صوته ثلاثة أيام كان يدعو الناس إلى التسبيح والذكر

بالإشارة إذ كان صوته حبيساً .

١٣- مساعدة الضعفاء وإغاثة اللهفان واجب الجميع وخاصة القوي المتمكن حين يقع الظلم

عليهم، ولكن بطريقة واعية مدروسة لا تترك أثراً سلبياً على أيٍّ من الطرفين المتنازعين.

١٤- الفيئ إلى الحق والاعتراف بالخطأ فضيلة المسلم الذي إن زلّ عاد إلى الصواب واستغفر الله

وأصلح زلته ، فلما وكز موسى القبطي قتله دون ان يقصد ذلك فاستغفر ربه مقرأ بخطئه ،وعلم الله

تعالى فيه الندم الصادق فغفر له.

١٥- إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق ، يهيّجه ويدعوه لكل مساءة ، فإذا

زل أحدنا أو أخطأ ذكر الله وتاب وأناب، وعاهد الله أن لا يعود لزلته واجتهد في ذلك ، فإن عاد

لضعفه واجترح خطيئة كان الاستغفار ديدنه والندم رفيقه والإقلاع عن الذنب هدفه.

١٦- بعض المفسرين يقولون : لم يكن موسى إذ ذاك نبياً ، فكيف عرف أن الله تعالى غفر له؟ "

فغفر له إنه هو الغفور الرحيم" فالقول الاول أنه كان من " المحدثين " تحدّثه الملائكة ، وكان هذا الأمر

شائعاً في الصالحين من الأمم قبلنا ، وليس في المسلمين " محدّث " . أكدّه النبي صلى الله عليه وسلم في

الحديث الشريف الذي روته عائشة رضي الله عنها " قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون فإن يك في أمتي أحد منهم فهو عمر بن الخطاب " المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: ٤٣٧٧ وبعضهم يقول إنه كان نبياً بدليل قوله تعالى : " ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً ، وكذلك نجزي المحسنين ، ولم يكن رسولاً ، وصار رسولاً حين كلمه رب العزة وموسى عائد من فلسطين .. وأنا أميل إلى هذا القول لوجهاته وما فيه من قوة الدليل.

١٧- يستعطف القبطي الثاني - على ظلمه - موسى حين رأى قوته وعلم أنه قتل قبطياً بالأمس، ويصف موسى بالجبروت والبعد عن الإصلاح ، وتناسى أنه ألجأ موسى إلى مساعدة اليهودي لأن القبطي يصر على استخدامه دون وجه حق. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يصور الإنسان راغباً بمصلحته دون مصالح الآخرين ، ويرى عيوبهم دون عيبه فيقول " يرى أحكم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه"

١٨- المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يسلمه ولا يحقره ، فهذا الرجل الصالح من الأقباط ومن آل بيت فرعون يرى قومه يأتمرون لقتل موسى فينطلق إليه مسرعاً يحذره ، ويطلب إليه أن ينجو نفسه، ولو استطاع أن يدافع عنه لفعل ، ويفعل المرء ما يقدر عليه ويحسنه.

١٩- اللجوء إلى الله تعالى دأب المسلم ووسيلته في النجاة ، كما أنه يتخذ قراره السليم المناسب إما المواجهة وإما الإدارة وإما التواري حتى حين ، فلا يجوز وهو في موقف ضعيف أن يستأسر ويتهاون، ينطلق موسى بعيداً عن سلطان الظالم إلى مدينة آمنة إلى أن ييسر له الله تعالى عودة آمنة ونصراً مؤزراً.

٢٠- يصل موسى إلى المأمن القريب - مدين - جائعاً متعباً فريداً فارق الأهل والوطن ، يسأل الله التوفيق والهداية ، ولن يُضَيِّعه الله ، لأنه العبد الملتزم والمسلم المطيع، ولعل الله يُسَخِّر له أمراً يعبر منه إلى بر الأمان، وشاطئ السلامة.

٢١- المروءة التي يتحلى بها المرء باب إلى كل خير، وسلّم إلى المجد . والمسلم - وهو في حالة التعب والإرهاق والجوع- يأبى التغاضي عن سلبية تخدش مروءته ، ولئن رأى موسى بعض الرعاة يستأثرون بالماء دون امرأتين شريفتين ضعيفتين تذودان أغنامهما إنه لبيذل جهده في خدمتهما دون أن تطلباً مساعدته ، ولن تفعل ، فهو غريب ، وقد يكون أنانياً على شاكلة الرعاة. هكذا ظننا ، ولعلهما

لم تراه ابتداءً.

٢٢- يسألها بأدب عن حالهما فتجيبانه باختصار غير مُخِلٍّ " لا نسقي حتى يُصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير " فليس لهما إخوة ذكور يرعون الماشية، وأبوهما كبير ضعيف ، ولا قدرة له على استئجار الرعاة ، فلا بد أن تقوموا بالعمل، والشريفة تتحمل التأخر حتى المساء ، والعمل بجهد مُضنٍ على أن تفتح باباً ينفذ منه أولو النفوس المريضة.

٢٣- يسقي لهما دون أن يكلمهما ، ويأوي إلى ظل شجرة ، يستريح تحتها من وعشاء السفر، وتعودان مبكرتين - أو قل - في وقت مريح على غير الزمن الذي اعتاد أبوهما أن يراها عائدتين فيه ويلجأ الشاب المؤمن إلى ربه يستغيثه " ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير " ، ولا ملجأ إلى الله في كل آن.

٢٤- ويأتيه المدد ، ويلوح له الفرج ، فقد أخذ بالسبب إذ سقى للمرأتين ، وحين أخبرتا أباهما بما رأتا من حاله علم أنه غريب فأرسل إحدى ابنتيه إليه يستزيه، ولعله يستخدمه في رعي الماشية فتستريح ابتناه، فالمرأة للبيت والرجل للسعي والعمل خارج البيت.

٢٥- حياء الفتاة واضح في مشيتها نحوه، وليست هي الداعية إنما هو أبوها الذي أراد أن يجزيه أجر ما سقى لهما، وحرّيّ به أن يجيب دعوة الرجل.. ويكون بينهما حديث مستفيض ليس فيه سرٌّ يخفيه " قصّ عليه القصص " والقصص بفتح الصاد ( القصة من أولها إلى آخرها ) ، فقد رأى موسى في الرجل سمات النبل والأخلاق وحسن الضيافة . والمصارحة سبيل الثقة والأمان، فنسمع كلمتين خفيفتين في اللفظ مليّتي المعنى " لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين."

٢٦- التقيا قلباً وحاجة ، فجمعهما الإيمان بالله والأخوة فيه ، وحاجة موسى للاستقرار والزواج والعمل، وحاجة الرجل الكبير لشاب أمين قوي يعتمد عليه في تحمل مسؤولية العمل ، ورأى كل منهما في الآخر مبتغاه .

٢٧- يختار الرجل لابنته الزوج الصالح كما يختار لولده الزوجة الصالحة سواء بسواء، فهو حريص على سعادة ابنته، ويرتاح أن يصطفي لها من يضمها إليه بحب وحنان ورجولة . والعاقل من يختار ذا الخلق والدين " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه .... " ويتزوج موسى إحدى ابنتيه فيكون

واحدًا من أسرته.

٢٨- أما المهر الذي دفعه موسى على مدى ثمانية أعوام - وإن جعلها موسى عشرة - فالعمل في خدمة الأسرة الكبيرة " إني أريد ان أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج " كان الرجل يود أن يكون المهر عشر سنوات لكنّه طلب ثمانية لأنه يعلم أن حب الوطن كبير ، وأن المرء حين يُمكن له العودة إلى وطنه ثم يجد عائقاً يتألم ، وقد يضعف عمله تبعاً لحالته النفسية " فإن أتممتَ عشرًا فمن عندك " فلم كان هذا التخيير؟

٢٩- حين يهرب الجاني خارج سيطرة الحاكم - في قانون فرعون - ثماني سنوات يسقط الحكم عليه بسبب التقادم فإن عاد فهو حرًا، والشيخ حريص على أن يعود موسى إلى وطنه وأهله في الوقت المناسب ، فالغربة قاتلة ، والغريب سجين في غربته وإن كان حرًا . لكنّ موسى أكمل السنوات العشر ، وهكذا الانبياء والدعاة ، يحبون الكمال.

٣٠- فماذا تقول في فراعين العصر الذين يبطشون ويقتلون ويدمرون، ولا تعرف الرحمة سبيلاً إلى قلوبهم السوداء المربدة؟ يحكمون على المسلم بالظن ، ويطاردونه عشرات السنين في كل أصقاع العالم، ويضيقون عليه في الحركة والرزق والاتصال، ويؤذونه في أهله وأقاربه وماله؟!



رأى موسى عليه السلام قبطياً وإسرائيلياً يقتتلان حين دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فاستغاثه الإسرائيلي - وكان أقباط مصر إذ ذاك يستذلّون اليهود - فما كان من موسى عليه السلام - وهو شاب قويّ - إلا أن وكز القبطي فمات على فوره ، ولم يكن موسى عليه السلام يريد قتله ، لكنّ وكزته القوية كانت السبب في انتهاء أجله ،

شعر موسى الكريم بالحزن والأسى لأمر لم يكن يقصده ، إنه أراد أن يمنع أذى القبطي المعتدي عن الإسرائيلي ليس غير، فوجد نفسه يقتله ، فأقر أن هذا التسرع من عمل الشيطان عدوّ البشرية ، فهو يهيج في الإنسان غضبه فيفقد السيطرة على نفسه فيرتكب أخطاءه

" قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوّ مضل مبين "

فاستغفر ربّه نادماً من فعلته العفوية هذه:

" قال ربي اغفر لي "

قالها مخلصاً في دعائه واسفه ، وتوجه إليه سبحانه أن يقلل عثرته ويغفر ذنبه فجاءه الفضل من ربه سريعاً

" فغفر له إنه هو الغفور الرحيم. "

إن صاحب القلب المتصل بالله إن يخطئ فيتّب يقبل الله توبته ويقلّ عثرته ، ويستشعر موسى فضل الله عليه فيعاهده تعالى أن لا يكون ظهيراً للمجرمين ، وأن يكون معيناً للمظلومين ، " قال ربّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين. "

عدت إلى التفاسير أستجلي الطريقة التي علم فيها موسى عليه السلام أن الله تعالى قد غفر له ، فوجدتها في أكثر من جواب:

أولها : أن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن في الأمم قبلنا رجالاً صالحين كانت الملائكة تحدثهم وتسدد خطاهم وتؤانسهم أما في أمتنا فليس فيها هذا الصنف . والسبب في ذلك أن الإسلام دين كامل أتمه الله علينا " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي رضى لكم الإسلام



ديناً " فلا مجال مطلقاً لزيادة المتخترعين ، وكذب المدّعين ،

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما ترويه السيدة عائشة رضي الله عنها:

" قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون فإن يك في أمتي أحد منهم فهو عمر بن

الخطاب " صحيح الجامع للألباني الصفحة أو الرقم: ٤٣٧٧

وعلى هذا فلا نقبل دجالين يقولون : حدثني قلبي عن ربي ، ويعتبر نفسه موصولاً بالله يتلقى الوحي

عنه بقلبه الطاهر !!! ويتقول على الله الأقاويل ، فيفتن الناس ويدلّس عليهم دينهم.

ومن الأحاديث التي رأينا الرجل ممن قبلنا يسمع الملائكة تتحدث ما جاء في الحديث الذي رواه أبو

هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بينا رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في

سحابة : اسق حديقة فلان . فتنحى ذلك السحاب . فأفرغ ماءه في حرة . فإذا شجرة من تلك الشراج قد

استوعبت ذلك الماء كله . فتتبع الماء . فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته . فقال له : يا

عبدالله! ما اسمك ؟ قال : فلان . للاسم الذي سمع في السحابة . فقال له : يا عبدالله ! لم تسألني عن

اسمي؟ فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان . لاسمك . فما

تصنع فيها ؟ قال : أما إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها ، فأصدق بثلثه ، وأكل أنا وعتالي ثلثاً،

وأرد فيها ثلثه " رواه مسلم.

فعرف الرجل سبب إكرام الله تعالى لهذا المزارع المؤمن الذي يتصدق بثلث ماله على الفقراء ،

ومن الأحاديث التي تظهر الملائكة تكلم المسلم فيما قبلنا ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال:

" زار رجل أخاه في قرية ، فأرصد الله له ملكاً على مدرجته ، قال : أين تريد ؟ قال : أخا لي في

هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة تربها ؟ قال : لا ، إني أحبه في الله قال : فإني رسول الله إليك؛

إن الله أحبك كما أحببته"

أما موسى عليه السلام فقد يكون أفضل المحدثين الذين كانت الملائكة تكلمهم وتسدد خطاهم ،

سيّما أن الله تعالى هيّأه ليكون من الرسل أولي العزم . فعلم أن الله تعالى غفر له لحديث الملائكة إياه صلى

الله وسلم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

ثانيها : أنه صار نبياً - لا رسولاً- وهو شابٌ قبل هروبه إلى مدينَ، فقد قال الله تعالى في سورة القصص: " ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين "وقد قال سبحانه في حق يوسف عليه السلام : ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً " فيوسف عليه السلام صار نبياً حين بلغ مبلغ الرجال - صار أهلاً للزواج في سن الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة ، أما موسى فازاد كلمة ( استوى ) ، فنقول : لعله صار نبياً في العشرين أو أكثر بقليل . وهذا ما أراه مناسباً واقرب إلى الصواب ، إن لم يكن الصواب عينه.

لقد كان موسى وهو فتى ثم شابٌ ثم رجل يعلم أنه سيكون نبياً رسولاً وأن الله تعالى رباه على عينه ، واصطفاه لنفسه

" ولتُصنع على عيني " واصطفيتك لنفسي . "

وقد يتساءل أحدهم كيف يعلم الأمر ولم يصِرْ نبياً بعدُ ؟ فالجواب أن أمه كانت تعلم منذ ولادته أنه سيكون رسولاً وقبل أن ترضعه الرضعة الأولى إذ أوحى الله إليها ذلك الأمر فيما نقرؤه في بداية سورة القصص:

" وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمِّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين "

فقد وعدّها سبحانه أن يعيد رضيعها إليها وأخبرها أن ابنها سيكون ذا شأن في المستقبل ، إنه سوف يكون رسولاً. ولا شكّ أنّها أخبرته أنه سيكون نبياً ورسولاً ، ورثته على الإيمان وهيأته ليكون ذاك النبي العظيم.

ثالثها : أنه صار رسولاً في عودته إلى أهله بعد غياب عشر سنوات أمضاها في الغربة يعمل راعياً عند الرجل الصالح في مدين ، وبعد أن صار حراً لغيابه أكثر من ثماني سنوات أمضاها بعيداً عن سجن فرعون أو النجاة من القتل . وكلمه الله تعالى في سيناء قرب الشجرة وتوجّه رسولاً إلى بني إسرائيل وإلى فرعون نفسه.

والرسالة درجة أعلى من النبوة ففيها بالإضافة إلى الدعوة رسالة جديدة وكتاب منزّل يخص الرسول نفسه والله اعلم.

---

## (ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي)

---

كلمة قالها سيدنا موسى عليه السلام حين أمر قومه بقتال الكفار ، فخافوهم وأبوا القتال ، فلما ذكّرهم بأمر الله تعالى فجروا وقالوا كلمة العناد والكفر " اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون " كلمة تدل على استهتار وقلة أدب ، أما ما قاله الصحابيّان الجليلان سعد والمقداد في غزوة بدر فدليل على صدق إيمان أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعميق فهمهما للرسالة ، رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم ، وحشرنا معهم في زمرة الحبيب المصطفى .

فمن أطاعك وصدّقك اتبعك ولزمك ، فكأنك ملكته ، وهذا لا يكون منه إلا حين يجد فيك أسوة حسنة وقدوة صالحة ، ويكون هو من أصحاب القلوب الصادقة والعقول الواعية ، ولو لم يكن الداعية والمدعُو كذلك فلن يطيعك ، فهو إذ ذاك يمنع أن يطيع ويتبع على الرغم أنه يرى الحق عياناً والصدق وضوحاً لا لبس فيه .

قال بعضهم : في قوله " إني لا أملك إلا نفسي وأخي " : أنا أملك نفسي عن هواها ، وأخي يملك نفسه عن هواه ، فاجتمعنا على الحق ، فأسلس قياده لي . وهذا معنى جميل يدعم المعنى الأول ويعضده . فلماذا قال سيدنا موسى : " فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين " ؟

وبأي وجه سأله الفرق بينه وبين هؤلاء القوم ؟ ففيه — كما قال القرطبي رحمه الله تعالى — جوابان ؛ الأول : بما يدل على بعدهم عن الحق ، وذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا من العصيان ؛ ولذلك ألقوا في التيه .

الثاني : بطلب التمييز عن جماعتهم وجملتهم ، فقد طلب النبيان الكريمان أن لا يلحقهما بهم في العقاب ، وكأن موسى وهارون سألا ربهما تعالى قائليّن : فاقض بيننا وبينهم بعصمتك إيانا من العصيان الذي ابتليتهم به ، وقد يكون طلب الفراق بينهما وبين قومهما في الدنيا وقيل : إنما أرادا في الآخرة ، أي اجعلنا في الجنة ولا تجعلنا معهم في النار .

ومن المؤلم للداعية أن يرى قومه لا يستجيبون إلا بمقدار ما يعجبهم ، أو يعاندون في الأمور البديهية ، أو يميلون عن الحق وهم يعرفونه .

فلما طلبا ذلك أجاب تعالى سريعاً - والدليل على السرعة فاء الترتيب و التعقيب - ، وهذا دليل على غضب الله تعالى على من يعصي أمره ويخالف تعاليم نبيه " فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين " فقد كانت الثمرة ( القدس الشريف ) بين أيديهم ، وعلى مرمى سهم منهم ، فحرمها الله تعالى بمخالفتهم أربعين سنة ، وكلمة السنة غير كلمة العام ، إن كلمة السنة تدل على الحياة القاسية والشح في الموارد ، والظنك في المعيشة والدليل على ذلك قوله تعالى " فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً " لقد عاش نوح عليه السلام تسع مئة وخمسين سنة يلقي فيها الصّدّ والعناد فدعا ربه " أني مغلوب فانتصر " وجاء الخير في الأعوام التالية الخمسين وما تلاها من أعوام طيبة بعد انتهاء الطوفان . استجاب الله دعاءه وعاقبهم في التيه أربعين سنة ، وأصل التيه في اللغة الحيرة ؛ يقال : تاه يتيه تيتها وتوها إذا تحير . وتيهته وتوهته بالياء والواو ، والياء أكثر ، والأرض التيهاء التي لا يهتدى فيها ، فلم يخرجوا من تيه المكان وتيه الضلال حتى مضت أربعون سنة مات فيها الكثير منهم .

قال القرطبي: واختلف هل كان معهم موسى وهارون ؟ فقليل : لا ؛ لأن التيه عقوبة ، وما كان النبيان الكريمان موسى وهارون ليعاقبا . وكانت سنيّ التيه بعدد أيام العجل ، فقبلوا على كل يوم سنة . لا ننس أنهما دعوا ربهما : " فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين " ، وقيل : بل كانا معهم ، لكن سهل الله الأمر عليهما كما جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم ، فكانا يشعران بمعية الله تعالى فيرتاح قلباهما لهذه المعية الجليلة والنعمة العظيمة .

ومعنى " محرمة " أي أنهم ممنوعون من دخول الأرض المقدسة ، كما يقال : حرم الله وجهك على النار ، وحرمت عليك دخول الدار ، ولن ندخل في تفريع الفقهاء من أن هذا التحريم كان تحريم منع أو تحريم شرع أو تحريم تعبّد ، فالأمر الذي يعيننا أن هؤلاء اليهود تاهوا عن الوصول إلى دخول الأرض المقدسة وامتنعوا عنها أربعين سنة ، وكأنهم بدو رُحّل يطوفون حول هدفهم فلا يصلون إليه ولا يقدرّون عليه ، ولا يهتدون إليه .

ولا يظنّ أحد أنهم هذه الأيام مهتدون . إنهم يتخبطون تخبط من يعلم أنه سيغرق بعد حين في وحل الموت ، ولكنّ التكبر المتأصل فيهم والعناد المستحكم بنفوسهم سيرديهم بعد حين ، ولن ينفعهم أحد بعد ذلك ، وسيقول الخونة والعملاء الذين باعوا لهم أنفسهم ما قاله المخدوعون بقارون وغناه كلمة " وي "

ولن ينفعهم اعتذارهم هذا ، فهم وأسيادهم ماضون إلى هلاك محقق .

فلما قضوا ومات أكثرهم في هذا التيه بسبب ذلهم وخوفهم واستكبارهم عن الجهاد الذي هو فريضة مهمة من تركها خاب وخسر ، وذلّ وامتهن - وهذا هو حالنا اليوم مع الأسف لابتعادنا عن شرع ربنا - دخلها أولادهم الذين تربّوا على الحرية والأمان والقوّة ، ولم يبق منهم إلا يوشع ، فخرج هذا النبي الكريم بذرياتهم إلى تلك المدينة وفتحوها ودخلوها .

وروي عن ابن عباس أن موسى وهارون ماتا في التيه . قال غيره : ونبأ الله يوشع وأمره بقتال الجبارين ، وفيها حبست عليه الشمس حتى دخل المدينة ، وفيها عاقب الذي وجد الغلول عنده ، وكانت تنزل من السماء - إذا غنموا - نار بيضاء فتأكل الغنائم ؛ وكان ذلك دليلا على قبولها ، فإن كان فيها غلول لم تأكله ، وجاءت السباع والوحوش فأكلته ؛ فنزلت النار فلم تأكل ما غنموا فقال : إن فيكم الغلول فلتبايعني كل قبيلة فبايعته ، فلصقت يد رجل منهم بيده فقال : فيكم الغلول فليبايعني كل رجل منكم فبايعوه رجلا رجلا حتى لصقت يد رجل منهم بيده فقال : عندك الغلول فأخرج مثل رأس البقرة من ذهب ، فنزلت النار فأكلت الغنائم .

في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( غزا نبي من الأنبياء ) الحديث أخرجه مسلم وفيه قال : ( فغزا فادنى للقرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه - قال : فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال : فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه - قال - فلصقت يده بيد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول ) . والحكمة في حبس الشمس على يوشع عند قتاله الكفار وإشرافه على فتح المدينة عشي يوم الجمعة ، وإشفاقه من أن تغرب الشمس قبل الفتح أنه لو لم تحبس عليه حرم عليه القتال لأجل السبت ، ويعلم به عدوهم فيعمل فيهم السيف ويبتاحهم ؛ فكان ذلك آية له خص بها بعد أن كانت نبوته ثابتة ، وفي هذا الحديث يقول عليه السلام : ( فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ) ذلك بأن الله عز وجل رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا .

روى مسلم عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاءه صكه ففقا عينه فرجع إلى ربه فقال : " أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت " قال : فرد الله إليه عينه وقال : "

ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة " قال : " أي رب ثم مه " ،  
قال : " ثم الموت " قال : " فالآن " ؛ فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ؛ فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : ( فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر ) فهذا نبينا  
صلى الله عليه وسلم قد علم قبره ووصف موضعه ، وراه فيه قائما يصلي كما في حديث الإسراء ، وأخفى  
الله عن الخلق قبر موسى ولم يجعله مشهورا عندهم لئلا يعبد ، والله أعلم .



## إيت القوم الظالمين

عدت قبل قليل من صلاة العشاء والتراويح ليوم الجمعة الرابع عشر من رمضان ١٤٣٠ وقد قرأ الإمام من أول سورة الشعراء ، فكان من أهم ما طرق سمعي وملاً قلبي وعقلي - والقرآن كله نور وضياء - قوله تعالى في الآيتين العاشرة وأختها من سورة الشعراء :

" وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، قَوْمٌ فَرَعَوْنَ ۖ أَلَا يَتَّقُونَ " إن في هاتين الآيتين الكريمتين بعض الأمور التربوية والدعوية ، أذكر من أهمها :

١- أن القرآن من عند الله تعالى ، وهو - سبحانه - يخبر نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بما جرى مع النبيين قبله ومنهم موسى عليه السلام ، وما الظرف الدال على الزمن الماضي " إذ " إلا تنبيهاً ودعوة للإنصات والتفكير والتدبر ، والله تعالى يهون على نبيه الكريم ما يلقي من العنت والصد من قومه حين ينبئه أنه ليس بدعاً من الأنبياء والرسل الذين كذبتهم أقوامهم ، وصبروا ، فليصبر كما صبر أولو العزم منهم .

٢- ونسمع بأذن القلب والضمير نداء الله تعالى لنبيه الكريم موسى يكلفه بالتصدي للظلمة القساة الذين استعبدوا العباد ، وأكثروا في الأرض الفساد ، ولا شك أن الدعاة هم الصفوة المختارة التي أكرمها الله تعالى إذ اختارها لنشر النور والهدى في البشرية وقيادتها إلى السبيل القويم والصراط المستقيم . ومن كانت الهداية مهمته فهو أول الهداة وأسوة الإنسانية وما أعظمها من مكانة ، وما أكرمها من حظوة عند خالقها.

٣- إن كلمة " ربك " تدل على أن الذي أرسل موسى إلى فرعون ونصره هو من كلف الحبيب المصطفى بهداية الناس ، وسييسر له الدعوة وينصره على من خالفه ، ولسوف تعلو كلمة الله على يديه كما علت على يدي سلفه موسى عليه الصلاة والسلام . فالرب واحد والدعوة واحدة : لا إله إلا الله ولا معبود سواه ، رضي من رضي وكره من كره .

٤- من سمات الداعية المؤمن الجرأة والشجاعة ، فهو جريء بما يحمل من اعتقاد قوي وإيمان ثابت، وشجاع لأنه على الحق ومن كان على الحق فلا يخاف أهل الباطل مهما كثروا وكانت إمكاناتهم

المادية فالله تعالى معه ، ومن كان الله معه رجحت كفته وانتصر إما بإحقاق الحق وإما بنيل الشهادة ،  
فالنصر الحقيقي أن يرضى الله تعالى عنا ويكرمنا بالنجاة من النار والفوز بجنة عرضها السماوات  
والأرض أعدت للمتقين .

٥- يقول الله تعالى: " أن أئت القوم الظالمين " وفعل " أيت " يعني الاختلاط والدعوة ، ولا  
تنجح الدعوة مهما كانت صافية قوية وصاحبها يطل على الناس من برجه العاجي ، ويتحاشى  
الاختلاط بهم على زعم " التمايز " عن القوم ، إن التمايز بالاعتقاد والالتزام بما تؤمن به فتعيش بين  
الناس جسماً وعقلاً وتمايز عنهم روحاً وعملاً ، إنك حين تدعو القوم لا بد أن تعايشهم وتحسس  
آلامهم، وتتعرف رغباتهم ، وتلمس معاناتهم ، لتكون أقدر على معالجتهم من أوصابهم ، وأعلم  
بآلامهم، فتعرف من أين تأتيهم وتدخل قلوبهم ، أما أن تنفصل عنهم وتنقطع ، فقد جهلتهم وأخطأت  
السيبل القويم لدعوتهم فكان هذا مقدمة الفشل في الوصول إلى الغاية .

٦- ولم يقل الله تعالى إئت فرعون ومأه الظلمة ، إنما قدم صفتهم التي كرهها الله منهم  
واكتوى الناس بنارها، إنها صفة الظلم ، فقدمها الله عز وجل ليُعرفوا بها ، وليُعرف السبب الذي بعث  
لأجله ذلك النبي الكريم موسى إليهم " إئت القوم الظالمين " إن الله تعالى لا يحب الظلم وأهله ، ونفى  
عن ذاته الجليلة هذه الصفة الكريهة المذمومة وأمر الناس أن يجتنبوها " فعن النبي صلى الله عليه وسلم،  
فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال " يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً  
. فلا تظالموا . " وأشار تعالى إلى الظالمين حين قال بعد ذكر صفة الظلم " قوم فرعون " ، وما أصدق  
قول الشاعر إذ يقول:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر  
والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي وجلالي  
لأنصرنك ولو بعد حين " .

٧- ولا يكون الابتعاد عن الظلم إلا بالعدل ولا يكون العدل إلا بالتقوى ولهذا كانت دعوة



موسى عليه السلام لفرعون وملئه أن اتقوا الله " أَلَا يَتَّقُونَ " إن السلام والأمان في الدنيا يتحققان بالتقوى ، كما أن رضا الله والفوز بالجنة طريقهما التقوى ، والقرآن يفيض بالآيات الداعية إلى التقوى، الباسطة ثمارها ومغانمها .. جعلنا الله من أهلها ....



---

## إسرائيليات في قصة موسى عليه السلام

### من تفسير ابن كثير

---

عن سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - قال :

سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام : وفتنأك فتونا ، فسألته عن الفتون ما هو ؟ قال : استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثا طويلا : فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون ، فقال :

تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ، ما يشكون فيه ، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان وعد إبراهيم ، فقال فرعون : فكيف ترون ؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار ، يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون ، مولودا ذكرا إلا ذبحوه ، ففعلوا ذلك ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، والصغار يذبحون ، قالوا : يوشك أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصيروا أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر ، يقلل أبناءهم ، ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا ، يشب الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكائرتهم إياكم ، ولن يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم . فأجمعوا أمرهم على ذلك . فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة . فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام ، فوقع في قلبها الهم والحزن ، وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه في بطن أمه ، مما يراد به . فأوحى الله إليها أن : لا تخافي ولا تحزني ، إنا رادوه إليك ، وجاعلوه من المرسلين . فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم . فلما ولدت فعلت ذلك ، فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان ، فقالت في نفسها : ما فعلت بابني ، لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيثانه . فانتهى الماء به حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى امرأة فرعون فلما رأيته أخذته فهممن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن : إن في هذا مالا ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيته لم يُخرجن منه شيئا حتى رفعنه إليها . فلما فتحته رأت فيه غلاما ،

فألقي عليه منها حبة لم يلق منها على أحد قط ، وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء ، إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذباحون بأمره ، أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليدبحوه: وذلك من الفتون يا ابن جبير ، فقالت لهم : أقروه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم أملككم . فأتت فرعونَ فقالت قرّة عين لي ولك . فقال فرعون : يكون لك . فأما لي فلا حاجة لي فيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي يُخلف به لو أقر فرعون أن يكون قرّة عين له ، كما أقرت امرأته ، لهداه الله كما هداها ، ولكن حرّمه ذلك . فأرسلت إلى من حولها ، إلى كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرا ، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فأحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق وجمع الناس ، ترجو أن تجد له ظئرا تأخذه منها ، فلم يقبل ، وأصبحت أم موسى والهال ، فقالت لأختها : قصي أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرا ، أحيّ ابني أم قد أكلته الدواب ؟ ونسيّت ما كان الله وعدها فيه ، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون - والجنب : أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد ، وهو إلى جنبه، وهو لا يشعر به - فقالت من الفرح حين أعياهم الظئورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فأخذوها فقالوا ما يدريك ؟ وما نصحهم له ؟ هل يعرفونه ؟ حتى شكوا في ذلك ، وذلك من الفتون يا ابن جبير . فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظؤرة الملك ، ورجاء منفعة الملك . فأرسلوها فانطلقت إلى أمها ، فأخبرتها الخبر . فجاءت أمه ، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه ، حتى امتلأ جنباه ريا ، وانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها : أن قد وجدنا لابنك ظئرا . فأرسلت إليها ، فأتت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي ترضعي ابني هذا ، فإنني لم أحبّ شيئا حبّه قط . قالت أم موسى : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي ، فيكون معي لا آله خيرا فعلت ، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي . وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فيه ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله منجز وعده ، فرجعت به إلى بيتها من يومها ، وأنبتته الله نباتا حسنا ، وحفظه لما قد قضى فيه . فلم يزل بنو إسرائيل ، وهم في ناحية القرية، ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أتريني ابني ؟ فوعدها يوما تريها إياه فيه ، وقالت امرأة فرعون لخزانها وظئورها وقهارمتها لا ييقين أحد منكم إلا

استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك، وأنا باعثة أمينا يحصي ما يصنع كل إنسان منكم ، فلم تزل الهدايا والنحل والكرامة تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها نخلته وأكرمته ، وفرحت به ، ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ، ثم قالت : لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه ، فلما دخلت به عليه جعله في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون يدها إلى الأرض ، فقال الغواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه ، إنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك ، فأرسل إلى الذباحين ليزبحوه . وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به ، وأريد به . فجاءت امرأة فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال : ألا تريه يزعم أنه يصرعني ويعلوني . فقالت : اجعل بيني وبينك أمرا يعرف فيه الحق ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين ، فقرهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين فاعرف أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب إليه ، فتناول الجمرتين ، فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده ، فقالت امرأة فرعون: ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به ، وكان الله بالغاً فيه أمره . فلما بلغ أشده وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة، حتى امتنعوا كل الامتناع ، فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة ، إذ هو برجلين يقتتلان، أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي ، فاستغاثة الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى غضبا شديدا، لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم، لا يعلم الناس إلا أنما ذلك من الرضاع ، إلا أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره . فوكز موسى الفرعوني ، فقتله وليس يراها أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلي ، (١) فقال موسى حين قتل الرجل : هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . ثم قال : رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، فغفر له ، إنه هو الغفور الرحيم ، فأصبح في المدينة خائفا يترقب الأخبار ، فأتى فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم . فقال : أبغوني قاتله ، ومن يشهد عليه ، فإن الملك وإن كان صغوه مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت ، فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم . فبينما هم يطوفون ولا يجدون ثبta ، إذا بموسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلا من آل فرعون آخر ، فاستغاثة الإسرائيلي على الفرعوني ، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكزه الذي رأى ، فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال

للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم : إنك لغوي مبين . فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له ما قال ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعدما قال له إنك لغوي مبين أن يكون إياه أراد ، ولم يكن أراده ، وإنما أراد الفرعوني ، فخاف الإسرائيلي وقال : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وإنما قاله مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتتاركا وانطلق الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى ، فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم ، فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا حتى سبقهم إلى موسى فأخبره ، وذلك من الفتون يا ابن جبير . فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك ، وليس له بالطريق علم إلا حُسْنُ ظنه بربه عز وجل فإنه قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل . ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان يعني بذلك حابستين غنمهما فقال لهما : ما خطبكما معترلتين لا تسقيان مع الناس ؟ قالتا : ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما ننتظر فضول حياضهم ، فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاء ، فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حُفْلًا بطانا فقال : إن لكما اليوم لشأنا ، فأخبرتهما بما صنع موسى ، فأمر إحداهما أن تدعوه ، فأنت موسى فدعته فلما كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولسنا في مملكته ، فقالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين فاحتملته الغيرة على أن قال لها : ما يدريك ما قوته وما أمانته ؟ قالت : أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا ، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه ، وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له ، فلما علم أنني امرأة صَوَّبَ رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ، ثم قال لي : امشي خلفي وانعتي لي الطريق ، فلم يفعل هذا إلا وهو أمين ، فسري عن أبيهما وصدَّقها وظن به الذي قالت ، فقال له : هل لك أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك . وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ففعل فكانت على نبي الله موسى ثماني سنين واجبة وكانت سنتان عِدَّة منه فقضى الله عنه عِدَّتَه فأتَمَّها عشرا . قال سعيد هو ابن جبير: فلقيني رجل من أهل النصرانية من

علمائهم قال : هل تدري أي الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا ، وأنا يومئذ لا أدري ، فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال : أما علمت أن ثمانيا كانت على نبي الله واجبة لم يكن لنبي أن ينقص منها شيئا ، ويعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التي وعده فعدته التي وعده فإنه قضى عشر سنين ، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال : الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك قلت : أجل وأولى . فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن ، فشكا إلى الله تعالى ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه ، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام ، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداءا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فأتاه الله سؤاله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون عليهما السلام فانطلقا جميعا إلى فرعون فأقاما على بابه حيناً لا يؤذن لهما ، ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا إنا رسولا ربك قال : فمن ربكما ؟ فأخبره بالذي قص الله عليك في القرآن ، قال : فما تريدان ؟ وذكره القتل فاعتذر بما قد سمعتَ (٢)، قال : أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل ، فأبى عليه وقال ائت بآية إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي حية تسعى عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون ، فلما رآها قاصدة إليه خافها فافتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص ثم ردها فعادت إلى لونها الأول ، فاستشار الملأ حوله فيما رأى ، فقالوا له : هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى يعني مُلكهم الذي هم فيه والعيش ، وأبوا على موسى أن يعطوه شيئا مما طلب ، وقالوا له: اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما ،

فأرسل إلى المدائن فحشر له كل ساحر متعالم ، فلما أتوا فرعون قالوا : بم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا: يعمل بالحيات ، قالوا : فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل، وما أجزنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم : أنتم أقاربي وخاصتي ، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتهم ، فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ، قال سعيد بن جبير : فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء .

فلما اجتمعوا في صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض : انطلقوا فلنحضر هذا الأمر لعنا نتبع

السحرة إن كانوا هم الغالبين يعنون موسى وهارون استهزاء بهما ، فقالوا : يا موسى لقدرتهم بسحرهم إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال بل ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة ، فأوحى الله إليه أن ألق عصاك ، فلما ألقاها صارت ثعبانا عظيمة فاعرة فاها ، فجعلت العصي تلتبس بالحبال حتى صارت جزرا إلى الثعبان ، تدخل فيه ، حتى ما أبقت عصا ولا حبالا إلا ابتلعت (٣)، فلما عرفت السحرة ذلك قالوا ، لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ، ولكنه أمر من الله عز وجل ، آمنا بالله وبما جاء به موسى ، ونتوب إلى الله مما كنا عليه ، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه ، وظهر الحق ، وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه ، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه ، وإنما كان حزنها وهمها لموسى .

فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة ، كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل، فإذا مضت أخلف مواعده وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ، ويوثقه على أن يرسل معه بني إسرائيل ، فإذا كف ذلك عنه أخلف مواعده ، ونكث عهده . حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا ، فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين ، فتبعه بجنود عظيمة كثيرة ، وأوحى الله إلى البحر : إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفلق اثنتي عشرة فرقة ، حتى يجوز موسى ومن معه ، ثم التق على من بقي بعد من فرعون وأشياعه . فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيا لله . فلما تراءى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى : إنا لمدركون ، افعل ما أمرك به ربك ، فإنه لم يكذب ولم تكذب . قال : وعدني أن إذا أتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة ، حتى أجاوزه : ثم ذكر بعد ذلك العصا (٤) فضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى ، فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى

فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ، ودخل فرعون وأصحابه ، التقى عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه . فدعا ربه

فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه . ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى، اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قد رأيتم من العبر وسمعتهم ما يكفيكم ومضى . فأنزلهم موسى منزلا وقال : أطيعوا هارون فأني قد استخلفتكم عليكم ، فأني ذاهب إلى ربي . وأجلهم ثلاثين يوما أن يرجع إليهم فيها ، فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوما وقد صامهن ليلهن ونهارهن ، وكره أن يكلم ربه وريح فيه ، ربح فم الصائم ، فتناول موسى من نبات الأرض شيئا فمضغه ، فقال له ربه حين أتاه : لم أفطرت ؟ وهو أعلم بالذي كان : قال : يا رب ، إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح . قال : أوما علمت يا موسى أن ربح فم الصائم أطيب من ربح المسك ، ارجع فصم عشرا ثم اثني . ففعل موسى عليه السلام ما أمر به ، فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ، ساءهم ذلك : وكان هارون قد خطبهم وقال : إنكم قد خرجتم من مصر ، ولقوم فرعون عندكم عوار وودائع ، ولكم فيهم مثل ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا ، فحفر حفيرا ، وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقدفوه في ذلك الحفير ، ثم أوقد عليه النار فأحرقه ، فقال : لا يكون لنا ولا لهم . وكان السامري من قوم يعبدون البقر ، جيران لبني إسرائيل ، ولم يكن من بني إسرائيل ، فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا ، فقضى له أن رأى أثرا فقبض منه قبضة ، فمر بهارون ، فقال له هارون عليه السلام : يا سامري ، ألا تلقي ما في يدك ؟ وهو قابض عليه ، لا يراه أحد طوال ذلك ، فقال : هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ، ولا ألقياها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد . فألقاها ، ودعا له هارون ، فقال : أريد أن يكون عجلا . فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد ، فصار عجلا أجوف ، ليس فيه روح، وله خوار قال ابن عباس : لا والله ، ما كان له صوت قط ، إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه ، فكان ذلك الصوت من ذلك . فتفرق بنو إسرائيل فرقا ، فقالت فرقة : يا سامري ، ما هذا ؟ وأنت أعلم به . قال : هذا ربكم ، ولكن موسى ضل الطريق . وقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأيناه ، وإن لم يكن ربنا فإننا نتبع قول موسى ، وقالت فرقة : هذا عمل الشيطان ، وليس بربنا ولا نؤمن به ولا نصدق ، وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل ، وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون : يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن . قالوا : فما بال



موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أحلفنا ؟ هذه أربعون يوما قد مضت ؟ وقال سفهاؤهم : أخطأ ربّه فهو يطلبه ويتبعه .

فلما كلم الله موسى وقال له ما قال : أخبره بما لقي قومه من بعده ، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم في القرآن ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، وألقى الألواح من الغضب ، ثم إنه عذر أخاه بعذره ، واستغفر له ، وانصرف إلى السامري فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : قبضت قبضة من أثر الرسول ، وفطنت لها وعميت عليكم ، فقدفتها وكذلك سولت لي نفسي قال : فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ، ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه ، فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة ، واغتنبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون ، فقالوا لجماعتهم : يا موسى ، سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها ، فيكفر عنا ما عملنا . فاختار موسى قومه سبعين رجلا لذلك ، لا يألو الخير ، خيار بني إسرائيل ، ومن لم يشرك في العجل ، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة ، فرجفت بهم الأرض ، فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل ، فقال : رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ، أهلكنا بما فعل السفهاء منا وفيهم من كان اطلع الله منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال : ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فقال : يا رب سألتك التوبة لقومي ، فقلت : إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي فليتك أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة ، فقال له : إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول . ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة ، وأخذ الألواح بعدما سكنت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف ، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها ، فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيامهم وهم مصغون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم ، وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ، ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقتهم خلق منكر ، وذكروا من ثمارهم أمرا عجيبا من

عظمتها ، فقالوا : يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم ، ولا ندخلها ما داموا فيها ، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون ، قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد : (٥) هكذا قرأه ؟ قال : نعم ، من الجبارين آمنّا بموسى ، وخرجنا إليه فقالوا : نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، ويقول أناس : إنهم من قوم موسى ، فقال الذين يخافون بنو إسرائيل يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فأغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ، ولم يدع عليهم قبل ذلك ، لما رأى منهم المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ ، فاستجاب الله له وسماهم كما سماهم فاسقين ، فحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ ، وجعل بين ظهرائهم حجرا مربعا وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاث أعين ، وأعلم كل سبط عينتهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس

١- بل قتله في السوق ورآه كل من كان فيه ، والقبطي الثاني هو الذي قال لموسى : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس .

٢- ذكره فرعون بقتل القبطي ، وكان موسى قد استغفر ربه فغفر له ، وتناسى فرعون أنه قتل الآلاف من قوم موسى - عمداً وإصراراً - وما يزال ، وصعب عليه أن يقتل موسى القبطي خطأ

٣- الذي أراه أن العصا التي انقلبت حية ابتلعت السحر وأبقت الحبال والعصي لتظهر الأمور على حقيقتها ، وهذا أبلغ من ابتلاعها كلها ( عثمان ) .

٤- لالا . لم ينس موسى عليه السلام لقوله تعالى حين قالت بنو إسرائيل " إنا لمدركون " قال على لسان موسى " كلا إن معي ربي سيهدين " ، وهذا دليل على أن موسى عليه السلام واعٍ يفعل بالوحي كما أمر الله - ولم ينس .

٥- الرجلان اللذان يخافان هما من قوم موسى عليه السلام كانا تقيين ، وما ورد أنهما من العمالة تخريف إسرائيلي .



---

## مع سليمان عليه السلام في سورة النمل ( ١ )

---

نقرأ قوله تعالى: ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين.. فنجد :

- ١- العلم : سمة أهل الفضل ومناط التشريف ونور الفكر الذي يكرم صاحبه على غيره.
- ٢- شكر الله وحمده: فهما عليهما السلام يحمدان الله تعالى أن أكرمهما بالعلم ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) وكثيراً ما نجد الأرزاق متنوعة فهذا يعطى مالاً وذاك علماً والآخر وسامة وغيره أخلاقاً ، فنجد العلم والأخلاق سيدي الموقف . وقد أحسن الشاعر حافظ إبراهيم في قوله:

فالناس هذا حظه مال وذا علم ، وذاك مكارم الأخلاق

فالمال إن لم تدخره محصنا بالعلم كان نهاية الإملاق

والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعلية كان مطية الإخفاق

لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يُتَوَجَّ ربه بخلاق

- ٣- الهمة العالية : فقد علما أن النبوة والعلم والحكمة رفعتهما على كثير من عباد الله المؤمنين

- ٤- الإرث: قال تعالى : وورث سليمان داود . وقد نعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة. ، فما الذي ورثه سليمان من أبيه داود عليهما السلام؟  
نقول: إنَّ الإرث هنا في النبوة والعلم — وهذا ما نجده في دعاء زكريا عليه السلام يسأل الله تعالى ولداً صالحاً يرثه في الدعوة والعلم والنبوة:

-وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا .

وهذا ما نفهمه من قول يعقوب عليه السلام حين أخبره ابنه يوسف برؤياه فأول الرؤيا بالنبوة والمكانة العالية الرفيعة الموصلة بجديه إبراهيم وإسحاق عليهما السلام ، وبهذه النبوة تتم النعمة على آل يعقوب وتكتمل فضائل الاجتباء:

- وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ

كَمَا أَمَّتْهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

٥ - الاعتراف بالفضل: " إن هذا هو الفضل المبين. " واعتراف سليمان بفضل الله يرفع مقامه ،

وتأمل في قوله عليه السلام " (- عَلَّمَنَا منطق الطير .. ، وَأَوْتَيْنَا من كل شيء ) وهما الإعلان المبنيان للمجهول يدلان على إسناد الفضل إلى الله ، فمنه الخير كله. فهو سبحانه من علّم وهو سبحانه من أعطى، فله الخير وله المنّ الكرم .

أما قارون فقد شقي حين جحد فضل الله سبحانه عليه وادّعى الذكاء والقدرة في جمع المال ولم يزع ذمة الله ولا أدى حقّ المال ، وعاش مستكبراً يأبى النصيحة ويزدري الناس:

- إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ  
- وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ .

- قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۖ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ .

وكيف لا يُسأل المجرمون عن ذنوبهم؟! هذا ما سألتني أحدهم فقلت له : يا هذا ؛ هؤلاء أهون على الله أن يحاسبهم إنما تلتقطهم السنة النيران إلى سواء الجحيم بالدلة والصغار . ونجد في المقابل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أن الله عز وجل يكرم خاصة المؤمنين الصالحين بدخول الجنة دون حساب ولا عقاب وقرأ معي قوله صلى الله عليه وسلم : ( سبعون ألفاً يدخلون الجنة دون حساب ولا عقاب )

### الترتيب في الحديث:

وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ، فهم يوزعون. ذكر الأقوى ( الجنّ، ثم الإنس ، ثم

الطير) ذكر الأهمّ فالأقل أهمية . وهذا من أساليب التربية القرآنية

إننا نجد هذا الترتيب في القرآن كثيراً كقوله تعالى: " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث" فذكر من الشهوات أشدها : النساء،

ثم البنين ثم المال الذي يُصرف على النساء والبنين ، ثم ذكر من المال أفضله : الذهب ، وأتبعه بالفضة . أما

الخيـل فـهـي عـنـد العـرـب أفضـل مـن الأنعـام ( الإبل والبقر والغنم) وهذا الحيوانات بأنواعها أفضل عند العرب من الزرع. إنه ذكر الأهم فالأقل أهمية.

ولا ننس الكلماتين ( يوزعون، وأوزعني ) من وزع ، فالأولى تعني أن أوائل الجيش ينتظرون في أماكنهم حتى يكتمل مجيئ أواخرهم ، والثانية: أوزعني تعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي (من الإلهام والعون). وجمال الكلم القرآني ذلك الجنس اللفظي المختلف المعنى المؤتلف المبني .

واقراً قوله تعالى : " ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" وهذا يذكرنا بالرجل الصالح في سورة الأحقاف " ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربّي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي ، إني تبت إليك وإني من المسلمين" فالدعاء واحد يختلف قليلاً بين نبي ورجل صالح .. وأصلح لي في ذريتي.. إن الكلام في جله واحد

### علمنا منطق الطير

-فرّق بين علّمنا منطق الطير وفهمنا لغة الطير، فالفهم قد لا يعني القدرة على الحديث أما الأولى ( علّمنا منطق الطير ) ففيها القدرة على الحديث بلغة الطير، وهذا أبلغ في التعبير عن المراد ، وسبحان من أنزل القرآن على نبيه عربياً بيناً لا لبس فيه.

- وداوود كذلك علم منطق الطير(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۚ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ .

- إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۚ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ .

وهذا لم يختص به داوود وسليمان به وحدهما فهناك آثار تدل على فهم الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقد ورد في الأحاديث أن جملاً شكّا صاحبه الذي يتعبه في العمل ويحمّله فوق طاقته. فنبهه النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر وأعلن أنه سيعامل جملة معاملة طيبة .

- كما أن الحصا يُسمع تسييحها في كف الرسول صلى الله عليه وسلم

### ٨- الطيور والحيوانات أمم أمثالنا:

ويجتمع جيش النبي سليمان ويحشده ثم يسير به .. حتى إذا أتوا على وادي النمل .  
والحيوانات والطيور والحشرات أمم متكاملة لها نظامها وحياتها الخاصة المنظمة "وما من دابة في  
الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم."  
نملة عاقلة تنصح ( ولا بد للعاقل أن ينصح غيره وهذا واجبه .) فتنادي شعبها خائفة عليهم أن يبياد  
تحت وطأة جيش سليمان فتنادي بملء فيها " يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ، لا يحطمنكم سليمان  
وجنوده"

فلا حاجة للمجابهة لسبب الضعف ،أو الضالة ،أو توقع الخسارة الكبيرة .وقد يسيء البعض لعدم  
معرفتهم أو انتباههم { وهم لا يشعرون } وهذا النصح من حسن التدبير .  
إنّ الحاكم أو الوجيه ( النملة ) تخاف على قومها من الإبادة . فهي ( رحيمة بهم ) .  
والنبي سليمان عليه السلام حريص على الرحمة بالحيوان ، فتبسم ضاحكاً من قولها ، وأوقف جيشه  
حتى غار النمل في الأرض

فماذا تقول بمن يقتل الناس بمئات الآلاف ليبقى حاكماً لمن يبقى حياً من الأمة بعد إذلالها لا سمح  
الله . ؟! هؤلاء الحكام أسوأ من الشياطين وألعن من الأبالسة وأحقر من الروبيضات فهل يعقلون أم على  
قلوب أقفالها؟!

#### ٩- انتماء الرجل الصالح للصالحين

" ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني  
برحمتك في عبادك الصالحين"

نجد البر بالوالدين ، طلب العون من الله على شكر النعمة .

وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

نجد في سورة يوسف " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات  
والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين . "  
ونحن نقول : اللهم احشرنا في عبادك الصالحين .

## ١٠ - الاهتمام بالجنود

النبي القائد سليمان عليه السلام يتفقد الطير.

هناك حذف في قوله : ( مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ) وكأنه يقول: ( أهو موجود لا أراه ) أم هو غائب فعلاً ؟ ولعله يريد أن يقول : لا أود أن يكون واحد من جندي غائباً دون إذن ولا عذر.

ونرى الحزم في التعامل مع الجنود. لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين ( والسلطان المبين هو الدليل على سبب الغياب. العقوبة أولاً إن كان مهماً متهاوناً ، والقتل ثانياً إن تجاوز في غيابه حد الجندية على مبدأ درهم وقاية خير من قنطار علاج فالتسيب إذا غاب الحزم مشكلة يصعب حلها، ولا عقوبة إن كان من غيابه فائدة مرجوة.

إن الحزم دون ظلم يحفظ النظام

## ١١ - الجندي شجاع ذكي

تصور أن الجندي الصغير ( الهدهد ) يقول لقائده على مسمع من الجند :عندي من المعلومات ما ليس عندك. ومعلوماتي يقينية ليست ظنية.

وقد يكون العلم عند صغير الحجم ضعيف البنية ، الفقير الذي لا يملأ العين .

وما يقولها إلا في حضرة القائد الذي هدد بالعقوبة وما أدراك ما العقوبة لكنه يعلم أن القائد وقافٌ على الحق ويجب الجندي الماهر الذي يخدم قضيته بإخلاص وسوف يتجاوز عن غيابه لما فيه من فائدة كبرى

## ١٢ - التقرير الإضافي المفصل

حدد الهدهد المكان الذي ذهب إليه وجاء بخبره ، وذكر نوعية الحاكم - فهي امرأة - وبين قوتها وشرفها - والدليل ( عرش عظيم ) ونبه إلى عبادتهم فهم يعبدون الشمس من دون الله تعالى  
لقد أضلهم الشيطان في عبادة غير الله تعالى.

ثم إننا نلاحظ التوجيه إلى عبادة الله سبحانه ، فهي العبادة الحقة . وهو سبحانه من يستحق العبادة فقط. " ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا إله

إلا هو رب العرش العظيم" .. إنه تقرير ضاف تام.

### ١٣ - تحقق القائد من الخبر

لا يؤخذ القائد بالكلام المعسول فلا بد من التحقق من هذا الخبر قال: ( سننظر... ).  
يجب أن تكون ثقة القائد بجنوده أكبر من سوء ظنه بهم. ( أصدقت أم كنت من الكاذبين ) فقدم  
احتمال الصدق على الكذب ففي صفة الصدق خاطبه بضمير المفرد وفي احتمال صفة الكذب حذره أن  
يكون من جملة الكاذبين! واستبعد الكذب ابتداء حين ذكر الفعل الماضي ( كان ) .  
كلفه أن يأخذ كتابه فيلقيه على القوم ، وهو في هذه الحالة مراقب بطريقة ما .  
وعلمه كيف يرمي الكتاب ويتلقت الخبر دون أن يعلموا بوجوده ( فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر  
ماذا يرجعون ) .

ولعلمهم إن جهلوا من ألقاه عليهم لم يتابعوه واستوهلوا الأمر، فاستعظموه.  
ولن يظن البشر أن طيراً كان رسول سليمان إليهم .

### ١٤ - ذكاء الملكة وحسن تدبيرها.

كرّمت الملكة الكتاب ( الرسالة ) لأسباب عدة ، أولها : أنها تلقتة وهي فوق عرشها العظيم ، وثانيها  
أنّ صاحب الكتاب الملك سليمان المعروف بقوته وعظمته ، وأما ثالثها فقد بدأ الكتابُ بالبسملة ، وأعظمُ  
بالبدء بسم الله الرحمن الرحيم ورابعها : أن الكتاب نهي واحد وأمر واحد ( ألا تعلوا عليّ واتوني  
مسلمين. ) ، ولا يكون النهي إلا من الممكن ، ولا الأمر إلا من القوة ، وخامسها : ذلك الاختصار  
فالكتاب خمس كلمات.

ذكرني هذا الاختصار وتلك القوة بكتاب نقفور ملك الروم لهارون الرشيد خليفة المسلمين يهدده  
ويتوعده، فما كان من هارون رحمه الله إلا أن كتب على ظهر رسالة نقفور: ( إلى نقفور كلب الروم ؛  
الجواب ما تراه ، لا ما تسمعه ) وسيّر إليه جيشاً كسر به ظهره .

على الرغم أن الملكة أخذت بالكتاب وهاهنا ما فيه من ثقة صاحب الكتاب بنفسه أحببت أن لا  
تستأثر بالجواب وأن تحمّل رؤساء قومها مسؤولية اتخاذ القرار ، فطلبت آراءهم : ( يا أيها الملاء أفتوني في  
أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ) ولا بد من أخذ الرأي والمشورة ، فهذا دأب الحاكم اللبيب .



رأى مَلَّوْها أدبها فأخبروها بقوتهم وقدرتهم على القتال ، وتركوا لها البتّ في الحكم حين رأوها لم تستأثر به ابتداءً .. وأراهم أخطأوا حين تركوا لها اتخاذ القرار فقرار الحرب لا يتخذه الفرد وحده. وكأن العرب منذ القديم اعتادوا ديكتاتورية الفرد فأذعنوا لذلك ألم يقل الشاعر مخاطباً شيخ قبيلته:

لك المربع منا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

فالمربع : ربع المغنم يأخذه رئيس القبيلة .

والصفايا : جمع صفى . وهو ما يصطفيه الشيخ لنفسه من المغنم ،

والنشيطه : ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل بلوغهم إلى الموضع الذي قصدوه ، فكان يختص به رئيس

القبيلة دون غيره. والفضول : ما يفضل من الغنيمة عند القسمة . وعلى هذا فللقائد أو الملك والرئيس كل شيء .

وإننا نرى دولنا فقيرة معدمة ترزح تحت كاهل الديون بينما يسلب الحاكم كل شيء ويهربه إلى خزائن الغرب وبنوكها ليأكلوه بعد أن يسقط الحاكم السارق .. أليس هذا ما نراه كل يوم؟!

ولعلمهم — إن أحسننا الظنّ رأوا في حديثها رغبة في الصلح والمناورة التي قد تأتي بحل مناسب فرضوا

بذلك . ( نحن أولوا قوة وألو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين )

من ذكائها وحسن تدبيرها أنه أرادت أن تجنب مملكتها التهديم والتدمير حين يدخلها ملك قوي

بالحرب والقوة . جنوده الجن والإنس والطير فأرسلت حكمة حفظها الدهر بأحرف من نور: ( إن

الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون ) ...



---

## مع سليمان عليه السلام في سورة النمل ( ٢ )

---

نقرأ قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام ( أن لا تعلوا عليّ واتوني مسلمين ) فنتتشي طرباً وفهماً لكلام نبي كريم يعلم أن :

اتباعه واجب إنساني ، فهو لا يريد للكفر أن يعلو على الحق الذي جاء به  
ونلاحظ عزة القائد المسلم في النهي : ( لا تعلوا عليّ ) .. ومن يعلو على صاحب الدعوة الحقّة وممثلها؟!!

وفي هذه الدعوة تهديد قريب من الصراحة - وإن اكتسى النصيح المطلوب في الداعية - والنهي دليلٌ على التهديد الذي فهمته بلقيس تماماً فتحاشته.  
وما بعد التهديد إلا الأمر ( واتوني مسلمين ) فحصرها وقومها (بالنهي والأمر) . فكان الخطاب على إيجازه واضحاً وقوياً .

لم يقل : ( ائتوني صاغرين ولا أذلاء خاضعين أو مسلمين ) ، فهو لا يريد السيطرة عليهم ليستغلهم ولا ليقهرهم ، إنه يريد أن يُسلموا لله رب العالمين ، ومن كان هذا ديدنه ومهمته فقد أراد العزة للناس في الدنيا والآخرة . وهذا دأب الدعاة المصلحين.

كانت الملكة عاقلة لبينة قرأت الكتاب وعلمت مرماه ، فتدرّجت في ترويض قومها للأمر الذي أزمعت أن تنفذه :

خاطبت أشراف قومها وكبارهم بالاحترام والتقدير ( يا أيها الملأ ) والملأ : كرام الناس وسادتهم.  
استشارتهم وطلبت رأيهم ( أفتوني ) والإفتاء تقليب أوجه الرأي وتمحيص الأمر للوصول إلى القرار الصائب على الرغم أن الأمر عائد إليها في آخر المطاف ( في أمري ) ولم تقل في الأمر . والشورى ملزمة هنا ( ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ) . ولم تقل ما كنت لأقطع أمراً ، إنما قالت : ( ما كنت قاطعة ) فاستعملت الصفة وهي أقوى من الفعل في التأكيد .

حين تكون الشورى ملزمة يشعر أهل الرأي بعظم مكانتهم وأهمية أمرهم ودقة دورهم، فيخلصون في المشورة ويبدلون رغبين مهتمين ، فينتج القرار السليم الأقرب للصواب .

إنهم أخلصوا لها في الجواب حين أعلنوا أنهم يجمعون بين أمرين مطلوبين لقوة الدولة : نحن أقوىاء بما فيه الكفاية لرد أي عدوان . والقوة هنا كثرة العتاد والعدة . أما الثاني فالبأس الشديد والتدريب المحكم . ( نحن أولو قوة وألو بأس شديد ) .

يقدم المستشار مشورته واضحة ثم يترك تقدير الأمر للقائد والملك ليتحمل مسؤولية قراره عن قناعة ويُعدّ له العدة المناسبة . ( والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ) ولا أظنهم خرجوا عن المؤلف ، فللقيادة آفاق من المعرفة أشمل لورودها معلوماتٍ أكثر وأدقّ كما ذكرنا في مقدمة الفكرة.

كتاب سليمان عليه السلام القوي الذي وصفته الملكة بالكتاب الكريم يدل على إصرار صاحبه أن يصل إلى هدفه ما لم يستجب المرسل إليه إلى أوامره ، وهو - سليمان - الملك المرهوب الجانب القوي السلطان لن يتوانى في مهاجمة مملكة سبأ ويجعلها أثراً بعد عين .

قالت حكمتها التي سجلها القرآن بأحرف من نور ( إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون )

والمقصود بالإفساد الخراب والدمار ، فالحرب لا تبقي ولا تذر ، ألم يقل الشاعر الحكيم :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ..... وما هو عنها بالحديث المرجّم

قتل وإهلاك وسلب ونهب وإذلال واستعباد .. وتنقلب الحياة ألماً وحسرة وتشرداً ويتماً وفقراً وضعة ... هذه نتيجة المعركة وهي - ملكة سبأ - أضعف من أن تقف أمام ملك قويّ ذي هدف يسعى إليه، ولن تضيع شعبها في عمل غير محمود العواقب.

وهي تعلم نفسية الملوك حين يغضبون ، لهذا قالت متأكدة مما تقول : ( وكذلك يفعلون ) .

والرائع في الأسلوب القرآني في هذه الآية الكريمة مجيء جواب: إذا الشرطية المتعدد في صيغة الماضي ( أفسدوها وجعلوا ) للتعبير عن مستقبل مشهود كأنه حاصل ابتداءً فالملوك حين يغضبون لا يرحمون أحداً، والتاريخ شاهد على ذلك .

ولكن الملكة الحكيمة تستبق الأحداث بحس النبض عند العدو ، فإن كان تهديده لمال يريده أعطيناه، وكفينا أنفسنا مؤونة التصدي له ، وما أكثر الذين يجيشون الجيوش لاكتناز ما يستطيعون في هذه الدنيا، وقد يكون سليمان - على رأي الملكة - واحداً منهم ، وهي لا تعلم حقيقته ، فلم لا تتقي شره بهدية

مناسبة ؟! . ( وإني مرسله إليهم بهدية ، فناظره بم يرجع المرسلون ) واستعملت الصفتين ( مرسله وناظره ) بدل الفعلين ( سأرسل وأنظر ) للوقوف على أمر سليمان بحكمة وتأناً دالين على فهم ثاقب للأمر .  
فإن رضي بالهدية الثمينة كان كغيره من الملوك البطرين فآكتفينا أمره بالهدايا المتواترة وأزحنا عن أنفسنا ضرره وأذاه ، وإن كان غير ذلك نزلنا على أمره فأتيناه كما أمر . وهذا ما يفعله المغلوب على أمره الواعي لواقعه .

وتصل الهدية الفخمة الى نبي الله سليمان عليه السلام ، فيفهم مراد الملكة بلقيس وهدف أهل سبأ منها ونلاحظ ما يلي :

أن سليمان عليه السلام يستصغر ما فعلوه ، فهو ليس من هؤلاء الذين يطربون لما يغنمون من حطام الدنيا ولعاعها ، إن الله تعالى أعطاه من كل شيء ، وعطاء الخالق يغطي على عطاء المخلوق ، فهو — سبحانه يعطي عن جود وكرم ، وهي تعطي عن خوف وتقلق ، ( وشتان ما بين السماء والأرض... ) .  
( أتمدونَ بمال ؟! فما آتاني الله خير مما آتاكم ) وإذا كان عطاء الله تعالى لسليمان أفضل مما أعطاه فإن عطاءها لسليمان يتقزم كثيراً ..

( بل أنتم بهديتكم تفرحون ) كلمة قالها سليمان عليه السلام لرسل الملكة فوصلت إليها قاصمة للظهر مخيفة ، إنه تهديد بالهجوم الكاسح الذي حاولت جهداً أن تتحاشاه ، فهو عليه السلام لم يرسل لها الكتاب مبتزاً أو مستكثراً ... فأسرعت إليه لا تلوي على شيء .

ويُفهم من قوله عليه السلام : ( بل أنتم بهديتكم تفرحون ) تظنون أنكم ملكتم مني ما تريدون وحصلتم على ما رستم ، وهيئات هيئات لما خططتم ، فأمركم مكشوف وهدفكم واضح لا يخفى عليّ .  
وكأنه حين قالها كانت إعلان حرب تأكل الأخضر واليابس إن لم تتدارك ملكة سبأ الأمر .. ( ارجع إليهم ، فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ) . وتأمل معي قوله المفاجئ ( ارجع إليهم ) لتقيس نبض الرسول المتسارع وهو يسمع هذه الكلمة ، وتأمل التفاتة سليمان عليه السلام إلى قادة جيشه — ورسول الملكة حاضر يسمع التهديد المخيف ( فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ) فيسرع هذا المسكين إلى ملكته يلقي عليها النبأ الصاعق ، فتسرع إلى سليمان تسابق الريح .

وكان سليمان عليه السلام يعلم أن النصر من عند الله لا من كثرة جيشه وقوته ، فقد ذكرنا في المقال السابق أنه كان يعزو كل الفضل لله تعالى ، لكنه حين يهدد العدو يخاطبه بما يفهم ليس غير . ولهذا قال مهدداً ( فلنأتينهم بجنود لا قِبل لهم بها ) . وعزز بقوله ( ولنخرجهم منها اذلة وهم صاغرون ) خَوْفها من حربه عليه السلام ، وهذه الحرب الإعلامية الاستباقية .

ونشعر بالقسم المؤكد باللام في ( لنأتينهم ، لنخرجهم ) يؤزم الموقف ويرسم موقف التحدي في إثبات الذات والصورة المعبرة عن اتخاذ موقف التحرك نحو سبأ .

أما مجيء الآية التالية : ( قال يا أيها الملأ أياكم يأتييني بعرشها قبل ظأن يأتوني مسلمين . ) فانتقال سريع إلى موقف آخر سبقته مواقف عديدة خففت من التأزم السابق حتى رأينا صورة مختلفة ، فيها النبي سليمان عليه السلام ينتظر ملكة سبأ بين لحظة وأخرى تدور فيها محاورة بينه وبين مستشاريه من الجن والإنس :

نجد النبي الملك سليمان يتبسط مع الحاضرين في الحديث ويستعين بأصحاب القُدُرات في إظهار المملكة بمظهر القوة أمام الضيف القادم ، وهذا ( بروتوكول ) مطلوبٌ يحشد فيه القائد دلائل القوة والعظمة ليعت رسائل معلومة وواضحة لضيفه المنافس .

وأعظم ما عند المرأة عرشها المصنوع بإحكام يدل على الأبهة ( ولها عرش عظيم ) ، فإن كان لضائفها مثله فقد ساواها ، وإن جلبه إليه بقوة قادر فقد فاقها في السلطة والمكانة . ( أياكم يأتييني بعرشها ) قبل مجيئها يحوطها وفدُها .

بدأ عفريت قويُّ القول : أنا آتيك به قبل أن ينتهي لقاءك مع مجلس شورك - والمسافة آلاف الأميال - إنه لعرضٌ مغرٍ يدل على التمكن والقوة ( وإني عليه لقوي أمين ) . وجميل أن يعرض المرء قُدراته حين يطلب عملاً ، وهذا سيدنا يوسف قال للملك ( اجعلي على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ) .... ولهؤلاء الجن قوة لا تُضاهى تفوق قوة الإنس بمراحل لا تُقَدَّر . .. فهل من عرض آخر؟!

يعرض أحد الرجال من الإنس مقرب من ربه أعطاه الله سر اسمه الأعظم و ( عنده علم من الكتاب ) عرضاً تغيضُ أمامه قُدرات ذلك الجني العفريت وتتلاشى : أنا آتيك به بأقل من الثانية - في لمح البصر - ( أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرْفُك ) ومهما كان المخلوق ضعيفاً أمام المخلوقات الأخرى فإنه بعون الله

وتيسيره يفوق الآخرين قَدْرًا وقُدْرَات. " فكن مع الله تر الله معك " ومن كان ولياً لله علّمه الله ، وما اتخذ الله ولياً جاهلاً ، ولو اتخذ له لعلّمه.

ما كان لذلك الجني أن يعرض ما عنده لو علّم ما عند الإنسي من إمكانيات مكتسبة وموهوبة ف :

ملك الملوك إذا وهب .... لا تسألن عن السبب

الله يعطي من يشاء ..... فقف على حدّ الأدب

إنه اسم الله الأعظم الذي إن سألت به وصلت، وإن طلبت به أُجِبت. وعرضَ هذا الرجلُ ما عنده بعد عَرْضِ الجنيّ ليعلم الجميع أن الله تعالى قادر أن يفعل ما يشاء ، وأن يهب ما يشاء لمن يشاء. .. سبحانك اللهم ملك الملك ، هبنا رضاك والجنة ...

علمنا سيدنا سليمان شكر الواهب . إنه حين ذكر نعمة الله عليه وعلى والده قال " إن هذا هو الفضل المبين " وحين سمع النملة تحدث قومها قال مبتسماً ضاحكاً " رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ .. " وقال ابتداءً مع والده داوود عليهما السلام " الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين " وهنا يقول حين رأى العرش مستقراً عنده : ( هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غني كريم ) . إن العطاء ابتلاء واختبار كالمنع سواء بسواء.. ألم يقل الله تعالى ( فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول لربي أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقد رزقه فيقول ربي أهانن ) ففي الحالتين – المنع والعطاء ابتلاء واختبار، فلنحذر ذلك ولنفهم.

من شكر ارتد الشكر لصالحه – هكذا قالت الآية آنفاً – لكنّ الأدب الذي نتعلمه من النبي الصالح سليمان عليه السلام أنه لم يقل : ومن كفر فإنما يكفر على نفسه ويضرها. وهذا كلام لا يُلام المرء عليه فهو تحصيل حاصل. إنما أراد أن يعلمنا أن الله تعالى غني عن العباد وعبادتهم كريماً في نفسه ، فإن لم يعبد أحد فإن عظمت له ليست مفتقرة إلى أحد . وهذا كما قال موسى مخاطباً قومه " إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد " وفي صحيح مسلم " يقول الله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا

نفسه " .

ولعل سليمان تعجّب أن يرضى أهل سبأ بامرأة تحكمهم ، فأراد أن يختبر فهمها وذكاءها ، فأمر بتغيير عرشها ليرى حكمها فيه حين تراه .

ورغب كعادته التي علمناها في حسن الخلق الذي يتحلى به صلوات الله عليه أن تتعرف على عرشها بعد تنكيره فقدم الهداية وذكر ضميره ( أتهدي ) وأخر عدم الهداية وجعله مجهولاً حين قال " أم تكون من الذين لا يهتدون " ولم يقل : أتهدي أم تضل . وهذا ما رأيناه في خطابه للهدهد ( سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ) ولم يقل أصدقت أم كذبت ، وفي هذا المعنى أدب جم من سليمان عليه السلام وحنكة قيادية فذة حين توقع الهداية بلقيس وأخبر الهدهد أنه يميل إلى تصديقه .

ينبغي التعرف على قدرات من تعاشرهم حتى تنزلهم منازلهم .. يروى أن رجلاً جسيماً يرتدي حلة فاخرة جلس بوقار إلى حلقة أبي حنيفة النعمان وهو بين تلاميذه يناقشهم في بعض المسائل ، وكان يمد رجله متعباً في جلسته متباسطاً معهم ، فجمعها إليه حين جلس هذا الرجل بينهم ، ثم بدا للرجل أن يتكلم فسأل سؤالاً لا يدل على ذكاء وفهم ، فضحك أبو حنيفة ، وقال : آن لأبي حنيفة أن يمد رجله .. وهنا نجد نبي الله سليمان يريد أن يختبر الملكة بلقيس ، ويتعرف جدارتها في حكم أهل سبأ ، فقال لمساعديه : " نكروا لها عرشها ننظر أتهدي أم تكون من الذين لا يهتدون " فغيّروا في عرشها بعض معالمه ، فلما وصلت واستقبلها أشار إلى عرشها يسألها بذكاء الأنبياء ولباقتهم : " أهكذا عرشك " ولم يسألها أهذا عرشك؟ والفرق بين الطريقتين واضح . فالأول فيه شك وجواب الثاني نفي أو إثبات . فكان جوابها على قدر السؤال حين قالت : " كأنه هو " فلم تنف ولم تثبت . وتركته في دائرة الشك . هذا كان الاختبار الأول .

أما الاختبار الثاني فكان أن طلب إليها دخول الصرح المبني بصفائح الزجاج فوق الماء ، فلم تتبين الزجاج ، فكشفت عن ساقها تظن أنها ستخوض لجنته ، فلما قيل لها " إنه صرح ممر من قوارير " علمت أنه يريد أن يربها ملكاً أعظم من ملكها ففطنت إلى مراده فاستسلمت ، وأذعنت ثم أسلمت بعد أن أقرت بما كانت عليه من الكفر . وقيل كما في القرطبي - بتصرف - : عمله ليختبر قول الجن فيها : إن أمها من الجن، ورجلها رجل حمار؛ قاله وهب بن منبه . فلما رأت اللجة فرعت وظنت أنه قصد بها الغرق :

وتعجبت من كون كرسيه على الماء، ورأت ما هالها، ولم يكن لها بد من امتثال الأمر. "وكشفت عن ساقها  
" فإذا هي أحسن الناس ساقا؛ سليمة مما قالت الجن، فلما بلغت هذا الحد، قال لها سليمان بعد أن  
صرف بصره عنها " إنه صرح ممر من قوارير" والممرد المحكوك المملس  
ولما رأى سليمان عليه السلام قدميها تزوجها عند ذلك وأسكنها الشام.





---

## آداب في قصة ( نوح عليه السلام ) في سورة هود

---

- ١- أوحى إلى نوح أن المؤمنين به بعد مكوثه بينهم تسع مئة وخمسين سنة لن يزدادوا ، فلا داعي لتضييع الوقت دون فائدة ، فالعمل يستمر إن كان مفيداً
- ٢- على الإنسان أن يبذل ما استطاع في سبيل دعوته وأن لا يدّخر وسعاً في ذلك، وأن لا يئس، فما ينبغي لمؤمن أن يئس.
- ٣- يبدأ الداعية بدعوة الناس عبر دوائر تتسع شيئاً فشيئاً ( الأسرة ، الأرحام ، الأقارب ، الحي والأصدقاء ..... ثم القوم جميعاً ) قال تعالى " وأنذر عشيرتك الأقربين " .
- ٤- يُفهم من قوله تعالى: (.. لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) أن الله تعالى وهو العالم بالغيب لم يقضِ عليهم أن يكفروا وإلا لم يحاسبهم ، إنما علم أنهم لن يؤمنوا فكتب ذلك كتابة علم لا جبر.
- ٥- يحزن المرء حين يرى الناس صادّين عن الحق بعيدين عنه ، ويكون ألمه أشدّ حين يكون ذا إحساس شفاف وقلب حيّ ( ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ) ( قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ) فحين قضى المولى أن يغرق الكافرين جزاء وفاقاً نبه نبيه نوحاً بلطف أن لا يحزن عليهم ( فلا تبتئس بما كانوا يفعلون).
- ٦- وحزنُ الداعية الكبير سيدنا نوح - ويعلم الله تعالى أن نوحاً سيحزن - يدلُّ على حبه لقومه ورغبته في إيمانهم، ألم يقل له سبحانه ( ولا تُخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ) فلا يُحاجج عن أحد منهم.
- ٧- رحمة الله وعنايته تتابع الداعية في كل أحواله ( واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ) فنوح عليه السلام ليس نجاراً ولا صانع سفن ، بيد أن الداعية يشرف على كل ما يفيد الدعوة ، ومن أخلص الله اصطفاه مولاه.
- ٨- يصيب قلب النبي نوح الالم المتواصل من سخرية قومه منه وهو يصنع السفينة ويصوّر ذلك الالم الشرط (كلّما) إذ تُسمعنا قهقهاتهم وكلما تهم الجارحة في غدوهم عليه ورواحهم، ولو علم قومه ما يُعدُّ لهم من العذاب الدنيوي والأخرويّ ما سخرّوا من نوح حين بدأ بصنع السفينة ، إنما بكوا وتضرّعوا وسارعوا إلى

الإيمان ، ولكن ما تقول في قوم صدّوا عن سبيل الله وران على قلوبهم ما كسبوا فلم ينتبهوا إلى شدة العقاب.

٩- إن من يضحك أخيراً يضحك كثيراً ، (إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يُخزيه ويحلُّ عليه عذابٌ مُقيم) إنه تهديد صريح لمن كان يعي ويعقل.

١٠- التنور بيت النار . أمّا أن يخرج الماء منه - على غير العادة- فيأيدان بتغيّر الناموس الكوني وبدء العقاب الموعود، فليسارع المؤمنون إلى السفينة التي تحملهم إلى برّ الأمان. إنها الشارة المتفق عليها ونقطة الصّفَر لبَدْء العقوبة المخرقة.

١١- لن ينحو سوى المؤمنين الذي يركبون السفينة وحدهم مع الحيوانات أزواجاً لاستمرار الحياة بعد الطوفان، لن يكون معهم أحد غير المؤمنين ولو كانوا ذوي قرى فالرحم رَحِم الإيمان ليس غير ( قلنا حمل فيها من كلّ زوجين اثنين وأهلك - إلا من سبق عليه القول - ومن آمن).

١٢- ( وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين ) هذه سنّة الحياة فأصحاب القلوب الواعية نادرة ، إن الذين يعلمون الحياة ويفهمونها قلائل ( وما آمن معه إلا قليل)

١٣- السفينة كبيرة لكنها سارت أياماً وليالي في المحيط الغامر برحمة الله تعالى وحفظه ( بسم الله مجراها ومرساها) فهو سبحانه لطيف بعباده يحفظهم من الغرق في هذا المحيط اللجّ من الجبال المائية العاتية وأمواجها المتلاطمة ، "وكل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه باسم الله فهو أقطع" وعلى المسلم أن يكون ذكرُ الله في قلبه وعلى لسانه، "إن الله يُسيّرُها"، وهو يضعها في المكان الآمن.

١٤- ولشدّ ما تصيبني النشوة وأنا أتمعن في فواصل الآيات المناسبة للمعنى ، مثالها هنا ( إن ربي لغفور رحيم) فمن اعتمد على الله وآمن به غفر له ذنوبه رحمه . ولعلنا نلاحظ انتماء نوح إلى ربه إذ قال ( إنّ ربي ) فكان التلازم بين المضاف والمضاف إليه دليل اللجوء إلى الله واللياذ به. إن الملجأ في السفينة التي أحاطها الله سبحانه بعنايته ( اركبوا فيها).

١٥- إنه إبحار مخيف يدل عليه ( وهي تجري بهم في موج كالجبال ) تجري بقوة يُحركها من أسفل - ارتفاع بحار الأرض - ومن أعلى - تدفق محيطات السماء - فوقها ماء وتحتها ماء، غارقة هي إذاً بالماء الذي يعلوها ويُعليها ،وتراهم يذكرون الله ويرجون السلامة - وهم فيها- والإنسان ضعيف فقير إلا من

رحمة الله وحفظه.

١٦ - الأبوّة - وما أدراك ما الأبوّة؟ نبع الحنان ودفء الحياة تتجلّى في نداء الأب يرى فلذة كبده يغوص في الماء ويغرق فيه فيناديه : أيّ بنيّ ،هلمّ إليّ ، فالنّجاء هنا. (اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ). إنه يدعوّه إلى الإسلام حتى اللحظة الأخيرة يريدّه معه مؤمناً بالله ، فالإيمان زأد المرء وكنزّه.

١٧ - ومن الوردّة تولّد الشوكة ، ومن الشوكة تتجلّى الوردة ، "أب نبيّ وولّد كافر" .ولن تنفع النصيحة من ارتدّ قلبه واسودّت نفسه، ألم ينصح إبراهيم عليه السلام أباه فأبى؟ هنا ينادي نوح: (يا بُنيّ )، وفي سورة مريم يخاطب إبراهيم أباه أربع مرّات : ( يا أبتِ). ولا يجب إلا من كان فيه خيرٌ أو ألقى السمع وهو نبيّة أريبٌ. لكنّ الكافر لا يرى النهاية مهما وضّحت ، فرمى الموج ولّد نوح، وهو يراه يتقطع قلبه عليه. واخذ الغضبُ أبا إبراهيم كلّ مأخذٍ.

١٨ - إنّها سورَةُ الغضب الإلهي الذي جيّش جنديّ الغرق فلم يذر منهم دياراً. ألم يتحرك هذا الجنديّ الغاضب تأييداً لموسى وقومه حين أخذ فرعون وجنده؟! (وما يعلم جنود ربك إلا هو).

١٩ - فإذا ما انتهى الأمر وسكنت السماء فلم ترسل سحابها ،وتوقف خروج الماء كانت الدنيا بحراً هادئاً لا تدري أين ترسو السفينة فليس من يابسة ، وكل ما حولك أو فوقك لونٌ أزرق . ولعل الشمس عادت بعد غياب ترسل أشعتها على الماء ، والناس في سفينتهم يسألون الله تعالى أن يتم عليهم فضله ، فما يعيش البشر إلا على الأرض ( منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى).

٢٠ - وترى الماء يتناقص ، فقد جاء الأمر الرباني للسماء والأرض كليهما أن المهمة قد انتهت فلّتستعِد كل منهما ماءها ( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ) فبدأت الأرض تعيد نصيبها من الماء إلى جوفها ( ويا سماء اقلعي) وطار ماء السماء إليها حيث كان ، ألا نقول : أقلعت الطائرة إذا ارتفعت في الجو؟ وتصور الماء ينقسم قسمين على الرغم من اختلاطه وهو يؤدي مهمته، فهذا يغوص في الارض عائداً إلى مستقرّه وذاك يرتفع في سحاب إلى حيث كان في علم الله.

٢١ - وترسو السفينة على غير ما اعتدنا أن نراها ترسو ، إنّها في أعلى جبل الجودي، وتبدو الجبال أول الأمر أرضاً منبسطة فإذا ما غاض الماء رويداً رويداً بدأت تعلو شامخة وظهر ما دونها ثم انتهى الماء في الوديان العميقة ، وعادت البحار إلى سابق عهدها وكأن شيئاً لم يكن، بيد أن الأرض طُهرت من

المستكبرين والكفرة المارقين، وتسمع صوت الحقيقة ( بُعداً للقوم الظالمين ) وليت الناس يعتبرون بما جرى للظالمين فيرعون.

٢٢- ونجد العاطفة الأبوية مرة أخرى تظهر في مناجاة الأب ربّه في ابنه الذي غرق ( ربّ إن ابني من أهلي ، وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) ويتجلى ضعف الإنسان في النبي نوح على علوّ قدر النبوة متسائلاً : كيف لا يكون ابنه من أهله فيجيبه الرحمن : إنه ليس مسلماً ، فلا يربطنا بالكافر سوى النسب أما الحب والولاء فهو الرابط الصحيح ، ألم يقاتل الصديق ابنه في بدر فيأسره ويتبرأ مصعباً من أخيه الأسير ابن أمه وأبيه " أبي عزيز " فيقول لمن أسره " اشدّد عليه يا أخي فإن له أما غنية تفديه؟ " فيقول أبو عزيز : أهذه وُصّاتك بي يا أخي ، فيجيبه مصعب : صه، إنه أخي من دونك. ألم يقترح الفاروق على الحبيب المصطفى أن يقتل كلّ مسلم قريه الأسير كي يعلم الجميع أن الصلة المرضي عنها صلة العقيدة؟ فنزل القرآن يؤيده ( ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض).

٢٣- أما ما يُقال : إنه ابن زنا فهذا قدح في شرف الأنبياء. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ( ما زنت امرأة نبي قط، وهذا دليل على براءة نساء الرسل والأنبياء من كل فاحشة على ولو كان بعضهنّ كافرات، فماذا تقول في الاتهام اللئيم للرافضة الفاسقين في أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها.

٢٤- ما أروع العودة إلى الحق سريعاً حين يُنبّه سيدنا نوح ، فنسمعه يعتذر منيباً إلى الله تعالى ويسأله الرحمة والغفران فالله تعالى يقول له: ( إني أعظك أن تكون من الجاهلين) فيؤوب إليه مقراً بخطئه (ربّ إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ) ويتوب إلى ربه من خطيئ لا يقصده طالباً الرحمة والمغفرة ( وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ) ولا يضيق الله تعالى عمله بل يضمه إلى كنفه ويعفو عن زلته فيخصه بالسلام ويبارك عليه وعلى من معه.

٢٥- ونقف على قوله تعالى ( ..وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) فنصحح فهم بعض المفسرين الذين ظنوا معنى " نوح أبو البشرية الثانية " أن من كان معه من المؤمنين عقيمون ، فقوله تعالى ( وعلى أمم ممن معك ) وقوله سبحانه ( ذرية من حملنا مع نوح) أنّ نسل البشرية منهم جميعاً.

٢٦- كما نجد الدقة في هبة البركة ، فهي لا توهب للجميع إنما تخص المؤمنين ، فجاءت (من) التبعيضية ( وعلى أمم ممن معك) تؤكد أنّ الرحمة في الآخرة تصيب المؤمنين ليس غير ، أما الكافرون فليس

لهم إلا النار والعذاب المقيم.

٢٧- وأخيراً وليس آخراً نجد الموسيقى تفرع آذاننا في كثير من آيات هذه القصة ، منه التكرار الرائع للميم ثماني مرات في قوله ( وعلى أمم ممن معك ) وانقلاب الباء ميماً في قوله ( اركب معنا ) ، فتقرؤها ( اركمّعنا ) .

٢٨- وتأمل معي ذاك التناسق الزماني واللفظي بموسيقاه المنظمة في قوله تعالى ( وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء ، وقُضي الأمر واستوت على الجودي ) ، وقيل بعداً للقوم الظالمين .

٢٩- وقد يسأل أحدنا هل غرقت الأرض كلها ، فإن كان كذلك قلنا : أكان قوم نوح يملأون الارض فكفروا جميعاً فأغرق الله تعالى الأرض كلها؟ أم كانوا في جزء من الأرض؟ فالإغراق لهؤلاء فقط ولم يَغْرَقْ غيرُهم . فنوح عليه السلام أرسل إلى قومه فقط ، فإن انكر بعضنا إن ترتفع الماء في أرض دون أرض قلنا وأين قدرة الله تعالى ؟ ألم يوقف الله تعالى الماء في البحر فسلك موسى عليه السلام وقومه البحر يابساً وماؤه على الجانبين بارتفاع الجبال؟

٣٠- لا بد من الصبر للوصول إلى الهدف . نجد هذه النصيحة تتكرر زهاء تسعين مرة في القرآن وفي قصة سيدنا نوح نجد نتائج الصبر في عاقبة الأمور ( إن العاقبة للمتقين ) .

نسأل الله تعالى أن يبلغنا مرتبة الصابرين ..

والحمد لله رب العالمين



يبدل الداعية جهده وينصح الناس ويهديهم إلى طريق الحق ولا يئس من صلاحهم فإن خامرهم شك في ذلك تحاون ، وهذا لا يكون فيمن فهم واجبه وعلمه تمام العلم ، وقد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عائد من الطائف - التي آذته - إلى مكة يقول حين عرض عليه ملك الجبال إذ جاءه يعرض عليه أن يهدم جبال مكة فوق رؤوس أهلها : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، وأبى ذلك ، ونراه صلى الله عليه وسلم في حصاره للطائف - بعد فتح مكة- وقد علم أن حصونهم لا يمكن الخلوص إليها - وقد سأله أصحابه أن يدعوا عليهم - يقول : " اللهم اهد ثقيفاً واثت بهم. "

ويظل نوح عليه السلام يدعوا قومه لا يكل ولا يمل حتى جاءه الوحي يقول " إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن " ولعله حزن لكفرهم واستكبارهم كما حزن رسول الله محمد عليهما الصلاة والسلام فقال له الله تعالى " فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً " ويخفف الله عنه قائلاً " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات " وقال كذلك " ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون " يقول الله تعالى لنوح عليه السلام " فلا تبتئس بما كانوا يفعلون " . ويظل الإنسان يعمل حتى يطلب إليه صاحب العمل أن يقف عنه وينتهي ، وصرح القرآن أن العمل يقف فقط حين تنعدم الفائدة ، أما إذا كان منه فائدة - ولو قليلة - فينبغي أن يستمر . ويأسى المرء حين يدعوا إلى الحق ليل نهار ويرى الناس منصرفين عنه إلى الهوى وحظوظ النفس..

وكان نوح عليه السلام - في إحدى حالات ضيقه من صد قومه وجحودهم - قد دعا على قومه " رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً " وكانت ساعة مستجابة . فقد حكم المولى على الكافر الذي نأى واستكبر بعد أن جاءه الهدى بالعقاب المناسب " إنهم مغرقون. "

ولا بد من العقوبة لمن ظلم نفسه وحاد عن الحق وهو يعلمه زهداً به ورغبة عنه واتباعاً للهوى، إن نوحاً ظل في قومه يدعوههم إلى الله تسع مئة وخمسين عاماً يتابعهم ، " فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً " ويلح عليهم ، ويشرح لهم وهم سادرون في غيهم ، وقد كان أحدهم يأتي بولده إلى نوح ويريه إياه قائلاً : يا ولدي لقد حذرتني جدك من هذا الرجل وتخرصاته، وها أنا أحذرك منه . وفيهم وفي أمثالهم يقول

المولى تعالى " أتواصوا به؟! بل هم قوم طاغون. "

والعقوبة في القرآن الكريم للأمم أربعة أنواع " فكلأ أخذنا بذنبه : فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " وكان عاقبة قوم نوح وقوم فرعون الغرق .

ولا بد من اتخاذ الأسباب في كل شيء ، ومنها عملية الإغراق هذه التي كتبها الله عقوبة على قوم نوح ، وإذا حُدِّثَت العقوبة وجاءتْ ف " لات حين مناص " . لقد بدأ نوح والمؤمنون معه بالعمل المؤدي إلى تنفيذ العقوبة ، فلن يُساق الناس إلى البحار ليغرقوا ، إنما البحار هي التي تجتاحهم في عقر دارهم . ولأن الغرق لا يبقى ولا يذر من يبقى على الأرض فلا بد من صنع سفينة تحمل المؤمنين مع نبيهم بين جبال الأمواج القادمة من المجهول . ويبدأ النبي نوح بعمل عمل النجارين ، غير المهنة التي اعتادها الناس منه، فبدأوا يسخرون منه ، ( نجار ، ولعلمهم يصفونه بالهبل والجنون لأنه يصنع سفينة كبيرة في مكان ليس فيه تلك البحار التي تحملها . وتصور معي الإيمان الراسخ الذي يمتاز به هذا النبي العظيم الذي يتحمل في سبيل الله كل هذه السخرية والهزء من قومه الذين يمرون به في كل آن ويسمعونه قارص الكلام وسيئه ، وهو صابر محتسب، يرى عين الرعاية الربانية تحيط به من كل جانب فيأرز إليها ، ويسكن إلى رحمانيتها ، ويعمل بمعونتها وإرشادها " واصنع الفلك بأعيننا ووحينا " وهل أكثر أماناً من حفظ الله تعالى ورعايته؟ . !

قد يسخر الناس منه بألفاظ نابية ، أو تعليق قاس ، أو ابتسامة ذات معنى ، أو إشارة فاضحة ، أو ضحكة مهينة: " وكلما مرّ عليه ملاً من قومه سخروا منه " انقلبت الأمور فبدل أن يعتمد على قومه في مؤازرتهم ومساندتهم أمام الأعداء والغرباء يجدهم أكثر الناس إساءة إليه ، وهذا أمر يحزن ويفت في العضد في كثير من الأحيان . ألم يقل الشاعر الحكيم :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

والنبي نوح عليه السلام وهو يتلقى منهم كل هذا يجيبهم إجابة الحكيم الذي يعلم أن العقوبة للمتقين، وأن الدنيا مهما طال زمنها ذاهبة بأهلها ، والويل لمن يعصي الخالق العظيم ويشاققه ، فإنه — سبحانه — يمهّل ولا يُهمّل ، ويملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ . إنهم يسخرون ، وسوف تُحسب عليه سخرتُّهم . ويهزأون ويُحسب عليهم هزءهم. ولكنهم حين تحق الحقيقة غارقون في لجة الماء في هذه الدنيا ولن ينجو

منهم أحد ، وسوف يكونون من أهل العذاب يوم القيامة خالدين فيه أبداً . فمن الذي يسخر من الآخر يا أولي الأبواب؟. " فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ . "

وجاء وقت الحسم، لقد بنى النبي نوح عليه السلام سفينة الإنقاذ، فمن يركبها؟ إنها أزواج الحيوانات، ليكون منها التكاثر مرة أخرى ، والمؤمنون من أهله والمسلمون الذين وَّحدوا الله تعالى ، أما زوجته وبعض بنيه فمع الغارقين ، لقد كفروا به مع من كفر، وليس هناك من وساطة ورحمة إلا لمن استجاب للدعوة المباركة . ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة - وهي قرّة عينه وأقرب الناس إلى قلبه - " يا فاطمة ؛ سألني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً . " كان المؤمنون قلة ، وأصحاب القلوب الشفافة وأهل الهدى أقل عدداً ولكنهم أقوى أثراً ، فليست العبرة بكثرة العدد والعدة . إنها بالنوعية الرائدة الفريدة . ألم يقل الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم " وإن تُطِغْ أكثر من في الأرض يُضْلوك عن سبيل الله ؟ " وقد قال الحبيب المصطفى في الدلالة على القلة الواعية الرائدة في المجتمعات " الناس كإبل المثة ، لا تكاد تجد فيها راحلة " .

وحين استوى المؤمنون في السفينة دعا القائد الرباني دعاء الحفظ والصون " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ " تدفقت المياه كأغزر ما تكون من الأرض ، ونزل الماء كأقوى ما يكون نزوله من السماء ، وبدأ الماء يرتفع بقوة غامراً الوديان والوهاد ، لا يترك ثقباً في الأرض إلا دخله ولا كهفاً في جبل أو تل إلا غمره ، يخطف الناس والحيوانات والأشجار ، ويأخذها أخذاً عنيفاً ، وكانت السفينة تسير بهم في موج كالجبال ، يحفظهم سيد الكائنات ويسيرهم بلطفه سبحانه ، وما الأمن والأمان إلا بمعية الله " لا إله إلا هو " ومن كان مع الله كان الله معه . ومن اتكل عليه كفاه .

كان قلب الأب الرحيم يتابع أحد أولاده ممن تنكب سبيل الهدى وخاض في الضلالة ، وهذا يحزن الأب كثيراً فهو يريد أن ينجو فلذة كبده فيكون مؤمناً ، لقد انطلق ابنه بعيداً عنه على الرغم أنه ناداه قائلاً " يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين " والإيمان شرط الركوب في السفينة ، هذا ما قرره الله تعالى وقضاه ، والفتى يقوده الغرور إلى ارتقاء جبل يظن أنه يمنعه من الغرق ، فمهما ارتفع الماء فلن يرتقي الجبل خمسَه أو ربعَه أو نصفَه ، هكذا اعتاد الناس إذا هاجمهم الماء ، وسوف يعود عاجلاً أو آجلاً إلى الانحسار، فما لأبيه يصنع سفينة ويتعب نفسه الشهور في تركيبها ويتحمل هذا العناء كله؟! أفقد عقله يا ترى ، لعله



كذلك ، ولعل الناس صادقون في وصف أبيه بما لا يليق برجل محترم ، هكذا كان يقول في قرارة نفسه حين ردّ على نداء أبيه الرحيم يستعطفه أن يكون معه في الفلك . فكان ردّه عقوقاً ظاهراً وجحوداً متمكناً في نفسه " سأوي إلى جبل يعصمني من الماء " فكان آخر ما سمعه من والده الثاقل " لا عاصم من أمر الله إلا من رحم " ففي هذا الموقف رحمة أو غضب ، ثواب أو عقاب . ولا يعلم هذا إلا قلب المؤمن المتصل بالله " ولكن أكثر الناس لا يعلمون " فما إن انتهى الأب من دعوته لابنه أن يكون معه حتى " .. وحال بينهما الموج ، فكان من المغرقين " لم تنفعه القرابة ولا النسب . فهيم هذا مصعبُ ابن عمير حين قال له أخوه أبو عزيز ، وقد أسره أحد المسلمين في غزوة بدر : يا أخي وصّ هذا المسلم بي . فقال مصعب للمسلم : اشدّد عليه يا أخي فإن له أماً غنية تفديه . فقال أبو عزيز له : أهذه وصاتك بي يا أخي؟! قال له : صه ؛ إنه أخي من دونك .

انتهت العملية في أيام معدودة ، ولا بد من العودة إلى الحياة الطبيعية : فبلعت الأرض ماءها بأمر الله واستعادت السماء ما أنزلته ، فالإقلاع ارتفاع ، ألا نقول : أقلعت الطائرة ؟ نعم لقد استعادت السماء ماءها وعادت الأمور كما يريد المولى كي تبدأ الحياة من جديد . وإذ بالسفينة ترسو في أعلى جبل الجودي لتكون عبرة للأجيال القادمة " ولقد تركناها آية ، فهل من مُدّكر " . نزل المؤمنون سادة على الأرض بمدد من الله وعون منه ، وقد كان الكفار قبل الغرق يسرحون فيها ويمرحون وكأنهم السادة الباقون ، ذهبوا كما ذهب أسلافهم من الطغاة ، وكما سيذهب أمثالهم من طغاة العصور القادمة ، ولكن " هل من مُدّكر " . وتصور معي الاستعلاء الحقيقي لرب السماء والأرض " وقيل بعداً للقوم الظالمين " . أقالها سبحانه مقررّاً أقول نجم الظلمة مهما طغوا وبغوا ، أم قالها المؤمنون وهم ينزلون من السفينة ، أم قالتها الملائكة .. بعداً للقوم الظالمين.

ولعل الأبوة حين تتملك صاحبها تخرجه أحياناً عن الصواب - ولو كان معصوماً - أو تنسيه ما أمر به قبل الصعود إلى السفينة، فيختلط عليه الأمر ، فلقد نادى نوح ربه مسائلاً : " ربّ إن ابني من أهلي " ، ألم تقرر هذا حين سمحت لي أن أحمل أهلي في السفينة ، وقد مضى ولدي فابتلعه الماء . يارب إنك أرحم الراحمين فأحيي ابني وأعده لي . أو لعله طلب أن لا يكون ابنه من أهل النار . فكان الجواب عتاباً أعاده إلى الصواب وذكره بقاعدة ما تزال هي القانون الأبدي إلى قيام الساعة . لا علاقة للنسب في العقيدة ، ولا

صلة حقيقية إلا في العلاقة الإيمانية . وما عدا ذلك لا يُعْتَدُّ به ، ولو كان من ذريتك. " إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح " وقد عاش نوح عليه السلام ألف سنة في أجواء الإيمان الحق ، فلا ينبغي أن يقع في مثل هذا الخطأ " إني أعظك أن تكون من الجاهلين "

وسرعان ما يفيء النبي الكريم إلى الحق ويقر بخطئه ويسأل الله تعالى العفو والمغفرة ، وهذا دأب القدوة الصالحة ترجع إلى الحق سريعاً . " قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ " فكان الاعتراف بالخطأ أولاً والتوبة ثانياً وطلب العفو والمغفرة ثالثاً سبيل الصالحين جعلنا الله منهم .

وينزل النبي الكريم ومن معه إلى الأرض بسلام من الله وتحية منه وبركات... إن من يؤوب إلى الله تعالى يجد غفران الذنوب وستر العيوب ، والتجاوز عن الأخطاء ويجد المغفرة تحوطه والراحة الإيمانية تغمره . هذا ما أخبر القرآن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من أنباء الرسل قبله ، ولم يكن يعلم من أنبيائهم شيئاً، وهذا دليل على أن القرآن من لدن حكيم عليم نزل به الروح الأمين على قلب الحبيب المصطفى ليكون نبراساً للبشرية يهديها إلى الصراط المستقيم .



---

## لا تقصص رؤياك على إخوتك

---

بدأ الإمام صلاة التراويح بسورة يوسف عليه السلام ، وكان صوته مريحاً ، فلم يكن صوته جميلاً ولا قبيحاً لكنّ تلاوته كانت جيدة وقراءته هادئة ، لهذا قلت إن صوته كان مريحاً ومما يزيد في راحة النفس أن مكبر الصوت يملأ المسجد دون جلبة أو ضوضاء .

قلت في نفسي وأنا أدخل المسجد : لعل الله يرزقني فكرة أدندن حولها في خواطري الرمضانية إذ لم أكن قررت الفكرة التي أدور حولها ليوم الغد . فلما قرأ الإمام قوله تعالى " يا بني ؛ لا تقصص رؤياك على إخوتك " قلت في نفسي - فقد كنا في الصلاة ولا يجوز الكلام فيها بغير الصلاة - جاءت الخاطرة فلا بدّ من إنضاجها . ولعل القارئ يشاركني اليوم الحديث عنها ، ويقدح زناد فكره فيها ، فهلّم إلى ما يفتح الله بها علينا من خير نحن نحتاجه جميعاً :

١- لا بد من صدر حنون ذي خبرة في الحياة يسدد خطوي ويشاركني همومي - إن صح أنّها هموم - أو يشاركني خواطري وتفكيرتي حين ألجأ إليه أستعين بمشورته وخبرته . وسيدنا يعقوب عليه السلام أيّده الله بالحكمة وسداد الرأي وفهم الحياة ، فقد عركها وذاق حلوها ومرّها ، وهو نبي ابن نبي وحفيد أبي الأنبياء ، والله سبحانه وتعالى يلهمه الصواب ، ويسدده بالوحي ، ثم إنه الأبّ الحاني والصدر المشفق ، والوالد المحب ، فنعيم المستشار هو لولده يوسف عليهما السلام .

٢- لا بد من الحذر والحيلة في كل الأمور ، ولا ينبغي للسر أن يتجاوز صدر صاحبه إلا إلى الأمين، وإلا شاع وعرفه القاصي والداني ، كما أن لكل منا خصوصية يحتفظ بها ، ويخفيها عن الآخرين ولو كانوا من المقربين . والأب يهمس في أذن ولده " يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك . "

٣- ولكنّ الأخ - عادة - محب ويود لأخيه الخير والسعادة والهناء ، فلماذا يحذر الأب ابنه من إخوته؟! لا شك أن الأمر خطير إن عرفه إخوته فسوف يحسدونه ، ويكيدون له . إن هذه الرؤيا بشارة بالنبوة التي تهفو لها نفوس الإخوة جميعاً فأبوهم نبيّ ، ولا بد أن يرثه في النبوة واحد أو اثنان أو أكثر ، والجميع يحرصون على ذلك ، وليس الكل أهلاً لهذه المكانة العظيمة . وسيزداد الكره ليوسف حين تتجاوزهم هذه المكانة - وهم الكبار - إلى يوسف الفتى الصغير ، لا شك أن الله يختار من يشاء

ويعصفي من يريد لدعوته ، ولكن هل يعي الجميع هذا الأمر ويرضونه ؟ أم تراهم يكيدون ليوسف ويأتمرون به إيداءً وإقصاءً؟ هكذا فكر بعضهم ثم نقّده جميعهم ، والله - سبحانه - يفعل ما يشاء .

٤- " لا تقصص رؤياك على إخوتك ، فيكيدوا لك كيداً " ونلاحظ فعل الكيد يتبعه المفعول المطلق ليصف نفسية إخوة يوسف وما فيها من الحسد والبغضاء لمن يعتبرونه سلبهم أمراً يظنونهم من حقهم " الله أعلم حيث يجعل رسالته " والإيمان الناقص إذا خالطه حقد وحسد دفع بصاحبه إلى التصرف المشين والحقم البين . ، والأب يعرف أبناءه وشدة مكرهم ، ويعلم أيضاً أن الله يحفظ عباده الصالحين ، إلا أنه لا بد من الحذر وأخذ الحيطة على مبدأ " اعقلها وتوكل " فالتوكل وحده نقص واضح ، والعقل دون توكل أكثر نقصاناً .

٥- ومن الذي يدفعهم إلى الكيد الشديد لأخيههم ؟ إنه الذي أقسم أن يغوي الناس أجمعين إلا من عصمه الله وحفظه ، إنه الشيطان الذي أقسم بالله ليحتنك ذرية آدم وليضلنهم وليزرعن البغضاء في قلوبهم فهو عدوهم الأول في هذه الحياة " إن الشيطان للإنسان عدو مبين " إنه من أخرج أباهم من الجنة وحمل على عاتقه أن يأخذ من استطاع منهم إلى النار .

٦- وهل يقدر الشيطان أن يفعل ذلك مع أبناء الأنبياء؟! وقد ربّي يعقوب أبناءه على الإسلام والإيمان ؟ ألم يوص هذا الأب أبناءه أن يكونوا مسلمين ويحيوا مؤمنين ويموتوا على ذلك " ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون " ألم يعاهدوه وهو على فراش الموت أن يعبدوا الله وحده " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون " بلى لقد عاهدوه بعد أن تعلموا الدرس واعترفوا بخطئهم أمام يوسف في مصر واعتذروا له وأنهم كانوا خاطئين وسألوا أباهم أن يستغفر لهم ذنوبهم .

٧- وليس شرطاً أن يكون أبناء الأنبياء والصالحين مثلهم فالهداية من الله ، فهذا قابيل قتل أخاه هابيل حسداً ، وهذا ابن نوح يدعو أبوه عليه السلام أن يؤمن ويركب معه سفينة النجاة ، فأبي واستكبر وقال بلهجة الجاحد المعاند: " سأوي إلى جبل يعصمني من الماء " وتنكب طريق الهداية فكان من المغرقين أهل النار .

٨- والحياة علمتنا أن الإخوة قد يكون بعضهم أشد عداوة لبعض من الآخرين ، فكم من بيوت هُدمت وكم من دماء للإخوة أريقَت بأيدي إخوانهم لمالٍ أو أرض أو امرأة أو منصب أو جاه .  
فلا بد أيها الأحباب من الحذر والحيلة ، ولا بد أن يحفظ الإنسان سرّه ، ولا بد أولاً وأخيراً أن يسأل الله تعالى العون والهداية " فالله خيرُ حافظاً ، وهو أرحم الراحمين "



كم قرأت الكتاب الكريم - فيا سبحان الله - يتجلى فيه لقارئه كل مرة معانٍ عظيمة ، فهو دائماً بين تفكر وتدبر واستنباط آيٍ ( مُتَوَلَّد ) يُدَاخِلُهُ فَيَتَعَجَّب : كيف قرأه مئات المرات بل آلافها ولم يفهم أو يخطر بباله المعنى الذي حظي به اليوم فتلذذ بمعانيه الجديدة القديمة وازداد تعلقاً به ورغبة فيه. قرأت قبل أيام هذه الآيات في قصة يوسف فبسطت بين يدي أساليب تربوية وأخلاقية ، فارتقيت في مدارجها ونعمت بثمراتها ، وأحببت أن أضعها بين يدي القارئ ، ولست مدّعياً أنني جئت بشيء جديد ، إنما أدعي أنني نزلها الحب الذي ذاق عسيلتها والتصق بها ساعات طويلة ، بله أياماً رائعة ضاء بنورها وقبس من شعلتها.

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالَوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَخَنَّا عُصَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩).

وهل يحتاج رب العزة للقسم كي نصدق آياته فتصل قلوبنا وأفئدتنا وهو الحق وقوله الحق ووعدته الحق؟! إن القسم الإنكاري - فيه أكثر من تأكيدين - دليلٌ على أن القائل لا يريد أن يبقى في قلب الحر وعقله شكٌ ولا ريب فيما يسمع أو يقرأ . وهذا أسلوب تربوي قديم جديد في تقديم الخبر وزرعه في الشغاف (فاللام ، وقد وتقديم الخبر على اسم كان، مع الجمع :آيات ، ومضافه) تأكيدات متعددة تفتح مغاليق القلوب لسماع القصة والانتباه إليها .

وهذا القسم توطئة لشد السمع وإرهافه فلا تمر كلمة والحاضرون عنها غافلون ، كما يفعل المدرس حين يدخل الصف ولما ينتبه الطلاب فيبدأ قوله مُسَلِّماً ، فيرد الجميع - تقريباً السلام عليه ثم يبدأ متسائلاً تساؤل العارف الذي لا يريد على سؤاله جواباً : أتدرون ما درسنا اليوم؟.

وكأن على الراغب في معرفة القصة أن يسأل عنها ، فالسؤال باب العلم ومنه يبدأ . ومن سأل تفتحت أمامه مغاليق المعرفة [فعلم وفهم وفكر واتعظ ( آيات ) ثم عمل ] . كما حصر السؤال في المقصود حين قال " لقد كان في يوسف وإخوته " وكثرة السؤال والسائلين إثراء للفكرة وتناول لكل جوانبها ، فيجلبها

ويبرزها واضحة يُستفاد منها .

لقد أخطأ إخوة يوسف في أمور كثيرة نحملها فيما يلي :

١- استنكروا أن يكون حبُّ أبيهم لأخويهما الصغيرين واضحاً أكثر من حبه لهم ، ونسوا أن الأب لا يفرق بين أبنائه في حبه إياهم إلا إذا وجد بينهم بارد الإحساس أو ضعيف المروءة أو الأناني غير المبالي بأبويه ولا بإخوته

٢- إن إظهار الحب للصغار لا يعني إفرادهم بالحب أو تقديمهم على إخوتهم . وقديماً سُئل حكيم: أيُّ أولادك أحبُّ إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يشفى ، والغائب حتى يعود. ويوسف وأخوه بنيامين أصغر أولاده الاثني عشر ، فهذان طفلان أو قريبان من الطفولة وأولئك شباب ورجال. ومن العادات الإيجابية أن يحب الكبار إخوتهم الصغار ويعطفوا عليهم ويكونوا لهم آباء ، لا أن يتخذوهم أعداء أو يغاروا منهم . وما يفعل ذلك إلا ضعيف العقل ضيق الصدر .

٣- كما أن الآباء الذين بذلوا حياتهم وأموالهم وجهدهم في سبيل أبنائهم لا يفعلون ذلك ليقوم الأبناء - حصراً - برد الجميل لهم ، فهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها لتعمر الأرض إلى يوم القيامة. وإن فعل الأبناء ذلك فردّوا بعض الجميل فهذا يُحسب لهم في صحائف أعمالهم وينالون الخير في الدنيا والآخرة . أما أن يفضل الآباء أبنائهم الكبار على صغارهم لأن الكبار ينصرونهم فهذا ضعف في تفكير إخوة يوسف حين قالوا " ونحن عصابة " وكأن على الأب أن يحب الكبار ويقدمهم لأنهم يدافعون عنه وينصرونه ويعملون بين يديه وهم عشرة ( عصابة ) ويوسف وأخوه اثنان فقط! وهما صغيران لا يستفيد منهما استفادته منهم.

٤- وحين يستعملون أسلوب التفضيل ( أحبّ ) فهذا يعني أنه يحبهم ابتداءً ، وليس هذا إنكارهم إنما هم يريدون الحب لهم وحدهم أو يريدون أن يكون الحب الكبير لهم ، وهذا ضعف أيضاً في النفس ونوعٌ من الأنانية ما كان ينبغي أن يكون فيهم.

٥- وتزداد وتيرة الأنانية حين يصفون أباهم بالضلال . والمقصود بالضلال هنا : البعد عن التصرف السويِّ ومجانبة الصواب ، فإنهم سيئون إلى أبيهم النبي الكريم ذي الخصال الحميدة والشمائل الرفيعة ، قالوها المرة الأولى بصفة الغائب ( إن أبانا لفي ضلال مبين ) ، ثم ازدادوا سفهاً وجرأة حين

وصفوه مرة أخرى بما لا يليق حين أسف على يوسف وأكثر من ذكره بعد سنواتٍ طوَالٍ من غيابه فيقولون له مشافهة وسوء أدب " تالله إنك لفي ضلالك القديم" وما الضلال القديم إلا ضعف العقل وسوء التصرف، فأني احترام للأب وتقدير له إذا جابهه أبناءه بالعقوق في القول والعمل وأي مكانة لهم في قلبه؟!!

٦- وهذا يأخذنا بعيداً قليلاً ، فما نزال في السورة نفسها حين وصفت النسوة زوجة العزيز بضعف النفس وسوء الاختيار حين أحبت خادمها ، وكان لها أن تحب نبياً من النبلاء لا خادماً يباع ويُشترى " امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً ، إنا لنراها في ضلال مبين " فضلالها عندهنّ مراودة الخادم . ولو انها راودت أحد كبار القوم عن نفسه لما كانت - في زعمهنّ - ضالة !.

٧- قد يتنافس رجال أعمال في مصنعين لهما ينتجان مادة واحدة فتكون الغلبة لأحدهما بسبب جودة مادّته وانخفاض سعرها مع نفاستها ، أو قد تكون معاملة هذا الرجل لزيائنه أوثق وأصدق ، فيغار الثاني منه وبدل أن ينافسه في الجودة والمعاملة الطيبة يكيد له جهرة وفي الخفاء ليقنتله أو يطيح به. وقد تجد مُدَرِّسين في معهد أحدهما أكثر علماً من الآخر وأحسن خلقاً يحبه طلابه لأنه يبذل لهم وقته وحبّه ويرغبون به ، أما الآخر فإنك تجده بدل أن ينافس زميله بهاتين الصفتين يكيد له عند مرؤوسيه ليعده عن المدرسة . وهذا الكيد ما فعله إخوة يوسف حين تجدهم يتآمرون عليه فيقترحون قتله أو يبيعه لقوم غرباء يذهبون به بعيداً. وقد تتساءل : أعدِموا الحب الأخوي وركبهم شيطانهم فأنساهم أنفسهم حين اقترحوا طريقة التخلص القاسية من أخيههم ، وهل يخطر ببال من في قلبه ذرة من خلق وحب وإيمان أن يفكر هذا التفكير وينفذ هذا القرار؟! . هذا ما لا يفعله الغريب بالغريب ، فكيف نجده في قلوب الإخوة لأخيههم؟

٨- وهم في تدبيرهم هذا نسوا أنهم يغرسون خنجر الألم والحزن الدائم في قلب أبيهم ،ومن يؤذ أباه فما أحبّه، ومن آذى أباه فلن يجد منه صافي المودة ، ولن يأمن له. ولسوف يخسرون ثقته ويطوّحون بمصالحهم التي حرصوا عليها وأساءوا في حفاظها. وماذا يستفيدون من خلّ وجهه لهم وهو يتهمهم بأخيههم ليل نهار؟

٩- كثير من ضعاف العقل والإيمان يسرقون وينهبون ثم يتوبون ! ويقصدون بتوبتهم الانتهاء



عن السلب والنهب والسرقة والغصب حين يجدون بين أيديهم أموالاً لا تأكلها النيران . فهل هذه توبة؟  
أم إن سبيل التوبة يتجلى في أن يعيد ما سرقه واغتصبه إلى أصحابه ويعتذر إليهم ويستغفر الله مما جنت  
يداه؟ فكيف يقولون " وتكونوا من بعده قوماً صالحين"؟! قس على هذا الامور المشابهة كلها .  
هؤلاء يذكروننا بـ ( الميكيا فيلية ) القديمة والحديثة .. إن من تسوّل له نفسه الإساءة إلى أخيه قتلاً أو  
إيذاء ليصل إلى هدف رخيص ما هو إلا شيطانٌ يريد يغش نفسه قبل أن يغش غيره ، ولسوف يعود  
إلى فعلته الدنيئة كلما احتاج إليها ، وما أكثر هؤلاء في عالمنا الرديء اليوم ... لا تُبنى دعائم الخير إلا  
نقية من الرجس طاهرة من المفاسد كلها .

إنه موقف استرعى انتباهي وأحببت أن أقدمه للقارئ لعل فيه فائدة في حياتنا تعلمنا أن الخير لا ينبغي  
أن يُدخله السوء .



## قضي الأمر الذي فيه تستفتيان

- قد يُسجن البريء لأنه شريف ، وَيَسْرُحُ المجرم ويمرح لأنه فاسد يبيع نفسه وينغمس في المخازي والمغريات، فهو خادم لهواه أولاً وخادم لأسياده الذين هم من طينته . ويوسف عليه السلام أبي أن يفعل الفاحشة وتمسك بالفضيلة ، فشعرت النساء بصغارهن أمامه ، ثم اتقدت في نفوسهن نار الكبر والعناد ) لكن لم يفعل ما أمره لِيُسَجَّنَ وليكوناً من الصاغرين ) ، وفضل أن يُسجن على الوقوع في المعصية ويرتفع في الآثام. وهذا بعض الابتلاء في هذه الدنيا يمحص الله تعالى به الصالحين ، ويرفع درجاتهم في عليين.

- إن سيماء الصالحين تلازم أصحابها وتدل الناس عليهم . ويبقى الصالح صالحاً والمحسن محسناً أينما كان وحيثما حلّ . في نعمة القصور ورغد العيش أو في ظلمة السجن وغياهب المعتقلات ، يتعرف بها عليهم من يعيش معه ويلازمه . فهذان فتیان دخلا السجن يوم دخله يوسف عليه السلام ( ودخل معه السجنَ فتیان ) تابعا ولاحظا تصرفاته ، فإذا هو أدب وأخلاق ، وعِلْمٌ وفهمٌ ، وذكاء وزكاء، ووقر في نفسيهما أن هذا الإنسان لم يجترم إثماً ، ولم يرتكب خطأً وأنه دخل السجن بمكيدة ومكر حاكه من لا يخاف الله ليداري سوءته ويخفي جرمه. ومثل هذا الإنسان حريٌّ أن يُستفتى وأن يُستنصح . فلما رأى أحدهما رؤيا أَرَقَّتْه جاء يعرض رؤياه عليه ويستفتيه في تأويلها، وفعل الثاني مثله، فالأول رأى نفسه يسقي سيده الخمر ، ورأى الثاني أنه كان يحمل فوق رأسه خبزاً يأكل الطير منه . ولن يجد صاحب الحاجة تفسيراً لما يورقه إلا عند من يثق بدينه وخلقه وفهمه ( نبئنا بتأويله ، إنا نراك من المحسنين ) . فلقد كان يوسف عليه السلام من سادة المحسنين وينتمي إلى دوحة النبوة المشرقة بنور الإيمان والإحسان، ( فهو النبيُّ يوسف ابنُ النبيِّ يعقوبَ ابنِ النبيِّ إسحاقَ ابنِ النبيِّ إبراهيمَ ) عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

- قرر أن يجيبهما - وهل يملك إلا أن يجيبهما؟، فمن لجأ إليك واستعان بك فمن المروءة أن تكون عند حسن ظنه . ولكن لا بد أن يغتنم فرصة انتباههما إليه ووقوفهما بين يديه فيدعوهما إلى دين الحق ويخرجهما من ظلم الشرك وظلام الكفر إلى عدل التوحيد ونور الإيمان ، فبدأ :

أولاً : بترسيخ الثقة التي أولياها إياها فأنبأها أنه يعلم بعض الأمور الغيبية التي وهبه الله تعالى علمها قبل أن تتحقق. ( لا يأتيكما طعام تُرْزَقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ) .

ثانياً: وأن هذا العلم ما أوتيهِ إلا لأنه يؤمن بالله الواحد الأحد، وأهل التوحيد هم أهل البصيرة الحقة . ( ذلكما مما علمني ربي ) . فאלله هاديهم ومعلمهم .

ثالثاً : وعلمنا يوسف - كما علم الفتيين - أن القدوة الحسنة سبيل إلى الهداية وهادٍ إلى الطريق الحق وأن على الكبار أن يعلموا الصغار دينهم، فالعلم في الصغر كالنقش في الحجر ( واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ) .

رابعاً: وذكر أن فضل الله تعالى بالهداية مبذول للناس جميعاً ، فمن شكر ظفر ( ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ) .

خامساً: ثم ساءلها ليفكرا التفكير السليم ويجيبا الإجابة الصحيحة بعد تفكر وتدبر أن وجود الآلهة المتعددة مجلبة لفساد الحياة ( لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ) فكل إله يريد أن يعلو على الآلهة الأخرى ويفرض ذاته على الآخرين . ( ... ولعلا بعضهم على بعض ... ) . وما وجود آلهة كثيرة إلا من التخرص وظن العقول القاصرة.

- لا يصاحب المسلم إلا مسلماً ولا يصادق المؤمن إلا المؤمن ، فالطيور على أشكالها تقع ، والرسول صلى الله عليه وسلم يأمرنا بهذا إذ يقول : ( لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ) وبهذا نفهم قول سيدنا يوسف للفتيين مرتين ( يا صاحبي السجن ) فقد كتب عليه أن يلتقيهما في السجن الضيق كغيرهما فكان صاحبين له في السجن ، ولن يكونا صاحبيه خارج السجن إلا إذا آمنا بدعوته وسلكا طريقه.

- والجميل في الدعوة والإجابة أن سيدنا يوسف عليه السلام كان بليغاً في الدعوة ثم الإجابة . فلو أنه أجابهما عن سؤالهما أولاً لم يلتفتا إلى دعوته لهما إلى الإيمان لأن حاجتهما إليه تكون قد انقضت . فقدم الدعوة على الجواب . ونراه أطل في الحديث والتعليل وتقليب الوجوه كما ذكرت آنفاً فكان حديثه - في دعوته - أربع آيات آخرن أطول من الأوليات ، فقد كان فيها هدمٌ لمعتقدهم الشرقي وتثبيتٌ للدين القيم الصحيح . أما الجواب عن رؤياهما فكان مبتسراً قصيراً فيه حسمٌ وقضاء لا يحتمل الاستئناف أو التطويل ، لقد كان جملتين قصيرتين ( أما أحكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ) ثم حين فاجأهما قائلاً ( قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ) . وكأنه يقول لهما : هذه هي الحقيقة ، فلا تراجعاني

فيها . فهو لا يملك تغييرها .

- ونجد ذكاء نبوياً عجيباً في الجواب. فهو - عليه الصلاة والسلام- يَعْلَمُ مَنْ ذكر أنه سقى سيده خمرًا وَمَنْ قال : إن الطير تأكل خبزه فوق رأسه . وبتعبير أدق يعلم من سينجو ومن سوف يقتل ، فلم يشر للأول أنه ناج ولم يشر للثاني أنه سيقتل . وإنما ذكر كلمة ( أحكما ) فيعرف كل منهما تأويل رؤياه دون أن يشير يوسف إلى كل واحد منهما بعينه، فقال جملة تدل على الحكمة والنباهة ( أما أحكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيُصلب فتأكل الطير من رأسه ) .

- ونراه حين يبشر الأول يذكره بالفعل المبني للمعلوم ( فيسقي ربه خمرًا ) أما الذي يقتل فقد ذكره بالفعل المبني للمجهول ( فيُصلب ) ولم يقل ( فيُقتل ) فالقتل أشد وقعاً من الصلب الذي يكون بعد القتل ولا يشعر المقتول به . ألم يؤته ربه سبحانه الحُكم والعلم وهو في بداية صباه؟ ( ولما بلغ أشده آتيناه حُكماً وعِلماً .. ) .

- وتمتّع معي بفاصلي الآيه الثامنة والثلاثين والآيه الأربعين اللتين جاءتا في مكانهما المناسب - وكل ما في القرآن جاء مناسباً لا يقوم غيره مكانه - ، فقد كانت الأولى ( ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون ) ، قد جاءت تذكر بفضل الله تعالى على الأنبياء والناس أجمعين أنّ هداهم إلى الحق فوجب شكره سبحانه . وكانت الثانية ( ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ) تأمر بالإخلاص لله وحده في العبادة وتؤكد أن الإسلام دين الله القيم الذي يرضاه الله تعالى للناس فضل أكثر الناس عنه ولم يعلموه، فجهلوه .

- وأخيراً رأى الأول أنه يعصر عنباً فيصير خمرًا يسقي سيده منه ، - والخمر لا يُعصر- إلا أنه مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون ، وهذا التعبير غاية في الإيجاز والجمال . وحين يكون الإنسان حياً - إن وضع على رأسه خبزاً - أكل منه الطير إن أمنه ولم يخفه . لكنّه حين يلقي حتفه موتاً أو صلباً ولا يُدفن أكلت منه الجوارح ولا تبالي . والله أعلم



---

## ( اذكرني عند ربك )

---

للمظلوم أن يطرق كل باب ليصل إلى حقه ، وهذا سيدنا يوسف حين أوّل لعاصِرِ الخمرِ رؤيته طلب إليه أن يذكر ظلامته عند الملك - حين يجد لديه أذنّاً صاغية - عله ينصفه ، فقد دخل السجنَ ظلماً وعدواناً على الرغم أن العزيز - زوج المرأة - حين رأى قميصه قدّ من دبر أقر أن الخطأ كان من زوجته ، وطلب من يوسف أن يتناسى الأمر كي لا ينتشر بين الناس " يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك ، إنك كنت من الخاطئين " لكن الضعيف - في كثير من الأحيان - يكون كبش فداء لمفاسد الملائم من القوم . وهذه طبيعة البشر حين يضعف الإيمان في قلوبهم . وربما ظنّ يوسف عليه السلام أن الناجي قد يُعُدُّ تأويلَ الرؤيا ديناً في عنقه يؤديه في الوقت المناسب فطلب إليه أن يذكره عند الملك عله ينال حقه المهضوم " اذكرني عند ربك "

وعلى الرغم أن يوسف عليه السلام قال في معرض أفضال الله تعالى عليه " ذلكما مما علمني ربي " وقد علمه تأويلَ الأحاديث وكان متأكداً من صدق تأويل الحلم فإن القرآن استعمل كلمة " ظنّ " بدل كلمة " علم " في قوله تعالى " وقال للذي ظنّ أنه ناج منهما " وهذه لفظة تربوية رائعة تفيد أن العلم يبقى ظناً ما لم يتحقق . وكثير من الناس يخطب المرأة ويؤثث البيت ويحدد تاريخ الزفاف ويدعو الناس إلى مشاركته فرحته ، وقبل الدخول بأيام أو أقلّ من ذلك يكون الفراق موتاً أو اختلافاً .. وقد يَعِدُّك أحدهم بأميرٍ ما ، وتعتقد أن الأمور صارت بين يديك فإذا الأمر وهمٌ وسراب .

بعض المفسرين يجعل الضمير في " فأنساه الشيطان ذكر ربه " عائداً إلى يوسف عليه السلام ظاناً أن الله تعالى عاقب هذا النبي الكريم الذي طلب العون من غير الله بالبقاء في السجن سبع سنين لأن الشيطان غلبه تلك اللحظة ، وما كان له أن ينتظر الفرج من غير الله تعالى ونسي هؤلاء المفسرون أن على الإنسان أن يخطط للوصول إلى هدفه ويتخذ الأسباب ، و يكلّ أمره إلى الله تعالى أولاً وآخراً .

وبعض المفسرين أعادوا الضمير إلى الذي رأى نفسه يعصر العنب ، ويقدم الخمر لسيده ، فأنساه الشيطان وصية يوسف . وهذا التفسير الثاني هو الحقُّ بدليل قوله تعالى بعد أن طلب الملك تفسيرَ رؤياه وإعلان الملائم أنهم لا يعلمون تأويل الأحلام " وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة ... " والادّكارُ هو التذكر

بعد النسيان الذي ضربه الشيطان عليه سنوات طويلة .

في بداية الأمر أعلن الملاء أن ما رآه الملك " أضغاث أحلام " ثم استدركوا ما قالوه . لقد كان الحلم مقلقاً للملك حتى إنه جمعهم وسألهم تأويله ، فجوابهم الأول كان تسرعاً وتخلصاً غير موفق فأتبعوه بالاعتراف بجهلهم حين قالوا " وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين " وهذه محمداً لهم تُحسب لصالحهم ، فنصف العلم " لا أدري " والاعتراف بالواقع فضيلة .

وقت النجاة في علم الله ، ولا يدري أحدنا متى يأتيه الفرج . ولربما لا يجزو الساقى أن يشفع ليوسف ولو تذكره ، فخصام يوسف مع النبلاء ، والملاء من القوم الذين أودعوه السجن لستر مخازيهم ووادى القصة التي يزعجهم انتشارها ، ولن يفرط الملك بولاء حاشيته للنظر في قضية شاب مغمور ! إن الساقى لن يجد من الملك أذنأ صاغية . هذا لو لم ينس ، فكيف وقد نسي؟ إن للفرج أوقاتاً يأذن بها الله تعالى ، فتجده بين يديك سهلاً ميسوراً بعد أن كنت تظنه صعب المنال ، وكلنا لمس ذلك بيديه ورآه بعيني قلبه ورأسه . فالساقى يرى ويسمع ، يرى تلطف الملك لمعرفة ما رآه ، ويسمع ضعف جواب الآخرين فيتذكر يوسف الذي أول له رؤياه ، وبشره بالنجاة فقال واثقاً " أنا أنبئكم بتأويله ، فأرسلون "

باختصار للموقف سريعٍ تنتقل إلى السجن فنسمع الساقى يخاطب يوسف عليه السلام بأدب واحترام - وللمؤمن التقى مكانته الرفيعة ولو كان في السجن - " يوسف أيها الصديق.. " ومرتبة الصديق لا ينالها إلا من يستحقها عن جدارة . وقد تسمعها ممن يكرهونك في اعتقادٍ ويخالفونك في فكرة ، لكن دخائلهم تعترف بخُلُقك وصدقك وأمانتك . وكم سمعتُ من العلمانيين وفاسدي العقيدة والذمم قول بعضهم لبعض: " أنت رفيقي في الهدف وزميلي في المهمة إلا أنني أعرفك سارقاً ولصاً ولا آمنُ إلا للإسلاميين في الأمور المالية والحفاظ على ما بحوزتهم من أمانة ..

قد يستغل بعضهم مثل هذه الحالة للوصول إلى غايته قائلاً جاءني على قدميها . فهل أحجم يوسف عن الجواب وأباه إلا أن ينظر الملك في أمره؟! وهل كانت مساومةً بين رسول الملك ويوسف عليه السلام؟ لم يكن النبي يوسف عليه السلام ليفعل ذلك ، فثقتة بفرج الله لا تشوبها شائبة . ومن الله ينتظر الخلاص ، فلم يأل أن فسر رؤيا الملك الذي أعجب بذكاء (السجين المفسر) وعلمه الذي لم يجد مثله في بطانته ، فطلبه إلى قصره ، يريد أن يراه وأن يكلمه .

قد يظن من لا يعرف القصة ولم يقرأها في كتاب الله تعالى أنّ يوسف يرى إعجاب الملك به الذي أخرجته من السجن غايةً المنى ، فسوف يخرج إلى النور محمولاً إلى الملك دفعة واحدة وسيتخلص من سجنه . لكنه أحجم عن الخروج من السجن حين دعاه الملك وعفا عن جرمه!، وسيظل في أعين الناس مخطئاً موصوماً بجريمة كبيرة ، وستثبت إدانته إن رضي بالعفو عن جريمة لم يرتكبها . وهو - الداعية - لن يصدق أحد إن دعاه إلى الله وأمره بالشرف والمروءة وكريم الأخلاق ، يريد أن يخرج من سجنه بريئاً . لا بد إذن من التحري عن الحقيقة التي تعيد له اعتباره وترفعه في أعين الناس " ارجع إلى ربك فأسأله : ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ إن ربي بكيدهنّ عليم " .

إن الملك حين وجد في هذا الشاب السجين علماً ومروءة وعزة نفس ولما يره بعد - ازداد رغبة في لقائه ، وصدّقه ابتداءً فتبّنى قضيته واستقدم النساء يسألن الحقيقة ويتهمهنّ " ما خطبك إذ راودتني يوسف عن نفسه؟" اتهام مباشر يصدر عن الملك الذي اطمأن إلى صدق يوسف ، فأسقط في أيديهنّ، فليس لإحداهنّ أن تخاصم الملك أو تخفي عنه حقيقة يتحرّى عنها ويسعى إلى استجلائها ، فاعترفن بخطئهنّ وبراءته " قلنّ حاش لله ، ما علمنا عليه من سوء " ولم تجد امرأة العزيز بداً من الاعتراف بالحقيقة كاملة ف قالت معترفة بما فعلت " الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين " وحصحص الحق: ظهر بعد خفاء . فكيف يخون الشاب المؤمن الذي أنشأه الله تعالى على الشرف والفضيلة وكريم الشرائع من ربّاه وحذب عليه؟ يقولها بلهجة الصدق وقد عزا الخير كله إلى الله تعالى ، فالنفس البعيدة عن الله توقع صاحبها في الخطأ ، وما نجّاه من الوقوع في الخطيئة إلا اللجوء إلى الله تعالى والاستعانة به ، والاعتماد عليه: " وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي .. " .

قال الملك في المرة الأولى " إيتوني به " ليراه ويتعرف عليه ، وزاد عليها في الثانية حين عظّم في عينيه " إيتوني به أستخلصه لنفسي " فجعله مستشاره بعد أن وثق به ورأى فيه سمات رائعة رفعت عنده مقامه . وكلمته وأعجب به ، فبوّاه منه مقاماً مرموقاً . " إنك اليوم لدينا مكين أمين " وما كان التمكين إلا بسبب الأمانة ، ولا يكون الرجل أميناً إلا إذا رُبي على التقوى فكانت الدنيا في يده والآخرة في قلبه. وما بعد التقوى والتمكين في الأرض إلا أجر الآخرة .. إنه فلاح في الدارين ، وسعادة في الحالين .



---

## " إيتوني به أستخلصه لنفسي "

---

- رأى الملك رؤيا عجيبة، سبع بقرات عجاف يأكلن سبع بقرات سمان ، وسبع سنبلات يابسات يأكلن سبع سنبلات خضر، فسأل أولى العلم عن تأويل ما رأى فاعتذروا قائلين " أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين " وما ينبغي لمن لا يدري أمراً أن يدلي بدلوه فيه . فكانوا صادقين فيما أجابوا، وهذا دأب المستشار الأمين ، يقول ما يعرف ويسكت عما يجهل ، وكثيراً ما كان مالك بن أنس رحمه الله تعالى عالم المدينة يجيب عن سؤال أحدهم: لا أدري، ويعقب قائلاً : نصف العلم لا أدري .

-وهنا يتذكر ساقى الملك الذي كان أحد اللذين استفتيا يوسف عليه السلام في السجن لحلم رآه أنّ يوسف قال له " اذكرني عند ربك " - الملك - فنسي الأمر سبع سنوات ، ثم تذكر الصديق يوسف ، فأخبر الملك بقصته وأنه يستطيع أن يفسر الرؤيا فأرسله الملك إلى يوسف عليه السلام يستفتيه في ذلك ، فيجيبه يوسف عليه السلام: إن سبع السنوات القادمة فيهنّ خيرٌ كثير ينبغي أن يُحتفظ بجلّ خيرهنّ لسبع سنوات تليهنّ شديداً يأكلن الأخضر واليابس ، ثم يعود الخير في السنة الخامسة عشرة . وهنا يودّ الملك أن يتعرّف على المفسّر القابع في السجن ليجعله من بعض خدمه كما فعل بالساقى نفسه، فقال " إيتوني به "

- فهل اغتنم الصديق يوسف عليه السلام هذه الدعوة ليخرج من السجن بعفو ناقص لا يعطيه حقه ولا يبرئه من الظلم الذي وقع عليه ؟ وليظلّ في أعين الناس رجلاً حاول ان يعتدي على شرف من آواه في بيته وعامله معاملة الابن ؟! إنه إن فعل ذلك فقد أثبت التهمة عليه مدى الحياة ، ولن يستطيع بعد ذلك أن يقوم بواجب الدعوة بين أناس ينظرون إليه بريبة وشك ، وكيف يصدّقونه فيما يدعوهم إليه وهو متّهم بأخلاقه مشكوك بصدقه ؟! فلن يخرج من السجن إلا بريئاً يمشي بين الناس مرفوع الرأس طاهر الثوب يعلم الجميع أنه ظلّم تلك السنوات الطويلة وأنه كان مثال الأخلاق الكريمة والسيرة العطرة ، فقال للساقى " ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهنّ ، إن ربي بكيدهنّ عليم " وحين تعترف النساء بنصاعة أخلاقه وكريم شمائله تضطر امرأة العزيز - وقد رأت نفسها وحيدة لا يُساندها أحد - أن تقر بذنبها وتعترف بجريرتها ، فدعا الملك النسوة مشدداً عليهنّ أن يقلن الحقيقة " ما خطبُكنّ إذ راودتُنّ يوسف



عن نفسه " ولعل سائلاً يسأل : لماذا صدّق الملك دعوى يوسف بالبراءة - وهو لم يره بعد - فتبتّى موقفه واتّهم النساء بمراودة يوسف ؟ والجواب : ما من رجل يرفض عفو الملك ويأبى الخروج من السجن دون تحقيق إلا إذا كان بريئاً من التهمة التي رُمي بها ، وكان صادقاً فيما يدّعيه ومطمئناً إلى قوّة موقفه .

- حين رأت النساء أن الملك يخاطبهنّ كمن يعرف الحقيقة أقرن بها ونفن التهمة عن يوسف عليه السلام " حاشا لله ، ما علمنا عليه من سوء " ، وهنا لم يكن لامرأة العزيز بد من أن تعترف بالحقيقة ، وتبرئ المتّهم المظلوم ، وتقر أنّها المذنبة التي راودته عن نفسه " الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين " فلما تناهى اعترافها إلى الصديق يوسف وهو لما يزل في سجنه قال بلهجة الواثق من نفسه " ذلك ليعلم أيّ لم أخنه بالغيب ، وإن الله لا يهدي كيد الخائنين " فيوسف عليه السلام الذي رياه الله تعالى على عينه لا يخون من رعاه في بيته وأمنه على عرضه وشرفه .

- ويكبر يوسف عليه السلام بعين الملك ، فيقول " إيتوني به أستخلصه لنفسي " . لقد قال في المرة الأولى : " إيتوني به " ، فلما عرف قدر يوسف وعظم شأنه في نفسه زاد في قوله " أستخلصه لنفسي " لقد كان يريده واحداً من ضمن خدمه في المرة الأولى ، وأراده في المرّة الثانية مستشاراً أميناً يُعتمد عليه في كبار الأمور وجليلها ، وقربه إليه ، وقال له حين التقاه وكلّمه فرأى فيه النباهة والصدق " إنك اليوم لدينا مكين أمين " إنه ذو مكانة لا تضاهيها مكانة ، مكين لأنه كريم الشمائل أمين .

- إن من أراد أن يعلو بقدره بين الناس مسموع الكلمة عظيم المكانة فليكن صادقاً مع نفسه، حافظاً للأمانة لطيف المعشر، متحجباً إلى الناس ... صلى الله على يوسف الكريم ابن الكريم يعقوب ابن الكريم إسحاق ابن الكريم إبراهيم . وعلى الحبيب المصطفى محمد وعلى الأنبياء جميعاً .



## جماليات في سورة يوسف

كلما قرأت سورة يوسف تبدى لي جمال جديد فيها ، وهذا من روعة القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه .

صلى فينا الإمام صلاة العشاء أمس ، فقرأ من سورة يوسف طريقة احتجاز يوسف أخاه بنيامين وتعريفه بنفسه وعودة الإخوة إلى أبيهم معتردين عن إخلافهم وعدهم بالعودة إلى فلسطين ومعهم أخوهم المحتجز إلى أن وصل الإمام إلى قوله تعالى ( :وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ) (84) فقلت في نفسي : إنهم أخبروا أباهم بما حصل لبنيامين فلم يظهر يعقوب عليه السلام الحزن عليه إنما ذكر يوسف وتأسف على فراقه . فلماذا يا ترى طغى شوقه إلى يوسف على حزنه لاحتجاز أخيه بنيامين؟! مع أن هذه الحادثة جديدة ، وحادثة يوسف قديمة . ثم قلت مجتهداً :

١- لعله إذ علم أن سجن بنيامين معروف زماناً ومكاناً تأثر أن يوسف غائب في مكان لا يدره ولا يعلم الوقت الذي سيلتقيه فهو يشنقه.

٢- وقد تُظهر المصيبة الجديدة المصيبة القديمة فتفجرها كما يتفجر البركان فجأة والناس من حوله يظنون أنه خمد.

٣- ولعله إذ علم أن بنيامين سجن في مصر فهذه توطئة أو إشارة لمعرفة مكان أخيه ، وأن الفرج قد دنا.

٤- كما أن الأخ الأكبر بقي في مصر ليكون قرب أخيه بنيامين ولم يأت إلى فلسطين " فلن أبح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين " فاجتمع في مكان واحد ثلاثة إخوة ، وهذا إيذان آخر بقرب الفرج واجتماع الجميع تحت كنف أبيهم ، فقال يعقوب عليه السلام "... عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم

٥- فلما اشتد حزنه وابيضت عيناه خشي عليه أبنائه فقالوا " : قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ " (85)

حتى تكون حرصاً أي تالفا

وقال ابن عباس ومجاهد : دنفا من المرض ، وهو ما دون الموت ؛  
قال الشاعر :

سرى همي فأمرضني \* وقدماً زادني مرضا  
كذاك الحب قبل اليوم \* مما يورث الحرصا

وقال قتادة : هرما

قال الضحاك : باليا دائرا

قال محمد بن إسحاق : فاسدا لا عقل لك .

قال الفراء : الحارص الفاسد الجسم والعقل ؛ وكذا الحرص

قال ابن زيد : الحرص الذي قد رد إلى أرذل العمر

قال الربيع بن أنس : يابس الجلد على العظم

قال المؤرج : ذائبا من الهم

وقال الأخفش : ذاهبا

وقال ابن الأنباري : هالكا

وكلها متقاربة .... وأصل الحرص الفساد في الجسم أو العقل من الحزن أو العشق أو الهرم ، قاله أبو  
عبيدة وغيره

وقال العرجي

إني امرؤ لج بي حب فأمرضني \* حتى بليت وحتى شفني السقم

وقال امرؤ القيس

أرى المرء ذا الأذواد يصبح محرضا \* كإحراض بكر في الديار مريض

قال النحاس : وحكى أهل اللغة أحرصه الهم إذا أسقمه ، ورجل حارص : أحقق

"لا تثريب عليكم"

ثَرَبَ : عَيَّرَ وَوَبَّخَ . وأصل التثريب الإفساد ، وهي لغة أهل الحجاز.

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي الباب يوم فتح مكة ، وقد لاذ الناس

بالبيت فقال ) : الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ( ثم قال ) : ماذا تظنون يا معشر قريش ( ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم وقد قدرت ؛ قال ) : وأنا أقول كما قال أخي يوسف " لا تثريب عليكم اليوم

فقال عمر رضي الله عنه : ففُضْتُ عرقا من الحياء من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ذلك أني قد كنت قلت لهم حين دخلنا مكة : اليوم ننتقم منكم ونفعل ، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال استحييت من قولي

وفي قوله تعالى : قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) من سورة يوسف

يقول عطاء الخراساني : طلب الحوائج من الشباب أسهل منه من الشيوخ ؛ ألم تر قول يوسف " : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم " وقال يعقوب " : سوف أستغفر لكم ربي . " وقال بشر :

ف عفوت عنهم عفو غير مثرب \* وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وجمال التعبير واضح في قوله : ( وانته به إلى القراءة في قوله )

( لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ) ... وفي قوله

( اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين ) .

ففي الأولى : لا تعيير ولا توبيخ لكم اليوم . بل أسأل الله لكم العفو والمغفرة .

وفي الثانية : لا تعيير ولا توبيخ ، ( إن هذا اليوم يوم عفو وغفران ) .

" قميص يوسف " :

من اللافت للنظر أن للقميص في قصة يوسف دوراً عجيباً ، فقد ورد ثلاث مرات :

الأولى " : وجاءوا على قميصه بدم كذب " ، ولم يكن القميص ممزقاً ، فبان كذب إخوته .

الثانية " : وقدَّت قميصه من دُبُرٍ وألفيا سيدها لدى الباب " فحكم المرافق بصدقه حين قد من دبر ،

ولو قُدَّ من قُبُلٍ لأتَّهموه .

الثالثة " : اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً . " فكان القميص إيذاناً بجلاء العمى

واجتماع الشمل .

فكان للقميص بإذن الله فوائد طريفة.....



## تجد المرء قوياً حين يكون صادقاً.

حين أساء إخوة يوسف إليه ، فألقوه في الحب وذهبوا إلى أبيهم عشاء ليكون قالوا له : ( وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ) و ( لو : حرف امتناع لامتناع ) ولا أرى ( لو ) : حالية كما يقول بعضهم ، لقد اقرؤا - دون شعور - منهم أنهم كاذبون ، فزلة اللسان تفصح عن حقيقة الجنان ، وتفضح الكاذب ، فقد جاءوا أباهم عشاء يخفون في ظلمة الليل سوء فعلهم .

لكنهم في احتجاز " بنيامين " - في مصر - قالوا بملء الفم : ( وإنا لصادقون ) جاءوا على أعين الناس واستشهدوا بمن كان معهم في القافلة ( واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ) ( ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات .. )

أقرأ قوله تعالى في سورة سيدنا يوسف : " ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسخثنه حتى حين " فأرى فيها ما يلي :

١ - ليس قرار سجن يوسف صادراً بناء على أوامر الوزير الاول وحده - الذي رُئي سيدنا يوسف في بيته ورعاه - إنما القرار في سجن يوسف رغبات النبلاء والوزراء الذين رأت زوجاتهم - في ضيافة امرأة العزيز - شاباً وسيماً خرج عليهنّ بأمرها ، تريد أن تتأثر منهنّ حين خُصنّ في قصة حبها للشباب الجميل يوسف ، فدهشن من جماله فجرحن أيديهنّ دون أن يشعرن وهنّ مأخوذات بحسنه الآسر ، وكُنّ يسخرن من حبها لفتى اشتريته بمالها ، وكان ينبغي عليها أن تحب نبياً من النبلاء أو فارساً أو وجيهاً ، أما أن تحب خادمها ومتبناها فهو ( ضلال مبين ) وخطأ كبير لا يليق بمقامها . هذا هو الضلال بمفهومهنّ .

٢ - والواو في ( رأوا ) دليل على أن الرجال غاروا من ميل النساء ليوسف وأنهنّ طلبنّ إليه الفاحشة كما فعلت امرأة العزيز ، ودليل طلبهنّ تصريح امرأة العزيز أمامهنّ برغبتها فيه دون مواربة ( فذلكنّ الذي لُمتنني فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ، ولئن لم يفعل ما أمره لُيسجننّ ، وليكوننّ من الصاغرين ) وما صراحتها الشديدة أمامهنّ إلا لأهنّ رغبين ما رغبته ، كما أن الملك حين رأى يوسف يريد البراءة قبل خروجه من السجن - ولا يفعل هذا إلا الواثق بنفسه الصادق في حياته - تبى موقف يوسف ووثق به وقال للنساء يتهمهنّ بمراودته ( ما خطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه ) فأقرن بذلك واعترفنّ بنصاعته وطهارته

عليه السلام، وسوء دخيلتهنّ وقبح ما طلبنّ منه.

٣- لماذا قرروا السجن ولم يتخذوا قراراً آخر كأن يُباع أو يُعزّب فيتعد عن نظر النساء فينسيهه ، ولعل الجواب : إن الإبعاد لا يمنع العاشقات أن ييحثن عنه ويتابعنه فكيد المرأة كبير ، هذا ما قاله العزيز حين علم الحقيقة، فقال قولته المشهورة ( إنه من كيدكّن إنّ كيدكّن عظيم) أما السجن فيبقيه حبساً تحت أنظار أولى الأمر وليس للنساء أن يزرنه في السجن أو يلتقينه. وسينسيهنّ الزمنّ يوسف ، فليبق في السجن بضع سنين.

٤- ينبغي أن يكون السجن للخاطئ لا للشريف الطاهر ، وكان من المفروض أن يكرم يوسف لشرفه وطهارته أما أن يُعاقب بجريرة غيره فهذه وهدة الفساد ودرك الظلم وهمجية البشر حين تنقلب المفاهيم وتتمكن الأهواء في نفوسهم. فيعاقب المحسن ويكافأ المذنب ، إنها سنة الجاهلية في ترك الشريف دون عقاب ومحاسبة الضعيف وحده على ذنب اقترفه ، أو يكون ضحية النظام الفاسد وقرباناً للمتنفذين . وما أكثر ما نراه في حياتنا التافهة هذه.

٥- ( من بعد ما رأوا الآيات) والآيات هنا الدلائل والبراهين على انغماس نسائهم في الرذيلة حتى أخمص أقدامهنّ ، وبعد أن صار يوسف مهوى قلوب النساء وغاية أمنيائهنّ، ومدار حديثهنّ . مجتمع فاسد لا ضابط من الأخلاق يضبطه ، ومن أشد الأمور قساوة على الرجال أن يروا نساءهنّ يعزفن عنهم وينشغلن بغيرهم . وكان الأولى أن تكون التربية والأخلاق صمام الأمان في المجتمعات فيعرف كل امرئ حقه وحق غيره فيقف عند حدّه ولا يتعداه.

٥- ولأنه بريء فسوف يُسجن ( حتى حين) حين تئس النساء منه - في سجنه- وينسيهه ، أهى سنة أو سنتان أو أكثر بين السجناء بأنواعهم الكثيرة المتعددة؟! وعليه أن يتحمل قرار السادة ، أليس غريباً بينهم ضعيفاً لا سند له ، اشتراه سيدهم بماله ، فعليه أن يرضى بما يتخذونه دون اعتراض . ... هكذا كان ، وطال سجنه سنوات سبعا ونسيه السادة أو تناسوه كعادتهم ، لولا لطف الله تعالى وحكمته التي أرادت للبشرية أمراً لا ندره ... حتى كانت رؤيا الملك ، وكانت الحرية ...



---

## مكر النساء

---

-قالت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم

ما أشد مكرها !!

ادعت الشرف والطهارة

واتهمته

وجعلت من نفسها قاضية فحكمت عليه

وحددت العقوبة.

-قال: هي راودتني عن نفسي

فدافع عن نفسه

ونفى التهمة عنه

واتهمها

ولا يجوز المؤمن أن يسكت عن حقه أو يذل لغير خالقه

لم يقل :راعية البيت او سيدي بل قال: هي . وما أدراك ما هي . فلن يكون الكافر سيذا للمؤمن

- (وشهد شاهد من أهلها

هو من أهلها.

قال الحق ولم يحابها

فالحق أحق أن يقال

والرجل الحق ولو كان مشركا تأبى مروءته وتأبى أخلاقه أن يميل إلى الظلم وأهله

والحر-أيا كان- يسعى للعدل وينصره.

والمسلم أولى بهذا.. ينصر الحق ويحارب الباطل





## درس بليغ من لقمان الحكيم (١)

عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى إليكم من شأن لقمان ؟ قال كان قصيرا أفطس الأنف من النبوة . وقال يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة .

وقال الأوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يذكر ألمه من سواده فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر

وكان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال اذبح لنا هذه الشاة . فذبحها قال أخرج أحب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه :أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أحب مضغتين فيها فأخرجتهما. فقال لقمان إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أحبث منهما إذا خبثا.

وكان لقمان قاضيا على بني إسرائيل في زمان داود عليه السلام، فأتاه رجل وهو في مجلس يحدث الناس، فقال له أأنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى؟ قال صدق الحديث والصمتُ عما لا يعنيني. وفي رواية قال: قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني. ولأن كونه عبدا قد مسه الرق ينافي كونه نبيا لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها. ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا.

ووقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان أنت عبد بني الحسحاس ؟ قال نعم قال أنت راعي الغنم ؟ قال نعم . قال أنت الأسود ؟ قال أما سوادى فظاهر فما الذي يعجبك من أمري ؟ قال وطئ الناس بساطك وغشيهم بأك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخي إن صغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك . ثم قال لقمان إن غضبي بصري وكفي لساني وعفة طعمتي وحفظي فرجي وقولي بصدق ووفائي بعهدي وتكرمتي ضيفي وحفظي جاري وترك ما لا يعنيني هو الذي صيرني إلى ما ترى . وروي عن أبي

الدرء أنه قال يوماً: ذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتي عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلاً صمصامة (حازماً) سَكَّيتا طويل التفكير عميق النظر، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيده إياها أحد.

وكان قد تزوج وولد له أولاد، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي . وعن قتادة قال : أتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها،

قال تعالى " ولقد آتينا لقمان الحكمة " وهو الفهم والعلم والتعبير ووضع الأمور في نصابها والإحاطة بمجريات الأمور على قدر كبير لا يقدر عليه إلا الذين وهبهم الله سبحانه الذكاء والحكمة والنظر الثاقب . ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وكان عليه أن يحمد الله ويشكره " أن اشكر الله " ومن شكر الله تعالى ارتقى رتبة الشاكرين وعاد نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى " ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهّدون ومن شكر فإنما يشكر لنفسه " فالله تعالى يهب دائماً الشكر النعمة تترى لا تنقطع . " وقوله " ومن كفر فإن الله غني حميد " غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً فإنه الغني عن سواه .

ومن ضمّ هذه السمات بلغ من المجد غايته وشاع ذكره في العالمين ونال رضا المولى فكان من الخالدين.



## درس بليغ من لقمان الحكيم ( ٢ )

العاقل من وعى دروس الحياة وخبرها وعلم الناس وأرشدهم فكان أستاذاً بحق ، بدأ بنفسه ثم أهله ثم الأقرب فالأقرب . وكان لقمان الحكيم من هؤلاء المربين الناجحين الذين ذكرهم القرآن الكريم وأعلى شأنهم. فتراه ينصح ولده متحبياً فيناديه بكلمة التحبب ( يا بُنَيَّ ) ثلاث مرات :

١ - الأولى يعظه فيها بعبادة الله تعالى وحده ، وعدم الإشراف به سبحانه. " يا بُنَيَّ ؛ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم "

٢ - الثانية: بيان عظمة الله القادر على كل شيء العالم بكل شيء. " يا بُنَيَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير "

٣ - نصائح لا بد منها أمراً ونهياً ترفع شأن صاحبها وتجعله في بؤرة الرضا. " يا بُنَيَّ أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور، ولا تُصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختار فخور، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير. "

فالعظة الأولى وهي عماد الحياة توحيد الله تعالى ، فالشرك ظلم عظيم. والظلم نوعان ،

١ - أما أحدهما فظلم الإنسان نفسه في الشرك يؤدي به إلى غضب الله عليه ومعاقبته بالنار والعذاب الشديد الدائم والعياذ بالله من غضبه وعذابه.

٢ - وثانيهما أن يظلم الإنسان حقَّ ربه في إفراجه بالعبادة وحده. وقد يتساءل أحدهم معترضاً : إن الظلم يكون من القوي على الضعيف ، فكيف يظلم الإنسان ربه حقَّه؟! والجواب أن اللغة العربية واسعة المعنى متسعة الأفكار ، ولهذا نزل القرآن بها لأنها تتسع له وهي قادرة على توليد المعاني ، والدليل على ذلك حديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم في صحيحه : " إن الله عز وجل يقول، يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني . قال: يا رب ! كيف أعودك ؟ وأنت رب العالمين . قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده . أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني . قال : يا رب ! وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين . قال : أما

علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم ! استسقيتك فلم تسقني . قال : يا رب ! كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين . قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه . أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي " فالمولى تعالى خالق المرض والطعام والماء والزمان والمكان . وهو المحدث لكل هذا ( الذي خلق الحدث ) لا يتأثر بالحدث ومع هذا نجد الحديث الشريف يذكر الله تعالى موجوداً عند المريض - وهو الذي لا يحده مكان-ويستطعم ويستسقي - وهو المنزّه عن النقصان - ليقرب المعنى إلى عبده ، فيفهم العبد المطلوب ويعمل به ،

والملفت للنظر بل الجميل في المعنى والمبنى - أيضاً- أن بين الموعظة الأولى والموعظة الثانية آيتين لهما علاقة بالبر بالوالدين ذكرهما القرآن الكريم للتأكيد على الإحسان إليهما ، فالآباء هم الذين يربون أبناءهم على الإيمان بالله ويدلوهم على طريقه . ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: "يولد الإنسان على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" فكما أنّ علينا واجب الشكر لله فمن واجبنا أن نشكر آباءنا مع شكرنا لله تعالى " أن اشكر لي ولوالديك " فالله تعالى سبب الخلق والآباء السبب المباشر لوجودنا. والشكر للطرفين واجب على أن لا يتعارض شكر الوالدين بشكر الله تعالى فشكره - سبحانه- المقدم. ويوجه القرآن الأبناء إلى معاملة آبائهم المعاملة الطيبة ولو كان الآباء مشركين فحسابهم الاعتقاديّ على الله . والعظة الثانية تعليل لوجوب عبادة الله وتوحيده ، فهو سبحانه العالم بكل شيء المتصرف بكل شيء والقادر عليه . والقرآن يعلمنا قاعدة مهمة في الحياة : (التعليل ) فمتى اقتنع الإنسان بأمر فعلة والتزمه وثابر على أدائه.

والعظة الثالثة أوامر ونواهٍ . وهكذا الحياة بقوانينها وأنظمتها كما أن الأوامر عادة ما تكون أكثر من النواهي . فالنواهي هنا أربع ( لا تشرك بالله ، لا تطعهما ، لا تصعّر ، لا تمش ) والأوامر أكثر فهي تسع ( اشكر ، صاحبهما ، اتبع ، أقم الصلاة ، وامر بالمعروف ، انه ، اصبر ، اقصد ، اغضض ) وهي وإن كانت على شكل نصائح فهي قواعد لا بد من التزامها فالحياة تقوم عليها ، وهي عصارة تجارب المرء المحرب العقل الذي خبر الحياة نظراً وتأملاً وعملاً

كما أن لقمان يذيل بعض نصائحه بحكمة مناسبة فبعد قوله: "اصبر على ما أصابك" ذيلها بقوله: "إن ذلك لمن عزم الأمور" وحين نهاه عن التكبر والتعالي على الناس ذيلها بقوله "إن الله لا يحب كل مختال

فخور " وحين نهاء عن رفع الصوت برره قائلاً " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " ومن الذي يكره نتائج الصبر ولا يخاف الله ؟ ومن يجب أن يقرن صوته العالي بصوت الحمار ؟

إنها وصايا عقديّة وأدبيّة وخلقّيّة واجتماعيّة إذا التزمّتها أمة ارتقت وتصدّرت ركب الحضارة .

فهل نشمر عن ساعد الجد لنكون خير أمة أخرجت للناس .

حكمة من حكم لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه

١- جالس الصالحين من عباد الله ، فإنك تصيب من محاسنهم خيرا ، ولعله أن يكون آخر ذلك أن

تنزل عليهم الرحمة فتصيبك معهم . ولا تجالس الأشرار فإنك لا تصيب من مجالستهم خيرا ، ولعله أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم عقوبة فتصيبك معهم .

٢- لا ترغب في ودّ الجاهل فيرى أنك ترضى عمله ، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك .

٣- كن عبدا للأخيار ولا تكن خليلا للأشرار .

٤- يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ، فإن الله تعالى ليحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي

الأرض الميتة بوابل السماء .

٥- يا بني للحاسد ثلاث علامات : يغتاب صاحبه إن غاب ، ويتملق إذا شهد ويشمت بالمصيبة .

٦- اجعل معروفك في أهله ، ولا تضعه في غير أهله ، فتخسره في الدنيا ، وتحرم ثوابه في الآخرة ،

وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ، ولا تمسك المال تقتيرا ، ولا تعطه تبذيرا .

٧- إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه قبل ذلك فإن أنصفك عند غضبه فصاحبه وإلا فاحذره .

٨- لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك بسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء .

٩- كن كمن لا يتبغي محمداً الناس ولا يكسب ذمهم ، فنفسه منه في عناء والناس منه في راحة .

١٠- اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة .

١١- إياك وشدة الغضب فإن شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم .

١٢- ليس من شئ أطيب من اللسان والقلب إن طابا ولا أحبث منهما إن خبثا .

١٣- يا بني من كان له من نفسه واعظ ، كان له من الله حافظ .

١٤- ليس غنى كصحة ، ولا نعمة كطيب نفس .

- ١٥- لا تكن حلواً فتبلع ، ولا مرّاً فتلفظ.
- ١٦- اتخذ ألف صديق والألف قليل ، ولا تتخذ عدوا واحدا والواحد كثير.
- ١٧- يا بني إن الناس ثلاث : ثلث لله ، وثلث لنفسه ، وثلث للدود . فأما ما هو لله فروحه ، وأما ما هو لنفسه فعمله ، وأما ما هو للدود فجسمه.
- ١٨- شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء ، وأنت تأخذه مجاناً
- ١٩- الدنيا بحر عريض قد هلك فيه الأولون والآخرون فإن استطعت فاجعل سفينتك تقوى الله وعدتك التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك
- ٢٠- إن الدنيا قليل ، وعمرك فيها قليل ، وقد بقي قليل من قليل القليل.
- ٢١- بع دنياك بآخرتك ترجهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً.
- ٢٢- أوصيك بست خصال ، فيها علم الولين والآخرين:
- أولها: أن لا تشغل نفسك بالدنيا إلا بقدر ما بقي من عمرك.
- والثانية: اعبد ربك بقدر حوائجك إليه.
- والثالثة: اعمل للآخرة بقدر ما تريد المقام بها.
- والرابعة: ليكن شغلك في فكاك رقبتك من النار ما لم تظهر لك النجاة منها
- والخامسة: لتكن جرائتك على المعاصي بقدر صبرك على عذاب الله
- والسادسة: إذا أردت أن تعصي الله ، فاطلب مكاناً لا يراك الله وملائكته
- ٢٣- أحسن الناس مروءة وأدبا من إذا احتاج نأى ، وإذا احتيج دنا.
- ٢٤- ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك.
- ٢٥- لا تمنع العلم أهله فتأثم ، ولا تحدث فير أهله فتجهل.
- ٢٦- إياك والكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق
- ٢٧- لا تركز إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها ، فإنك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولا بلاءها عقوبة للعاصين.
- ٢٨- إن الذهب يجرب بالنار ، والعبد الصالح يجرب بالبلاء فإذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضي

فله الرضا ومن سخط فله السخط.

٢٩- إياك والدّين : فإنه ذل النهار وهمّ الليل.

٣٠- كن في الشدة وقوراً ، وفي المكاره صبوراً ، وفي الرخاء شكوراً ، وفي الصلاة متخشعاً ، وإلى

الصدقة متسرّعاً.

٣١- ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة : الشجاع في الحرب ، والكريم في الحاجة ، والحليم في الغضب.

٣٢- لا تتعلم العلم لثلاث ولا تدعه لثلاث:

لا تتعلمه : لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي فيه.

ولا تدعه : زهادة فيه ولا حياء من الناس ولا رضا بالجهالة.

٣٣- ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان : من إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا

غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.



مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

فِيهِ خَمْسُ مَسَائِلَ:

الأولى - قَوْلُهُ تَعَالَى: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" "مُحَمَّدٌ" مُبْتَدَأٌ وَ"رَسُولٌ" خَبَرُهُ. وَقِيلَ: "مُحَمَّدٌ" ابْتِدَاءٌ وَ"رَسُولُ اللَّهِ" نَعْتُهُ. "وَالَّذِينَ مَعَهُ" عَطْفٌ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، وَالْخَبَرُ فِيْمَا بَعْدَهُ، فَلَا يُوقَفُ عَلَى هَذَا التَّفْقِيرِ عَلَى "رَسُولُ اللَّهِ". وَعَلَى الْأَوَّلِ يُوقَفُ عَلَى "رَسُولُ اللَّهِ"، لِأَنَّ صِفَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَزِيدُ عَلَى مَا وَصَفَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَيَكُونُ "مُحَمَّدٌ" ابْتِدَاءً وَ"رَسُولُ اللَّهِ" الْخَبَرُ "وَالَّذِينَ مَعَهُ" ابْتِدَاءٌ ثَانٍ. وَ"أَشِدَّاءُ" خَبَرُهُ وَ"رُحَمَاءُ" خَبَرٌ ثَانٍ. وَكَوْنُ الصِّفَاتِ فِي جُمْلَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْأَشْبَهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَهْلُ الْحَدِيثِ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، أَيُ غَلَاظٌ عَلَيْهِمْ كَالْأَسَدِ عَلَى فَرَسِهِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بـ "الَّذِينَ مَعَهُ" جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ. "رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" أَيُ يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. مُتَعَاطِفُونَ مُتَوَادُّونَ.

تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا إِخْبَارٌ عَنْ كَثَرَةِ صَلَاتِهِمْ. "يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا" أَيُ يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ وَرِضَا اللَّهِ تَعَالَى.

الثانية - قَوْلُهُ تَعَالَى: "سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" السِّيْمَا الْعَلَامَةُ، لَاحَتْ عَلَامَاتُ التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ وَأَمَارَاتُ السَّهَرِ. وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [ مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ وَقَدْ رَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ "سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِجَبَاهِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ عِنْدَ السُّجُودِ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلَّى صَبِيحَةً إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ وَقَدْ وَكَفَ الْمَسْجِدَ وَكَانَ عَلَى عَرِيشٍ، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ وَعَلَى جَنْبَتِهِ وَأَرْزَبَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ: هُوَ بَيَاضٌ يَكُونُ فِي الْوَجْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ،



وَفِيهِ: [ حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ]. وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: يَكُونُ مَوْضِعُ السُّجُودِ مِنْ وُجُوهِهِمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: السِّمَاءُ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ السَّمَاءُ الْحَسَنُ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا: هُوَ الْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُّعُ. قَالَ مَنْصُورٌ: سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى " سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ " أَهْوَأُ أَثَرُ يَكُونُ بَيْنَ عَيْنِي الرَّجُلِ؟ قَالَ لَا، رُبَّمَا يَكُونُ بَيْنَ عَيْنِي الرَّجُلِ مِثْلُ رُكْبَةِ الْعَنْزِ وَهُوَ أَقْسَى قَلْبًا مِنَ الْحِجَارَةِ! وَلَكِنَّهُ نُورٌ فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ الْخُشُوعِ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هُوَ الْوَقَارُ وَالْبَهَاءُ. وَقَالَ شَمْرُ بْنُ عَطِيَّةٍ: هُوَ صُفْرَةُ الْوَجْهِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ. قَالَ الْحَسَنُ: إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ مَرْضَى وَمَا هُمْ بِمَرْضَى. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّدْبِ فِي وُجُوهِهِمْ وَلَكِنَّهُ الصُّفْرَةُ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: يُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحُوا رَأَوْا ذَلِكَ فِي وُجُوهِهِمْ، بَيَانُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [ مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ ]. وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهِ آتِيًا. وَقَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ: دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلُّ مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ.

**الثَّالِثَةُ -** قَوْلُهُ تَعَالَى: " ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ " قَالَ الْفَرَاءُ: فِيهِ وَجْهَانِ، إِنْ شِئْتَ قُلْتَ الْمَعْنَى ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَفِي الْإِنْجِيلِ أَيْضًا، كَمَثَلِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، فَيَكُونُ الْوَقْفُ عَلَى " الْإِنْجِيلِ " وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: تَمَامُ الْكَلَامِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ، ثُمَّ ابْتِدَاءُ فَقَالَ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هُمَا مَثَلَانِ، أَحَدُهُمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْآخَرُ فِي الْإِنْجِيلِ، فَيُوقَفُ عَلَى " التَّوْرَةِ ". وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ مِثْلُ وَاحِدٍ، يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَلَا يُوقَفُ عَلَى " التَّوْرَةِ "، وَيُوقَفُ عَلَى " الْإِنْجِيلِ ". وَيَبْتَدِئُ " كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ " عَلَى مَعْنَى وَهْمٍ كَزَرْعٍ. وَ" شَطْأَهُ " يَعْنِي فِرَاحَهُ وَأَوْلَادَهُ، وَأَخْرَجَ شَطْأَهُ " طَرَفَهُ. وَأَخْرَجَ شَطْأَهُ : نَبَاتَهُ. وَقِيلَ: إِنَّ الشَّطْأَ إِنَّهُ السُّنْبُلُ، فَيُخْرِجُ مِنَ الْحَبَّةِ عَشْرَ سُنْبُلَاتٍ وَتَسَعُ وَثْمَانِ، وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْنِي أَنََّّهُمْ يَكُونُونَ قَلِيلًا ثُمَّ يَزْدَادُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَدَأَ بِالدُّعَاءِ إِلَى دِينِهِ ضَعِيفًا فَأَجَابَهُ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ حَتَّى قَوِيَ أَمْرُهُ، كَالزَّرْعِ يَبْدُو بَعْدَ الْبَذْرِ ضَعِيفًا فَيَقْوَى حَالًا بَعْدَ حَالٍ حَتَّى يَغْلُظَ نَبَاتُهُ وَأَفْرَاخُهُ. فَكَانَ هَذَا مِنْ أَصَحِّ مِثْلٍ وَأَقْوَى بَيَانٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: مِثْلُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِنْجِيلِ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ قَوْمٍ

يَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزَّرْعِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. "فَأَزَرَهُ" أَيِ قَوَّاهُ وَأَعَانَهُ وَشَدَّهْ، أَيِ قَوَّى الشَّطْءَ الزَّرْعَ. وَقِيلَ بِالْعَكْسِ، أَيِ قَوَّى الزَّرْعَ الشَّطْءَ. "فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ" عَلَى عُودِهِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ فَيَكُونُ سَاقًا لَهُ. وَالسُّوقُ: جَمْعُ السَّاقِ. "يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ" أَيِ يُعْجِبُ هَذَا الزَّرْعُ زُرَّاعَهُ. فَالزَّرْعُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالشَّطْءُ أَصْحَابُهُ، كَانُوا قَلِيلًا فَكَثُرُوا، وَضَعْفَاءَ فَقَوُّوا، "لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ" وَفَعَلَ اللَّهُ هَذَا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ.

**الرَّابِعَةُ** - قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا" وَوَعَدَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَعَ مُحَمَّدٍ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ أَعْمَاهُمْ صَالِحَةُ. "مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا" وَثَوَابًا لَا يَنْقُطُ وَهُوَ الْجَنَّةُ. وَلَيْسَتْ "مِنْ" فِي قَوْلِهِ "مِنْهُمْ" مُبَعَّضَةً لِقَوْمٍ مِنَ الصَّحَابَةِ دُونَ قَوْمٍ، وَلَكِنهَا بَيَانِيَّةٌ وَجَنَسِيَّةٌ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: "فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ" فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ جِنْسِ الْأَوْثَانِ، وَالرِّجْسُ أَجْنَاسٌ شَتَّى، مِنْهَا الزُّنَى وَالزُّبَا وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَالْكَذِبُ، فَأَدْخَلَ "مِنْ، وَكَذَا" مِنْهُمْ، أَيِ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ، يَعْنِي جِنْسَ الصَّحَابَةِ. وَيُقَالُ: أَنْفَقَ نَفَقَتَكَ مِنَ الدَّرَاهِمِ، أَيِ اجْعَلْ نَفَقَتَكَ هَذَا الْجِنْسِ. وَقَدْ يُخَصَّصُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَعْدِ الْمَغْفِرَةِ تَفْضِيلًا لَهُمْ، وَإِنْ وَعَدَ اللَّهُ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَغْفِرَةَ. وَفِي الْآيَةِ جَوَابٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ "مِنْ" مُؤَكَّدَةٌ لِلْكَلامِ، وَالْمَعْنَى وَعَدَهُمُ اللَّهُ كُلَّهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

**الخامسة:** مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ "حَتَّى بَلَغَ" يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ. فَقَالَ مَالِكٌ: مَنْ أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ فِي قَلْبِهِ غَيْظٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَصَابَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ، قُلْتُ: لَقَدْ أَحْسَنَ مَالِكٌ فِي مَقَالَتِهِ وَأَصَابَ فِي تَأْوِيلِهِ. فَمَنْ نَقَصَ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَوْ طَعَنَ عَلَيْهِ فِي رِوَايَتِهِ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَبْطَلَ شَرَائِعَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ" الْآيَةُ. وَقَالَ: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ، وَالشَّهَادَةَ لَهُمْ بِالصِّدْقِ وَالْفَلَاحِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ" وَقَالَ: "لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا- إِلَى قَوْلِهِ - أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"»

ثم قال عز من قائل: "وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ - إِلَى قَوْلِهِ - فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". وَهَذَا كُلُّهُ مَعَ عِلْمِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحَالِهِمْ وَمَالِ أَمْرِهِمْ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [ خَيْرُ

النَّاسِ قُرْبِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ] وَقَالَ: [لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا لَمْ يُدْرِكْ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ] [خَرَجَهُمَا الْبُخَارِيُّ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: [فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ لَمْ يُدْرِكْ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ]. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَعْنَاهُ لَمْ يُدْرِكْ مَدَّ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ وَلَا نِصْفَ الْمَدِّ، فَالنَّصِيفُ هُوَ النَّصْفُ هُنَا.. وَفِي الْبَزَّازِ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا صَحِيحًا: [إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَاخْتَارَ لِي مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا - فَجَعَلَهُمْ أَصْحَابِي]. وَرَوَى عُمَيْرُ بْنُ سَاعِدَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابِي فَجَعَلَ لِي مِنْهُمْ وَرَرَاءَ وَاخْتَانًا وَأَصْهَارًا فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلِيهِ لَعْنَةُ

اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا]. وَالْأَحَادِيثُ بِهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، فَحَذَارٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَبَّ أَصْحَابَهُ، فَالْمُكَذِّبُ لِأَصْغَرِهِمْ - وَلَا صَغِيرَ فِيهِمْ - دَاخِلٌ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ الَّتِي شَهِدَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالزَّمَمَهَا كُلٌّ مِنْ سَبَّ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَوْ طَعَنَ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ هَارُونَ الرَّشِيدِ فَجَرَتْ مَسْأَلَةٌ تَنَازَعَهَا الْحُضُورُ وَعَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ، فَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ بِحَدِيثِ يَرْوِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعَ بَعْضُهُمُ الْحَدِيثَ وَزَادَتْ الْمُدَافَعَةُ وَالْحِصَامُ حَتَّى قَالَ قَائِلُونَ مِنْهُمْ: لَا يَقْبَلُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ مُتَّهَمٌ فِيمَا يَرْوِيهِ، وَصَرَّحُوا بِتَكْذِيبِهِ، وَرَأَيْتُ الرَّشِيدَ قَدْ نَحَا نَحْوَهُمْ وَنَصَرَ قَوْلَهُمْ فَقُلْتُ أَنَا: الْحَدِيثُ صَحِيحٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ صَحِيحُ النَّقْلِ صَدُوقٌ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ الرَّشِيدُ نَظَرَ مُغْضَبٍ، وَقُمْتُ مِنَ الْمَجْلِسِ فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَلَمْ أَلْبَثْ حَتَّى قِيلَ: صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِالْبَابِ، فَدَخَلَ فَقَالَ لِي: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِجَابَةً مَقْتُولٍ، وَخُتِّطَ وَتَكَفَّنَ! فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي دَفَعْتُ عَنْ صَاحِبِ نَبِيِّكَ، وَأَجَلَلْتُ نَبِيَّكَ أَنْ يُطْعَنَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمَنِي مِنْهُ. فَأَدْخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ ذَهَبٍ، حَاسِرٌ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، بِيَدِهِ السَّيْفُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ النَّطْعُ «١»، فَلَمَّا بَصُرَ بِي قَالَ لِي: يَا عُمَرُ بْنُ حَبِيبٍ مَا تَلَقَّانِي [أَحَدٌ مِنَ الرَّدِّ وَالِدَفْعِ لِقَوْلِي بِمِثْلِ مَا تَلَقَّيْتَنِي بِهِ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الَّذِي قُلْتَهُ وَجَادَلْتَ عَنْهُ فِيهِ ازْدِرَاءٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِذَا كَانَ أَصْحَابُهُ كَذَّابِينَ فَالشَّرِيعَةُ بَاطِلَةٌ، وَالْفَرَائِضُ وَالْأَحْكَامُ فِي الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ

وَالطَّلَاقِ وَالنِّكَاحِ وَالْحُدُودِ كُلُّهُ مَرْدُودٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ، فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَحْيَيْتَنِي يَا عُمَرُ بْنُ حَبِيبٍ  
أَحْيَاكَ اللَّهُ! وَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ.

قُلْتُ: فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُذُولٌ، أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَصْفِيَاؤُهُ، وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ. هَذَا  
مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ أُمَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَقَدْ ذَهَبَتْ شِرْذِمَةٌ لَا مَبَالَاةَ بِهِمْ إِلَى أَنَّ حَالِ  
الصَّحَابَةِ كَحَالِ غَيْرِهِمْ، فَيَلْزَمُ الْبَحْثُ عَنْ عَدَاتِهِمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ حَالِهِمْ فِي بُدَاءِ الْأَمْرِ فَقَالَ: إِنَّهُمْ  
كَانُوا عَلَى الْعَدَالَةِ إِذْ ذَاكَ، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ بِهِمُ الْأَحْوَالُ فَظَهَرَتْ فِيهِمُ الْخُرُوبُ وَسَفْكُ الدِّمَاءِ، فَلَا بُدَّ مِنَ  
الْبَحْثِ. وَهَذَا مَرْدُودٌ، فَإِنَّ خِيَارَ الصَّحَابَةِ وَفَضْلَاءَهُمْ كَعَلِيِّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِمَّنْ أَتَى  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَزَكَاهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ وَوَعَدَهُمُ الْجَنَّةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى "مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا". وَخَاصَّةً الْعَشْرَةَ  
الْمَقْطُوعِ لَهُمُ بِالْجَنَّةِ بِإِخْبَارِ الرَّسُولِ هُمْ الْقُدُورُ مَعَ عِلْمِهِمْ بِكَثِيرٍ مِنَ الْفِتَنِ وَالْأُمُورِ الْجَارِيَةِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ  
بِإِخْبَارِهِ لَهُمْ بِذَلِكَ. وَذَلِكَ غَيْرُ مُسْقِطٍ مِنْ مَرْتَبَتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ مَبْنِيَّةً عَلَى الْإِجْتِهَادِ،  
وَكُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ.



## نظرات بيانية في بعض من آيات سورة الإسراء

هذه اجتهادات بيانية قد تصيب وقد تخطئ ، وقد تدنو أو تبعد ، وأرجو الله أن يسدد قلبي وعقلي للصواب ، إنه الميسر للخير سبحانه وتعالى .

نجد في سورة الإسراء نظرات بيانية متعددة نفق عند بعضها لنرى جمال التعبير وسحر البيان ، من ذلك قوله تعالى :

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا \* إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا \* وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا \* وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا \* وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۚ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا \* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا \* وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا \* وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا \* وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا \* كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا \* ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۚ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا \* ( ٢٩ . ٣٩ ) .

١- ابتداء من الآية ٢٩ - يخاطب جمع الإنسان نهيًا بقوله " ولا تقتلوا ، ولا تقربوا " وأمرًا بقوله " وأوفوا ، وزنوا " ويخاطب مفرد الإنسان بقوله " لا تجعل ، لا تبسطها ، لا تقف ، لا تمش " .

فلماذا كان الخطاب هناك بالجمع ، وكان هنا بالمفرد ؟

أقول وبالله المستعان : لو نظرنا إلى من يقعون في الزنا أو يقتل بعضهم بعضاً لرأيناهم - على كثرتهم - ذوي نسبة قليلة في هذه المجتمعات . ووجودهم في الأوصياء على اليتامى أقل من سابقهم بكثير ، فكان الحديث عنهم بصيغة الجمع لقلة نسبتهم .

لكن التقدير والإسراف يكادان يُجبلان في الكثرة الكثيرة من البشر ، وقل هذا في تتبع عورات الناس والتكبر والخيلاء ، فكان الحديث إلى كل واحد منهم أولى ليشعر بعضهم المسؤولية حين يرى نفسه معنيًا

بالأمر أو النهي .

٢- وقد جاءت هاء الضمير المذكور في كلمة " سَيِّئُهُ " - في الآية الثامنة والثلاثين - اختصاراً رائعاً لكلام كثير، فقد رأينا في الآيات التسع السابقة وصايا ، كان القبيح منه في المنهيات مكروهاً مبغوضاً عند الله تعالى ، فما من حَسَنٍ إلا ويقابله القبيح ، فإذا كان الحسن في هذه الآيات عدم قتل الأبناء خشية الإملاق ، فالقبيح قتلهم ، وإذا كان قرب الزنا فاحشة وسبيلاً سيئاً فالابتعاد عنه صفة صالحة وطريق مأمون للشرف والطهارة ، وإذا كان قتل النفس قبيحاً فالحفاظ عليها قمة الإنسانية ، وإذا كان أكل مال اليتيم ظلماً وعدواناً ومنقصة فالحفاظ على ماله إيجاب وأخلاق وإيمان - وكل هذا في بقية الوصايا - تجد أن لكل حَسَنٍ مما ذكر يدعونا المليك سبحانه إليه عكساً قبيحاً ينهنا إليه ويحذرننا منه . فما أروع وجود الضمير المذكور " الهاء " في كلمة " سيئه "؟!

٣- وقد يتساءل أحدنا قائلاً : لماذا جاءت الآية الثامنة والثلاثون " كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً " ولم يقل : محرماً ؟ فقد يظن القارئ أن كلمة " مكروهاً " تفيد الحِلَّ مع الكراهة ، وهذا يوقع في إشكالات كثيرة . وهذا تساؤل جيد يدل على فهم ودراية وذوق رفيع ممن سأل . والقرآن إنما نزل بلغة العرب الذين يرون في التلميح معاني أقوى من التصريح ، مثال ذلك في القرآن قوله تعالى في تحريم الخمر والميسر في سورة المائدة " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ (٩١) " لقد أمرنا المولى سبحانه أن نجتنب الرجس من عمل الشيطان في تزيينه الخمر والميسر والأنصاب والأزلام - في الآية الأولى - فكان الأمر صريحاً مباشراً في كلمة " فاجتنبوه " والاجتناب بُعْدٌ عن الشيء مع وجوده ، وفي الآية الثانية نُهِىَ عن الخمر والميسر المسببين للعداوة والبغضاء بصيغة الاستفهام " فهل أنتم منتهون " وهذا أسلوب للنهي غير مباشر، كان أوقع في النفس وأبلغ ، فالانتهاء انقطاع تام لوجود المنهي عنه ، فقال المسلمون : انتهينا يا رب انتهينا ، ولم يقولوا : اجتنبنا . وفي القرآن أمثلة كثيرة في هذا الشأن تتبعه أصحاب البلاغة فأحسنوا . وعلى هذا كان لفظ " مكروهاً " أقوى في نفس المسلم الحرّ الملتزم من : محرماً أو حراماً . فما كرهه الله لا ينبغي أن نفعله ، وما أحبه أحببناه .

٤- كما أن كلمة " لا تَقْفُ " في قوله تعالى " ولا تقفُ ما ليس لك به علم " أقوى من : لا تَتَّبِعْ .  
فقد يكون التَّبَع من قريب وبعيد . أما القفُو فيكاد يؤدي إلى الالتصاق بالشيء وكأنه قفاه لشدة دنوّه منه  
. وكذلك تقول : لا أفعله قفا الدهر أي أبداً . والقفو : الرمي بالأمر القبيح فزاد عن التبع بالفضح بما  
ليس متأكداً منه . فلا تقل سمعتُ وأنت لم تسمع ، أو علمتُ وأنت لم تعلم ،  
والله أعلم .



## نظرة في سورة الهُمزة

قال العلماء: الويل وإِ في النار يسيل من صديد أهلها وقِيحهم ، وهو - بمعنى عام - العذاب الشديد - نعوذ بالله تعالى منه أيّاً كان ولا أَحِبُّ أن أتصوره فليس لنا به طاقة. فهو العذاب بعينه وقد قيل إن حجارته تتعوّذ منه. نسأل الله العفو والعافية .

ولكنْ لِمَنْ أُعِدَّ هذا الوادي أو هذا العذاب ؟ يقول تعالى : إنه أُعِدَّ للهِمَّاز اللَّمَّاز ( ويل لكل هُمْزة لُمزة . اختلف المفسرون في تعريف الهُمزة اللَّمزة ' فقال بعضهم :

الهُمزة : من يأكل لحوم الناس بالغيبة والنميمة ومن يطعنهم باليد وباللسان .

اللُّمزة : من يحرك عينه مشيراً بتهكم أو يطعن أنسابهم بلسانه .

وأظنَّ الهُمزة واللُّمزة يتعاوران ما ذكر المفسرون من إيذاء باللسان والعين فقط ، بينما أخواتهما من ( الوكز واللكز والنكر ..) إيذاء باليد والعصا وغيرهما ، يضاف إليها (اللكم واللطم واللخم..).

من صفات الهُمزة اللَّمزة الذميمة التي أدت إلى الويل والعذاب جمعُ المال بكلِّ الوجوه حلالها وحرامها ، سلبها ونهبها ، بيعها وشرائها ، أتاوتها ومكوسها. فالمهمُّ عند صاحبها الجمعُ كيفما كان وحيثما اتفق. يضاف إلى ذلك البخْلُ والشحُّ ، وَمَنْ جَمَعَ المَالَ بكل الطرق لا ينوي صرفه فيما يريد الله تعالى بل يتلذذ بعِدِّهِ والاحتفاظ به ، لهذا قال تعالى ( الذي جمع مالا وعدده ) وهذا يذكرنا بقوله سبحانه ( جمع فأوعى) والمعنى هنا وهناك مؤداه واحد، من تكديس الأموال والتمتع باحتوائها وتكثيرها. ويحضّرنا قوله صلى الله عليه وسلم في النعي على أمثال هؤلاء : " ما من يوم طلعت شمسُه إلا وبجنيبها ملكان يناديان نداء يسمعه خلق الله كُلُّهم غيرَ الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم إنّ ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولا آبت الشمس إلا وكان بجنيبها ملكان يناديان نداء يسمعه خلقُ الله كُلُّهم غيرَ الثقلين : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ". رواه المنذري في الترغيب والترهيب.

ومن صفات الهُمزة اللَّمزة أنه ينشغل بجمع المال عن الموت والدار الآخرة ، فيحسب أنه خالد في الدنيا ، فيعملُ لها غافلاً عن النهاية التي يسرع إليها كما غَيَّبَتْ أسلافه وستغيَّب أخلافه. لكنه الحرصُ على الدنيا والانشغالُ بها يَعْمِي القلوب ويذهب بالأبصار.



ثم تأتي كلمة ( كلا ) التي تفرع الأسماع وتهز القلوب خوفاً وفزعاً لتنبّه بقوة وإلحاح إلى الحقيقة التي يتناساها الغالبية البشرية عمياء وجهلاً ( إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ، إنّ إلى ربك الرجعى ) . فماذا بعد ( كلا ) ؟ إنها الجملة التي تعصف بالألباب ( لِيُنَبِّذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ) .

إن ( النبذ ) إلقاء المرء محتقراً منبوذاً في مجاهل النار المحرقة التي تَحْطِمُ الضلوع وتأكل العيون والآذان والأيدي والرؤوس ، وتذيب الصخر والجماد . وما سميت ( الحُطْمَةُ ) إلا لأنها تكسر كل ما يُلقى فيها وتَحْطِمُه وتَهْشِمُه . فما هذه النهاية المخيفة التي يتناساها الناس ويغفلون عنها ؟ ! إنها والله لنهاية بئيسة مرعبة ومفزعّة .

وتزداد وتيرة الخوف والهلع بصيغة الاستفهام ( وما أدراك ما الحُطْمَةُ ؟ ) وهذا الأسلوب الاستفهامي يتكرر في كثير من سور القرآن لبيان فداحة الأمر وشدة كربه ( وما أدراك ما الحاقة ) ( وما أدراك ما يوم الدين ) .. ويجب القرآن بأسلوب مهوّل تقشعر له الأبدان وتهتز له النفوس : ( نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ) لم يوقدها بشر ولا ملك ولا مخلوق مهما جل شأنه وعظمت مكانته ، ولا تنتسب إلى ناقص وضعيف إنها نار الله الموقدة . وقد تخف النار وتضعف إلا نار الله تعالى التي تأكل الأجساد وتصل إلى القلوب فلا تأكلها بل تعود الأجساد كما كانت ليبدأ العذاب من جديد . أتدرون السبب ؟ إن القلب إذا أكلته النار مات صاحبه وارتاح من العذاب ، والكفرة أصحاب النار خالدون فيها لا يُفَقَّر عنهم العذاب .

ولا مهرب من جهنم ولا خلاص لأعداء الله منها . وأين الهروب ؟ ( إنها عليهم مؤصدة ) وإبصار الباب دون فروج ولا منافذ . لا هواء بارداً يخفف عنهم حرّها مغلقةً إغلاقاً محكماً يزيد في الكمد والحزن المتنامي .. قد سُدَّ عليهم كلُّ أمل في النجاة ( مؤصدةً في عَمَدٍ ممددة ) .

[ يذكر القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية ، فيقول : : في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ( ثم إن الله يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار ، ومسامير من نار وعمد من نار ، فتطبق عليهم بتلك الأطباق ، وتشد عليهم بتلك المسامير ، وتُمد بتلك العمدة ، فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ، ولا يخرج منه غم ، وينسأهم الرحمن على عرشه ، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ، ولا يستغيثون بعدها أبداً ، وينقطع الكلام ، فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً ؛ فذلك قوله تعالى : " إنها عليهم مؤصدة . في عمد ممددة " .

وقال قتادة : " عمد " يعذبون بها . واختاره الطبري . وقال ابن عباس : إن العمد الممددة أغلالٌ في أعناقهم . وقيل : قيود في أرجلهم ؛ قاله أبو صالح . وقال القشيري : والمعظم على أن العمد أوتادُ الأطباق التي تطبق على أهل النار . وتشدُّ تلك الأطباقُ بالأوتاد ، حتى يرجع عليهم غمها وحرها ، فلا يدخلُ عليهم روح .

وقيل : أبواب النار مطبقةٌ عليهم وهم في عمد ؛ أي في سلاسل وأغلال مطولة ، وهي أحكم وأرسخ من القصيرة . وقيل : هم في عمد ممددةٍ في عذابها وآلامها يُضربون بها . وقيل : المعنى في دهرٍ ممدود لا انقطاعَ له . [

فهل من مُدّكر؟



---

## في رحاب آية: كل نفس ذائقة الموت

---

قرأت اليوم في سورة آل عمران هذه الآية الكريمة :

- ١- كل نفس ذائقة الموت ،
- ٢- وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ،
- ٣- فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ،
- ٤- وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. ( آل عمران ؛ ١٨٥ )

وتوقفت عند مقاطعها الأربعة فعلمت أن الحياة تدور عليها وتختصرها في هذه الزوايا التي لا بد أن يمر عليها المكلف من موت ثم الوقوف بين يدي الله يوم القيامة ، ثم الحساب ونجاة المؤمن من النار ودخوله الجنة بفضل الله جل جلاله ، ثم الحكمة التي علينا أن نفقهها ونحن في الدنيا كي نعلم سبب وجودنا ، ومن عرف وفهم وعمل نجا وظفر.

١- ينبئنا المولى تعالى أن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " فهو تعالى وحده الحي القيوم . والجن والإنس يموتون وكذلك الملائكة وحمة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخراً كما كان أولاً ، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فإذا انقضت العدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيها ، قليلها وكثيرها ، كبيرها وصغيرها ، فلا يُظلم أحداً مثقال ذرة ولهذا قال تعالى " وإنما توفون أجوركم يوم القيامة " وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته " كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة " إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه فارحوا . فإن المصاب من حُرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام . ( عن ابن كثير )

وقد قال أمية بن أبي الصلت :

للموت كَأْسٌ وإن المرء ذائقها

من لم يمت عبطة يمت هرما

وقال آخر :

فليت شعري بعد الباب ما الدار ؟

بابٌ وكل الناس داخله

وللموت أسباب وأمّارات ، فمن علامات موت المؤمن عرق الجبين . لقول رسول الله ﷺ : " المؤمن يموت بعرق الجبين " فإذا احتضر لقن الشهادة؛ لقوله عليه السلام: ( لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ) لتكون آخر كلامه فيختم له بالشهادة؛ ولا يعاد عليه منها لئلا يضجر . ويستحب قراءة " يس " ذلك الوقت؛ لقوله عليه السلام : " اقرءوا يس على موتاكم " أخرجه أبو داود . وذكر الآجري في كتاب النصيحة من حديث أم الدرداء عن النبي ﷺ قال: ( ما من ميت يقرأ عنده سورة يس إلا هون عليه الموت ) . فإذا قضى وتبع البصر الروح كما أخبر ﷺ في صحيح مسلم وارتفعت العبادات وزال التكليف توجهت على الأحياء أحكام؛ منها: تغميضه . وإعلام إخوانه الصلحاء بموته، ومنها الأخذ في تجهيزه بالغسل والتكفين والدفن لئلا يسرع إليه التغير ؛ قال ﷺ لقوم أخرّوا دفن ميتهم: ( عجّلوا بدفن جيفتكم ) وقال : ( أسرعوا بالجنّازة ) .

٢- والدنيا دار عمل والآخرة دار حساب ، يدل على ذلك أسلوب القصر " إنما " وإنما توفون أجوركم يوم القيامة " فحين يُجمع المخلوقات " الجن والإنس " بشكل خاص في أرض المحشر ثم في أرض الحساب وتوزع الكتب على أصحابها يتخاصم الناس فيما بينهم " ثم إنكم يومئذٍ عند ربكم تختصمون " ويطالب المظلوم بحقه من الظالم ، ومن عدل الله تعالى أن لا يضيع مثقال ذرة " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " ويقول سبحانه " ولا يظلم ربك أحداً " وقال القرطبي رحمه الله تعالى: فأجر المؤمن ثواب ، وأجر الكافر عقاب ، ولم يعتد بالنعمة والبلية في الدنيا أجرا وجزاء ؛ لأنها عرصة الفناء.

٣- ومن جُنّب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز " وتقدم عند قوله تعالى " ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه " . أما

وَقَعُ الفعل المبني للمجهول "زُحِرِح" فمخيف لأنه يصور المرء مندفعاً إلى النار بسبب تمكن أهوائه منه ونسيانه الآخرة وانشغاله بالدنيا فتجيء رحمة الله تعالى تزحزحه عن الهاوية ، فيبتعد عنها ، ثم يأتي الفعل الآخر المبني للمجهول " وأُدْخِل " ليدل على أن دخول الجنة برحمة الله وفضله سبحانه لا بعمل المرء ، فكلنا يدخل الجنة برحمة الله وغفرانه جل جلاله .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من سره أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه) . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا إن شئتم " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز " ) .

٤ - وقوله تعالى " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " تصغير لشأن الدنيا وتحقير لأمرها وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة كما قال تعالى " بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى " وقال " وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى " . وفي الحديث " والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع إليه " وقال قتادة الدنيا متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله . فإذا كانت متاع الغرور فلماذا يتعلق الإنسان بفانٍ ويتخلى عن باقي لولا ضعف في إيمانه وخلل في تفكيره؟!

وقد أحسن من قال:

هي الدار دار الأذى والقذى      ودار الفناء ودار الغير

فلو نلتها بحذايرها      لمت ولم تقض منها الوطر

أيا من يؤمل طول الخلود      وطول الخلود عليه ضرر

إذا أنت شبت وبان الشباب      فلا خير في العيش بعد الكبر

قال ابن عرفة : العُروَر ما رأيت له ظاهراً تحبه ، وفيه باطن مكروه أو مجهول . والشيطان عُروَر ؛ لأنه يحمل على محاب النفس ، ووراء ذلك ما يسوء .



## وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ( ١ )

قرأت اليوم سورة إبراهيم ، فلما وصلت إلى قوله تعالى : " وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ( ٣٤ ) " تحرك شيطان الجن فقال :

كيف تصدق أنه - سبحانه - آتاكم من كل ما سألتموه ؟ وأنت تعيش حياة مستورة ليس لك فيها كثير مال ، ولم تحظ من الشهرة ما وصل إليه غيرك ؟ وفيك من القدرات العلمية ما يفوق كثيراً ممن تجدهم متصدين ، وما يزال عطاؤك مستمراً ؟ ... وبدأ يحاول زرع الشك في نفسي - أعاني الله على وسوساته ونفثاته - ويأتيني هذا الكذاب العرور بصورة المشفق عليّ وهيئة الناصح الصدوق .

قلت والله لأخزينك بعونه تعالى ، ولن تجد في قلبي سوى الإيمان بالله تعالى وحبه والرضا بقدره ، والرغبة الصادقة أن أكون من عباده الصالحين المؤمنين به وبدينه ، أتعلق بأستاره وألزم راية نبيه ، ولن تجد عندي سوى الإعراض عن وسوساتك ونفثاتك ، وقرأت المعوذتين ، وقمت إلى تفاسير القرآن أرتوي من شهدها ما يطرد علقم الشيطان ويزرع الإيمان في نفسي ويقويه . وإلى أحاديث الحبيب المصطفى أستلهم الفكر السليم والجواب الشافي .

روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من دعا بدعوة ليس فيها مآثم ولا قطيعة رجم أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث ، إما أن يغفر له بها ذنباً قد سلف ، وإما أن يجعل له بها في الدنيا ، وإما أن يدخرها له في الآخرة . "

قلت والله هذا ما أراه في حياتي ، فما دعوت الله تعالى في أمر ذي بال إلا حققه لي أو شعرت براحة في نفسي وزالت همومي ، ولتكون الثالثة في الآخرة محققة إن شاء الله تعالى .

وأفتح ظلال الشهيد سيد قطب رحمه الله فيشرح صدري بقوله : " وأتاكم من كل ما سألتموه " من مال وذرية وصحة وزينة ومتاع .. " وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " فهي أكبر من أن يحصيها فريق من البشر ، أو كلُّ البشر ، وكلهم محدودون بين حدّين من الزمان : بدءٍ ونهاية . وبحدود من العلم تابعة لحدود الزمان والمكان ، ونعمُ الله مطلقة - فوق كثرتها - فلا يحيط بها إدراك إنسان . .. " ثم يعدد بعض النعم من شمس وقمر وماء وأنهار ونبات وأشجار وأنعام ، كلها سخرت للإنسان ولخدمته ، وجعله سيداً لها . ويقول

أستاذي سيدٌ كذلك بلسان المؤمن وقلبه الحي: " أفكل هذا مسخر للإنسان ؟ أفكل هذا الكون الهائل مسخرٌ لذلك المخلوق الصغير؟ السماوات ينزل منها الماء والأرضُ تتلقاه ، والثمرات تخرج من بينهما ، والبحر تجري فيه الفُلكُ بأمر الله مُسَخَّرَ والأنهار تجري بالحياة ، والأرزاقُ في مصلحة الإنسان ، والشمس والقمر دائبان لا يفتران ، والليل والنهار يتعاقبان ... أفكل ذلك للإنسان ؟ ثم لا يشكر ولا يذكر! . "

وأقرأ مثل هذا وشبيهه عند القرطبي وابن كثير رحمهما الله ، فأردد بلساني وبقلبي : نعم آتانا من كل ما سألناه ، فله الحمد وله الشكر دائمين دائبين . ومما قرأته في تفسيرَي هذين الكريمين رحمهما الله تعالى :

- أن داوود عليه السلام أنه قال : أي رب كيف أشكرك ، وشكري لك نعمة مجددة منك

علي . قال : يا داود الآن شكرتني . أي حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم ؛

- يقول ابن كثير : فحقيقة الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنعم . وألا يصرفها في غير

طاعته ؛ وأنشد بعضهم الخليفة الهادي وهو يأكل :

أنالك رزقه لتقوم فيه بطاعته وتشكر بعض حقه

فلم تشكر لنعمته ولكن قويت على معاصيه برزقه

فغص باللقمة ، وخنقته العبرة .

- وقال جعفر الصادق : إذا سمعت النعمة نعمة الشكر فتأهب للمزيد .

- وقد جاء في الحديث " إن العبد يُحرّم الرزق بالذنب يصيبه " .

وقوله " وآتاكم من كل ما سألتموه " يقول هيأ لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما

تسألونه بحالكم وقال بعض السلف من كل ما سألتموه وما لم تسألوه .

- قال طلق بن حبيب رحمه الله : إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد وإن نِعَمَ الله أكثر

من أن يحصيها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين .

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول " اللهم لك الحمد غير

مكفي ولا مودّع ولا مستغنى عنه ؛ ربنا " .

- وقال الإمام الشافعي رحمه الله : الحمد لله الذي لا تؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة

حادثه توجب على مؤديها شكره بها وقال القائل في ذلك :

لو كل جارحة مني لها لغة تثني عليك بما أوليت من حسن

لكان ما زاد شكري إذ شكرت به إليك أبلغ في الإحسان والمنن

وأفتح الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي رحمه الله، فأقرأ درراً ثمينة أرسم بعضها في هذه القالة

الصغيرة :

- عن بكر بن عبد الله المزني رضي الله عنه قال : ما قال عبد قط " الحمد لله " إلا وجبت له

نعمة بقول " الحمد لله ". فقليل له : فما جزاء تلك النعمة الجديدة ؟ قال : جزاؤها أن يقول " الحمد

لله " فجاءت نعمة أخرى ، فلا تنفد نعمُ الله .

- وقال سليمان التيمي : إن الله أنعم على العباد بقدره ، وكلّفهم الشكر على قدرهم .

- وروي عن بكر بن عبد الله المزني أيضاً أنه قال : يا ابن آدم ؛ إذا أردت أن تعرف نعمة الله

عليك فأغمض عينيك .

- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه

فقد قلّ علمه وحضّر عذابه.

- وقال سفيان بن عُيينة: ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم " لا إله إلا الله " ،

وإنّ " لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا " .

- وروى أبو أيوب القرشي مولى بني هاشم قال : قال داود عليه السلام : ربّ أخبرني ما

أدنى نعمتك عليّ ؟ فأوحى الله : يا داود تنفّس . فتنفّس فقال : هذا أدنى نعمتي عليك .

- وعن وهب بن منبه قال : عبد الله عابداً خمسين عاماً ، فأوحى الله إليه أني قد غفرتُ لك .

قال : يا رب ؛ وما تغفر لي ؟! ولم أذنب ؟! فأذن الله لعرق في عنقه فضرب عليه . فلم ينم ولم يُصلّ ،

ثم سكن العرق فنام العابد تلك الليلة ، فشكا إليه ، فقال : ما لقيتُ من ضربان العرق ؟ قل الملك :

إن ربك يقول: إن عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذلك العرق .

- وعن عمر الفاروق رضي الله عنه قال : اللهم اغفر لي ظلمي وكفري . قال قائل: يا أمير

المؤمنين ؛ هذا الظلم .. فما بال الكفر؟! قال عمر : " إن الإنسان لظلومٌ كفار " .

أقول ، وأملّي بالله كبير:



سألتك ربي الرضا بالقدّر      وأن تغفر ذنبي فخطوئي عثر  
وتكرمني، إنّ عفوّ الكريد      م لأهل الذنوب بهي الأثر  
وأكرم أصولي وأكرم فروعِي      فإنّ تعفُّ نلنا كمال الوطر  
وأحسن إلى المسلمين ؛ إلهي      فإنّا بحال طغى واستحّر  
وليس سواك المحير، وطنّي      بأنّ الإله يُزيل الخطر



## وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ( ٢ )

أقرأ قوله تعالى في سورة إبراهيم: (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) فأقف برهة أتمعن في هذه الآية ، وكان قد خطر ببالي أن الله تعالى أعطانا كل ما سألناه ، أو ما قد يسأله أحدنا ، ثم أرى أن هذا المعنى ليس هو المقصود لأسباب منها:

١- أن كثيراً الناس يسألون أن تطوى لهم الأرض وأن يملكوا الدنيا كلها وأن يطيروا في الجو، وكثيرٌ يطلبون الخلود والقوة الجبارة والحجم العملاق ..... ولن يُجاب سُؤل هؤلاء . فليس لهذا خُلُقوا.

٢- وينبغي أن ننتبه إلى ( من التبعية ) " من كل ما سألتموه " الدالة على أن الله تعالى آتانا مما سألناه ما ييسر لنا حياتنا التي نعيشها ، ونظمها بما يناسب حياة البشر بنظام وأمن وأمان ، فسخر كل شيء لنا أرضاً وسماً وأنهاراً وثمرات وهواء ، وحواساً وجسماً متناسقاً فيه العقل والقلب والسمع والبصر .. وقرأ الآيتين السابقتين لهذه الآية ( وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ) فقال مفصلاً نعم الله تعالى علينا : " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " (٣٣) سورة إبراهيم

٣- ولعل شبه الجملة ( لكم ) كررت أربع مرات بعد قوله ( فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم )، وقدم عليها الفعل ( سَخَّرَ ) :

أ- وسخر لكم الفلك .

ب- وسخر لكم الأنهار.

ت- وسخر لكم الشمس والقمر.

ث- وسخر لكم الليل والنهار

وكل هذه الآيات الكونية لخدمة الإنسان وتيسير حياته في المواصلات والتجارة ، والماء أس الحياة سقاية وزرعاً ، والشمس مضيئة النهار والقمر مضيء الليل وحساب الزمن والعمل والراحة .... كل شيء خلقه الله تعالى لجعل حياة البشر مستمرة ما شاء الله لها ان تستمر، ولنعلم فضل الله تعالى علينا أينما سرنا

وكيفما نظرنا وأينما تقلبنا .

ولهذا يذكرنا سبحانه بنعمه الجليلة التي لا تعد ولا تحصى : ( وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها ) ، والعدُّ

هنا نوعان :

الأول: أن النعم تحيط بالمخلوق إحاطة السوار بالمعصم ، فهو يتقلب فيها متنعمًا منها بالمزيد المتجدد، والأفضال المتصلة والخيرات المتتابعة التي لا تنفذ. ولكونها متتابعة متجددة متصلة يعيشها المرء بكل ذرة من كيانه ، فهي أعظم أن تُعدّ ، وليس لمخلوق أن يُحصى نِعَم الخالق سبحانه.

الثاني: أن شكر المنعم واجب على ذوي القلوب المؤمنة والعقول الذكية والنفوس الأربية ، ولا يطلب الله تعالى منا غير الشكر الحقيقي الذي لا يكلفنا فوق طاقتنا، فقد روي في الأثر أن داود عليه السلام قال (يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي ؟ فقال الله تعالى الآن شكرتني يا داود حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم) ؛

وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها. أو يشرب الشربة فيحمده عليها" رواه مسلم في صحيحه. وكلما شكرنا الله على نعمه أوجب لنا نِعَمًا أخرى . فما أكرم الخالق سبحانه وتعالى ، يعطي ويجود ولا يطلب من عبده بعد أن يتلذذ بنعمه إلا القليل من القول أو الفعل !

وقال الإمام الشافعي رحمه الله في المعنى نفسه : الحمد لله الذي لا تؤدَّى شكرُ نعمة من نعمه إلا بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها . فكان قوله يكتب بماء الذهب.

وقال الشاعر في المعنى نفسه :

لو كل جارحة مني لها لغة      تثني عليك بما أوليت من حسن  
لكان ما زاد شكري إذ شكرتُ به      إليك أبلغ في الإحسان والمنين



## أحسن الحديث

(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد) الآية / ٢٣ / من سورة الزمر.

قرأت هذه الآية الكريمة اليوم ، فحملتني بأجنحة الزمان إلى عام ثمانية وستين وتسع مئة وألف ، في كلية اللغات بجلب - هكذا كان اسمها إذ ذاك قبل أن يُطلق عليها بعد سنوات كلية الآداب - وكنا في امتحان صيف تلك السنة نُختَبَر في الإسلاميات التي كان يدرّسناها الدكتور نور الدين العتر حفظه الله ، وكان يتابعنا في الامتحان مع أستاذنا نور الدين الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

كان الدكتور البوطي قد أصدر قبل سنوات من ذلك التاريخ كتاباً يحوي دراسات أدبية لبعض سور من القرآن الكريم أسماه ( أحسن الحديث ) وكنت أسمع الدكتور " نور الدين " العتر ينبهه أن القرآن هو ( أحسن الحديث ) هكذا وصفه الله تعالى - كما في الآية السابقة - . ولعل البوطي يغير اسم كتابه ، وأذكر أن الشيخ البوطي وعده بتغيير الاسم في طبعته التالية ، وهكذا كان ، لقد سماه " من روائع القرآن " . وأفتح بعض كتب التفسير - وأخص تفسير القرطبي من بينها بالاهتمام لقرب أسلوبه مما أرغب وأرتاح ، فأرى مدحاً من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم إذ يقول الله تعالى " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني " فأجد معاني جليلة كثيرة ، منها

١ - قول مجاهد يذكر أنّ القرآن كله متشابه مثاني

٢ - ويقول قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف .

٣ - ويقول الضحاك : " مثاني " ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى .

٤ - ويقول الحسن البصري : تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها

٥ - ويقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : " مثاني " : مُرَدَّد . رُدَّد موسى في القرآن وصالح وهود

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة

٦ - ويقول سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما " مثاني " القرآن يشبه بعضه بعضاً

وَيُرَدُّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ

٧- وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله تعالى " متشابها مثاني " أن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا . وهذا من المثاني كقوله تعالى " إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم " وكقوله عز وجل " كلا إن كتاب الفجار لفي سجين - إلى أن قال - كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين " " هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب - إلى أن قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب "

٨- ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين .

ويقول القرطبي رحمه الله تعالى :

وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضا فهو المتشابه. وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله تعالى " منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " ذاك معنى آخر. أما قوله تعالى " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " فهذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار إذ يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد فتقشعر جلودهم من الخشية والخوف " ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه وهذه صفة رائعة للمؤمنين الذين يخالفون غيرهم من الفجار من وجوه :

١- " أحدها " أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات ، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات.

٢- " الثاني " أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم " وقال تعالى " والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا " فلم يتشاغلوا عنها لاهين بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها ، فهم يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.

٣- " الثالث " أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى أو يسمعون تلاوة رسول الله فتتشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله، ولم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم بل عندهم ، إنهم يسمعون القرآن بأدب وخشية وسكون وثبات ما لا يلحقهم أحد في ذلك ، ففازوا بمدح الرب الأعلى في الدنيا والآخرة .

تلا قتادة رحمه الله " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " فقال هذا نعت أولياء الله نعتهم الله عز وجل بأنهم تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان

وقال السدي " ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " وإلى وعد الله وقوله " ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده " وهذه صفة من هداه الله . أما من كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله " ومن يضل الله فما له من هاد " .

قلت: هذا والله ما نراه في جهل العامة الذين يسمعون القارئ يتلون في المقامات ويتنعم بالألحان ، فتراهم يصيحون بأصوات منكرة ، ضاع منها الأدب وغاض خوف الله من قلوبهم ليسكن فيها الأداء الجميل والصوت الرخيم ، فإذا سمعوا " الحاقة ما الحاقة " وهذا تنبيه وتخويف من يوم القيامة صاحوا متلذذين مستبشرين ، وكأنّ (الحاقة) بشرى تُعقد عليها الآمال !! وتُنال بها الرغائب !

وشتان شتان بين من يسمع ويفهم فيعي ويعمل وبين من جهل فأخطأ ولم يدرِ، فضاع وضيع.



## السخرية في سورة ( المنافقون )

في هذه السورة المباركة آيات عديدة فيها سخرية من المنافقين الذين سميت السورة باسمهم .

١- يقول الله تعالى في الآية الأولى في هذه السورة ( إذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ) ، فقد سماهم المنافقين ، وهذه التسمية فضيحة لهم - ابتداء - فقد عزّاهم وهم يشهدون للرسول صلى الله عليه وسلم بالنبوة : إنهم منافقون كاذبون، فلا تأمن لهم ولا تصدّقهم. ولا أقوى من هذا التحذير الذي يسبق مقالته.

واستعمل أداة الشرط ( إذا ) الدالة على المستقبل، فضحهم ولما يقابلوا الرسول صلى الله عليه وسلم ليشهدوا له شهادتهم الكاذبة الدالة على خبثهم وأنهم يقولون ما لا يؤمنون به .

وللتعمية على كذبهم أكدوا كلامهم بالأسلوب الإنكاري - إذ شهدوا - والشهادة تأكيد - وأكدوا ب ( إنَّ واللام المزحلقة ) فاجتمعت تأكيدات ثلاث ، دحضها القرآن الكريم بثلاثة مثلها ( والله يشهد إنهم لكاذبون ) وتوسطها العلم بالحقيقة الأزلية - حتمية الرسالة - ولا تُقبل الشهادة إلا مسبقة بالعلم ، فقال الله تعالى ( والله يعلم إنك لرسوله ) . وأولئك لا يعلمون حقيقة ما يقولون لعماية قلوبهم عن إدراك الحقيقة .

٢- فضحهم فالقرآن في قوله: ( اتخذوا أيمانهم جنة ) ولن تنفعهم أيمانهم هذه فهي مكشوفة يتسترون بها ويختبئون وراءها كما تُخبئ النعامة رأسها في الرمال ( اتخذوا أيمانهم جنة ) ففي سورة التوبة يحلفون كذباً ( وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون ) الآية ٤٢ ، ( ويحلفون بالله إنهم لمنكم ، وما هم منكم .. ) الآية ٥٦ ، ( يحلفون بالله ليرضوكم .. ) الآية ٦٢ ، ( يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر .. ) الآية ٧٤ . ( وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى .. ) الآية ١٠٧ ، والآيات كثيرة في هذا الباب.

واقراً قوله تعالى ( إنهم ساء ما كانوا يعملون ) لتري السخرية العميقة ممتزجة بالتهديد والوعيد ، فمن أساء لقي جزاء إساءته.

٣- في الآية الثالثة التدرج في العقوبة : ١- آمنوا - ٢- كفروا - ٣- طبع على قلوبهم . ٤- لا يفقهون . ولا يكون الجهل وعدم الفهم وفقه العاقبة إلا بعد أن يطبع على قلوبهم. وكيف يكفر المرء بعد أن

ذاق حلاوة الإيمان؟! فإذا رضوا الكفر واستساغوه فليطبع على قلوبهم جزاءً وفاقاً . وجاءت كلمة ( ذلك ) توضيحاً لسوء فعلهم في الآية السابقة.

٤- في الآية الرابعة نجد السخرية من المنظر الذي لا يتناسق والمخير ، وقليلُ الخبرة بالرجال من يحكم عليهم بمنظرهم ولباسهم ومعسول كلامهم، فهؤلاء المنافقون مظهرهم غير مخبرهم ، أجسام جسيمة عليها الثياب الفاخرة ، خبراء في حياتهم الدنيوية يتحدثون فيسمع لهم ، ويحضرون فيجلسون في صدر المجلس ، فإذا اختبرت معادتهم بان المستور وانجلي الغبار عن قوم لا هم لهم سوى حياتهم التي يعيشونها ، ويرجوها ، أما القتال فليسوا من أهله ، الصيحة تخيفهم ، والنداء يكفئهم ، والجبن يحكمهم ، والجهد يربعهم ، والبذل يؤخرهم . ولنتأمل الدعاء عليهم ( قاتلهم الله ) إنه سخرية واضحة ، فلا يفقهون ولا يتدبرون ، بل يفخرون بما ليس فيهم ويدعون .

٥- ومن دواعي السخرية منهم أنهم يصرون على النقيصة لا يبرحونها، فإذا دُعوا إلى الاعتراف بالتقصير والتوبة ليدعو لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ويستغفر لهم، ويلحقوا بركب الإيمان أصروا على ما هم فيه من الاستكبار ، وانظر إلى ( لي رؤوسهم ) عناداً وصدّاً عن الحق ( لَوُوا رؤوسهم ) أنفة وكبرياء . فهم ( منافيخ ) لا وعي ولا إدراك .

٦- السخرية في الآية السادسة تتجلى في فسقهم وهوانهم على الله ، فلن يغفر الله لهم فهم لا يستحقونه . ( سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم ) ما السبب؟ إنهم خرجوا عن الحق إلى الضلال واستمروا فوصلوا إلى درجة الفسق ، ومن فسق ورضي الفسق واستمرأه حرمة الله تعالى الهداية، ولجَّ في العماية

٧- السخرية في الآية السابعة من المنافقين سببه الإغراق في الاعتماد على المادّة في محاربة الإسلام وأهله، فالمنافقون يعتقدون أن المهاجرين ما جاءوا المدينة إلا لأنهم وجدوا فيها سبل العيش وأدواته ، فإذا مُنع عنهم المال انقطعت المعونة وعادوا من حيث أتوا ( هم الذين يقولون : لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ) ونشوا أو جهلوا أن الذي يجمع المسلمين حول رسولهم الكريم إيمانهم بالله وثقتهم به وحبهم لدينه والعيش في ظلال الإيمان الذي دخل قلوبهم فأحياها ،

ومتى كان المنافق يتطوّع ويتصدّق على المسلمين كي يقطع نائله عنهم؟! إن خزائن الله تعالى لا تنفد )



ولله خزائن السموات والأرض) هو الإله الرازق، ( ولكنَّ المنافقين لا يفقهون)...سخرية ما بعدها سخرية.

٨- وتتجلى السخرية في الآية الثامنة حين يعلن المنافقون كرههم للمسلمين وأنهم قادرون على

إخراجهم من المدينة ( يقولون : لئن رجعنا إلى المدينة لُحُرجنَّ الأعز منها الأذلّ) فهم:

أ- يصرّحون بما لا يستطيعون. ويظهرون خبيثة نفوسهم ،ولن يبلغوا مآربهم .وهذا من ضعف

تفكيرهم وسوء تدبيرهم.

ب- ولو كانوا أقوياء وصادقين فيما يدّعون لأعلنوا وهم خارج المدينة عائدتين من غزوة بني المصطلق

الانفصام عن المسلمين، وحاربوهم ليمنعوهم من الوصول إلى المدينة . والتسويق دليل ضعفٍ ( لئن

رجعنا..)

ج- وكيف يسمحون للمسلمين بالدخول ثم يخرجونهم ؟ ما هو إلا تنفيسٌ لحقدهم المحتدم في

نفوسهم ولقد تَنَدُّ عن الضعيف الجبان كلمة ترسم أمنيته الخبيثة في صدره مهما رغب بالتكتّم والسرية.

د- وفعلاً أخرج الأعزّ- هو رسول الله صلى الله عليه وسلم - الأذلّ- هو ابن سلول - من دائرة

العز التي ادّعاها وأتباعه حين وقف ابنه المسلم ( عبد الله) يمنعه دخول المدينة إلا بإذن العزيز رسول الله

صلى الله عليه وسلم، ف( لله العزة ولسوله وللمؤمنين) ثم تجيء السخرية من المنافقين جليلة محلجلة ( ولكنَّ

المنافقين لا يعلمون) ، وكيف يعلمون وقد طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون؟!.



---

## المعجبون بأنفسهم

---

يقول تعالى " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب. " وهم نوعان :

١- نوعهم الأول أولئك المراءون المفاخرون بقليل ما فعلوه أو كثيره يبتغون الشهرة بين الناس بأعمالهم هذه دون الإخلاص لله تعالى فيما فعلوه ،روى الإمام أحمد أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبَنَّ أجمعين فقال ابن عباس ما لكم وهذه؟! إنما نزلت هذه في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون، لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا " الآية ،لقد سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ،فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما كتموه ما سألهم عنه وهكذا رواه البخاري في التفسير ومسلم وغيرهما من سادة الحديث.

وعن أبي سعيد الخدري : أن رجالا من المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا ،وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا " -رواه البخاري-

وروى مسلم أنّ أبا سعيد ورافع بن خديج وزيد بن ثابت قالوا : كنا عند مروان فقال : يا أبا سعيد أرايت قوله تعالى " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا " ونحن نفرح بما أتينا ونحب أن نحمد بما لم نفعل ؟ فقال أبو سعيد : إن هذا ليس من ذاك إنما ذاك أن ناسا من المنافقين يتخلفون إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا فإن كان فيه نكبة فرحوا بتخلفهم وإن كان لهم نصر من الله وفتحٌ حلفوا لهم ليرضوهم وحمدوهم على سرورهم بالنصر والفتح

. ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله أبو سعيد وصاحباها لأن الآية عامة في جميع ما ذكر  
والله أعلم .

وقد رُوي أن ثابت بن قيس الأنصاري قال : يا رسول الله والله لقد خشيت أن أكون هلكة  
قال " لم ؟ " قال نحى الله المرء أن يُحب أن يُحمد بما لم يفعل وأجديني أحبُّ الحمد ، ونهى الله عن  
الخيلاء وأجديني أحب الجمال ، ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهوري الصوت .  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة "   
فقال : بلى يا رسول الله . فعاش حميدا وقتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب .

٢- ونوعهم الثاني يدلنا عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " من ادعى دعوى كاذبة  
ليتكثر بها لم يزد الله إلا قلة " وفي الصحيحين أيضا " المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور " والمتشبع:  
من يدعي أخذ شيء أو فعله كذبا وزورا ليرتفع في أعين الناس أو يغيظ غريمه . وكثير من يحب سماع  
حمد الناس له ، ويطرب وهو يعلم أنهم متملقون كاذبون فيما يقولون ، فلا هو فعل الخير ، ولا فكر به .  
أو فعل نزرا يسيرا ليصل إلى هدف رسمه ، ولولا ذلك الهدف ما قدم شيئا ، ولعلنا نجد من يرشح نفسه  
لعمل أو منصب يرفع رايات المديح والحمد ، ويسعى إليها .

هذان الصنفان هددهم القرآن بعذاب أليم ، إن عملهم صنو الكذب ، بل هو الكذب بعينه  
وهو الخداع الذي لا لبس فيه . ولعل قوله تعالى ( لا تحسبنهم بمفازة من العذاب ) نفى صريح عن  
العفو ، ولا أمل لصاحبه بالنجاة ، وتهديد بالغ بالعقوبة حين ينفي الظن ، فما بالك بالأمل  
واليقين؟! ثم يثنى بالعقوبة الأليمة التي تناسب الموقف، بل لا بد لهم منه، فلا نجاة منه البتة ، يقول  
تعالى " ولهم عذاب أليم " ..... والله أعلم .  
نسأل الله حسن العمل وحسن الختام .



" للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

ولا يرهق وجوههم فتر ولا ذلة

أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون"

علمتنا القاعدة الذهبية في حياة الثواب والعقاب أن الأجر من جنس العمل . فالله تعالى يقول : " من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها " ويقول - سبحانه - كذلك " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " . والحظُّ أداة الشرط في الآيتين السابقتين يتبين لك أنه لا بدّ للوصول إلى الهدف من الجد والعمل بما يناسب . وهاتان الآيتان الكريمتان أسلوب ترغيب وترهيب في الوقت نفسه، إنهما توضحان المقصود بأبسط لفظ وأتم معنى ، ليس فيهما لبس ولا غموض .

إن الحسنی ( الجنة ) دار المؤمنين في الدار الآخرة ، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . نالها المؤمن جزاء وفاقاً لإيمانه بالله والعمل بأوامره والانتفاء عن نواهيه ، وهي نهاية طبيعية لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها بحق . والمولى تعالى يقول " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان " ؟ وهو تقرير جاء بصيغة سؤال لا يستدعي الإجابة . فتضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضاً مما يعطيهم الله في الجنان من القصور والخور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين فهذا من جميل كرمه جل شأنه ، وهو الحال الطبيعي الذي ينتظره المسلم من رب كريم عطاؤه لا يُجَدّ . ثم يأتي أفضل من ذلك وأعلاه وهو النظر إلى وجهه الكريم . والنظر إلى وجهه سبحانه أكرم وأعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم - فعملهم قليل - بل بجوده ورحمته .

وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب والحسن وغيرهم من السلف والخلف كثير . وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد ، قال : عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " وقال :

الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه .

فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا ؟ ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُجْرنا من النار ؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أَقَرَّ لأعينهم " . وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي: يا أهل الجنة - بصوت يسمع أولهم وآخرهم - إن الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل " .

والقتر سواد في عرصات المحشر يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القتر والغبرة . أما الذلة فهوان وصغار يصيب الكفار ويعتريهم . ولا يحصل للمؤمنين إهانة في الباطن ولا في الظاهر بل هم كما قال تعالى في حقهم " فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا " فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم قال تعالى " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " جعلنا الله منهم بفضلته ورحمته .

وفي تفسي القرطبي :

١- روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة آلاف

باب

٢- وقال يزيد بن شجرة : الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتمطرهم من كل النواذر التي لم

يروها، وتقول : يا أهل الجنة ، ما تريدون أن أمطرکم ؟ فلا يريدون شيئاً إلا أمطرهم إياه .

٣- وقيل : الزيادة أنه ما يمر عليهم مقدار يوم من أيام الدنيا حتى يطيف بمنزل أحدهم سبعون ألف

ملك، مع كل ملك هدايا من عند الله ليست مع صاحبه ، ما رأوا مثل تلك الهدايا قط ؛ فسبحان

الواسع العليم الغني الحميد العلي الكبير العزيز القدير البر الرحيم المدبر الحكيم اللطيف الكريم الذي لا

تتناهى مقدراته .

٣- وقيل : " أحسنوا " معاملة الناس ، " الحسنى " : شفاعتهم ، والزيادة : إذن الله تعالى فيها

وقبوله .



---

## المسارعون إلى الله تعالى

---

قال تعالى في سورة آل عمران الآيات ١٣٣ - ١٣٦: "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض ، أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - ومن يغفر الذنوب إلا الله؟- ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ، وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين "

فما المسارعة؟ هي المبادرة والاستباق إلى ما يوجب المغفرة . وهي الطاعة . ويندرج تحتها أمور كثيرة كأداء الفرائض ، وهو قول علي رضي الله عنه . والإخلاص في التوجه ، وهو قول عثمان رضي الله عنه . وقيل التوبة إلى الله ، والبعد عن الربا ، والثبات في القتال . والآية عامة في الجميع .

وقد ذكر الحث على المبادرة مرات في القرآن يدعو إلى التنافس وبذل الجهد للوصول إلى الهدف المنشود من وجودنا أحياء . يقول تعالى " فاستبقوا الخيرات " .

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه في الاستباق والمسارعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الصلاة على وقتها : " إنما مثل المهجر إلى الصلاة كمثل الذي يهدي البدنة ، ثم الذي على أثره كالذي يهدي البقرة ، ثم الذي على أثره كالذي يهدي الكباش ، ثم الذي على أثره كالذي يهدي الدجاجة ، ثم الذي على أثره كالذي يهدي البيضة . " ويشجع الحبيب المصطفى على الإسراع في أداء الصلاة في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو مخذومة عن أبيه عن جده " أول الوقت رضوان الله ، ووسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله . " فقال أبو بكر رضي الله عنه : رضوان الله أحب إلينا من عفوهِ . فإن رضوانه عن المحسنين ، وعفوهِ عن المقصّرين .

وإلى أين المسارعة؟ .. إنها إلى مغفرة من الله تعالى تفتح آفاق النفس وتقرب العبد من مولاه .. إلى رضوان الله وكرمه ، وهذا يستدعي الإخلاص والهمة ، وبذل الجهد للوصول إلى الهدف . ومن غفر الله تعالى له نال السعادة كلها، ونال مع رضوان الله تعالى ثوابه وجوده ، إنها جنة عرضها السماوات والأرض . فهي واسعة لا يعلم مداها إلا الذي خلقها - سبحانه - وعرض هذه الجنة السماوات السبع والأرضين

السبع مقترنة بعضها إلى بعض مبسوطة كما تبسط الثياب . فكم عرضها يا ترى؟ . الله أعلم... وإذا كانت السماوات والأرض عرضها فكم طولها يا ترى؟! والطول أكثر امتداداً من العرض . والجنان أربعة : جنة عدن وجنة المأوى وجنة الفردوس وجنة النعيم . وكل جنة منها كعرض السماوات والأرض . وفي الصحيح : " إن أدنى أهل الجنة منزلة من يتمي ويتمي حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى : لك ذلك وعشرة أمثاله . "

قال يعلى بن أبي مرة : لقيت التنوخي رسول هرقل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمحص شيخاً كبيراً، قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل ، فتناول الصحيفة رجل عن يساره ، قال: فقلت: من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا معاوية . فإذا كتاب صاحبي - هرقل - : إنك تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، فأين النار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " سبحان الله ، فأين الليل إذا جاء النهار؟ " .

لمن أعدت الجنة؟ إن أصحابها المتقون . " أعدت للمتقين " والمتقي من ابتعد عن غضب الله وعذاب جهنم . إن المتقين ذوو صفات عدة ، ذكرها القرآن في مواطن كثيرة تتعدد حسب الفكرة المقصودة في كل آية . فما صفات المتقين في هذه الآيات الكريمة ؟

بعض صفات المتقين : نسأله تعالى أن نكون منهم :

١ - الذين ينفقون في السراء والضراء : من صفات الله تعالى الكرم والجود ، والسعيد من يحاول التحلي ببعض هذه الصفات التي يحبها المولى سبحانه . ومن كان جواداً كريماً كان هماماً واضح الإحساس زكي النفس ذكي الفؤاد ، يحب الخير للعباد ، ويساعد ذا الحاجة الملهوف ، يقصده الناس لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم . " الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله " و " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة " . والكرم والجود من أخلاقه في حالاته كلها . قال المفسرون : في حالة السراء والضراء ، والعسر واليسر ، والرخاء والشدة ، والرضا والغضب ، في حال الصحة والمرض . فالإنفاق - على هذا - متأصل في نفوسهم ، وسجية في طبائعهم .

٢ - والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . ثلاث صفات رائعات

يتدرج المتقي فيها ليصل إلى أفضلها . أولها: كظم الغيظ - حبسه ومنعه من الثوران والتصرف الهائج - فهو الصبر إذًا...والصبر نور في البصر والبصيرة كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : " والصبر ضياء " وقال تعالى " إن الله يحب الصابرين " وعلى المسلم الداعية أن يتجاوز عن إساءات الناس إذا أراد أن يصل إلى قلوبهم ، ويلج عقولهم ، فيحبه ويتبعوه ، وقد جبل الناس على الضعف والخطأ الذي يولد الأذى فقد قال صلى الله عليه وسلم : " المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم . " ولا ننس أن كظم الغيظ لا يعني نسيانه ، إنما تناسيه، والفرق بينهما واضح جلي . فإذا نجح المسلم في السيطرة على نفسه فحبس غيظه دخل في المرتبة الثانية: العفو عن الناس والعفو نسيان ما كان منهم ، ومسامحتهم، وكأن شيئاً لم يكن . فقد كان الرسول الكريم يعفو عمّن ظلمه ، والسيرة مليئة بهذه المواقف النبوية الرائعة في العفو والصفح عن المسيء ، وتاريخ الصالحين من أسلافنا شاهد على ذلك . والعفو دليل سمو الأخلاق ورجاحة العقل ، ولن يكون الداعية ناجحاً إذا عامل الناس بالمثل . إنه إن عاملهم كذلك لم يتميّز عنهم . والقرآن الكريم يدعونا إلى العفو " وأن تعفوا أقرب للتقوى " ويقول : " وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم " هذا مع المسلمين . وكذلك مع غير المسلمين فإن العفو عنهم رفع مقام للمؤمن ، وزيادة في عقاب الكافر " قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون " وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " بل إن الإنسان إذا تحمّل أذى الآخرين نال ثواباً عظيماً يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من جرعة يتجرعها العبد خيراً له وأعظم أجراً من جرعة غيظ في الله . فإذا نجح المسلم في الدرجة الثانية جازها إلى الدرجة الأخيرة الراقية الإحسان الذي يحبه الله تعالى ويحب أهله " والله يحب المحسنين " ودرجة الإحسان أنك تعبد الله " كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فأنت على هذا في المعية الإلهية .

قال سريّ السقّطيّ : الإحسان أن تحسن في وقت الإمكان ، فليس كل وقت يمكنك الإحسان فيه .

وقال الشاعر أبو العباس الجمني :

ليس في كل ساعة وأوانٍ      تنهياً صنائع الإحسان



وإذا أمكنت فبادر إليها حذراً من تعذر الإمكان

وقد أورد القرطبي في المحسن : من صحح عقد توحيده ، وأحسن سياسة نفسه ، وأقبل على أداء فرائضه ، وكفى المسلمين شره .

٣- والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

١- ذكروا الله .....

ب- فاستغفروا لذنوبهم - ومن يغفر الذنوب إلا الله؟ - ،

ج- ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .

ما من أحد لم يقترف ذنباً ، أو يجترح إثماً فالإنسان خطاء كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطاء تعني كثير الأخطاء . لكن التائب بصدق يتوب الله تعالى عليه ، وهؤلاء في هذا الصنف دون الصنف الأول ، فألحقهم الله بهم مناً منه وكرماً ، وهؤلاء هم التوابون . الذين يقعون في الفاحشة ، ثم يستدركون ويتوبون إلى الله تعالى ، فيتوب عليهم ويغفر لهم . أما ظلم النفس هنا فالخطأ دون الكبائر .. هؤلاء يذكرون الله تعالى ويعلمون أنهم أغضبوه فيسارعون للاستغفار والتوبة والأوبة إليه سبحانه فهو وحده الذي يقبل توبتهم ، ويقلل عثرتهم . فإذا كان الله وحده من يغفر الذنوب فاللجوء إليه وحده الطريق الصحيح للتخلص من الذنوب والآثام . والتوبة لها شروط ثلاث كما ذكر العلماء اعتماداً على هذه الآية الكريمة أن : ١- يقلع الإنسان عن المعصية . ٢- وأن يندم على فعلها ٣- وأن يعزم أن لا يعود إليها . فإذا كانت المعصية بحق غير الله زيد شرط رابع ٤- أن يعيد الحق لصاحبه وأن يستسمح منه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " ما من عبد يذنب ذنباً ، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله ، إلا غفر له " ثم تلا الآية الكريمة " والذين إذا فعلوا فاحشة .... " ومن علم أنه واقف يوماً أمام الله تعالى - " وهم يعلمون " - خاف ورجا ، ورغب ورهب ، فأسرع تائباً إلى الله عز وجل .

جزاء المتقين

أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ، وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر

العاملين "

فهؤلاء الذين ينفقون من أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، ويكظمون غيظهم ، ويعفون عمن ظلمهم ،

ويحسنون إلى الناس، ويتوبون إلى الله ويستغفرونه ، ويعلمون أنهم محاسبون على ما يعملون فيحترسون لهم جزاء عظيم يقود إلى نتيجة عظيمة .

أما الجزاء العظيم فالمغفرة من الله تعالى ومن رضي الله عنه رضي كل شيء عنه وأحبه ، وعفا عنه وأبدل سيئاته حسنات . ومن نال هذه الفضائل العظيمة استحق الجنة ونعيمها الأبدى الخالد بأثمارها العذبة من ماء غير آسن ولبن لم يتغير طعمه وعسل مصفى وخمر لذة للشاربين .  
ونال ما يتمناه من ثمار الجنة وأكلها ، وجميل حورها . وما أحسن هذا الجزاء الكريم من رب كريم . وأنعم بالخلود أبد الآبدين .



## (المقتسمون الذين جعلوا القرآن عِضِينَ)

قرأ الإمام اليوم في صلاة الفجر قوله تعالى من سورة الحجر الآيتين (كما أنزلنا على المقتسمين ، الذين جعلوا القرآن عِضِينَ)(٩٠-٩١).

فأحببت أن أعرض معنى (الاقتسام والعِضِينَ):

فمما قال ابن كثير رحمه الله تعالى في معناها :

١- هم المتحالفون أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم كقوله تعالى إخبارا عن قوم صالح أنهم " قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله " ليقتلوهم ليلاً .:

٢- وهم الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور: " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت "

٣- ومنهم الذين أقسموا أن الله لا يرحم المؤمنين الداعين إلى الحق: " أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة "

٤- وكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين . وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدجلوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبه طائفة منهم فأصبحوا مكأنهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق " .

ومما قال القرطبي:

اختلف المفسرون في " المقتسمين " على أقوال سبعة . وهي ستة فقد كرر القول الأول:

الأول : هم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا أعقاب مكة وأنقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها : لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة ؛ فإنه مجنون ، وربما قالوا ساحر ، وربما قالوا شاعر ، وربما قالوا كاهن . وسموا المقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق ، فأماهم الله شر ميتة ، وكانوا نصّبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد ، فإذا سألوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صدق

أولئك ( يقصد الستة عشر).

الثاني :هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله ( من القِسمة لا القَسم)فجعلوا بعضه شعرا ، وبعضه سحرا ، وبعضه كهانة ، وبعضه أساطير الأولين .

الثالث : هم أهل الكتاب آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

الرابع : أنهم سُمُوا مقتسمين لأنهم كانوا مستهزئين ، فيقول بعضهم : هذه السورة تقصديني وهذه السورة تعنيك .

الخامس : أنهم قسموا كتابهم ففرقوه وبددوه وحرفوه .

السادس : هم قوم صالح ، تقاسموا على قتله فسُمُوا مقتسمين ؛ كما قال تعالى : " تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله " [ النمل : ٤٩ ] .

أما معنى ( عضين): فمما قال ابن كثير فيه:

" الذين جعلوا القرآن عضين "

١- فقد جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فأمنوا ببعض وكفروا ببعض.

٢- وقال بعضهم : (العَضَةُ السحر) بلسان قريش يقول للساحرة إنها العاضة .

٣- وقالوا العضئُ ( أصناف من الكهانة و أساطير الأولين والجنون). واحتجّوا أن الوليد

بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر

قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا

فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويردّ قولكم بعضه بعضا فقالوا: أقم لنا

رأيا نقول به قال : بل أنتم قولوا لأسمع. قالوا : نقول كاهن قال ما هو بكاهن قالوا فنقول مجنون

قال ما هو بمجنون قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر قالوا

فماذا نقول ؟ قال والله إن لقوله لحلاوة فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن

أقرب القول أن تقولوا هو ساحر ؛ فتفرقوا عنه بذلك وأنزل الله فيهم " الذين جعلوا القرآن عضين "

أصنافا .

وأما بعضُ ما قال القرطبي:

- ١- واحد العُضَيْن عَضَةٌ، وَعَضِيَتِ الشَّيْءَ تَعْضِيَةً: فَرَقْتَهُ. فَأَمَّنُوا بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ.
- ٢- وَقِيلَ : فَرَّقُوا أَقَاوِيلَهُمْ فِيهِ فَجَعَلُوهُ كَذِبًا وَسِحْرًا وَكُهَانَةً وَشَعْرًا. وَأَهْلُ مَكَّةَ يَقُولُونَ لِلْسَّاحِرِ: (عَاضُهُ) وَلِلْسَّاحِرَةِ عَاضُهَا . وَفِي الْحَدِيثِ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَاضَةَ وَالْمُسْتَعْضَةَ، وَفَسَّرَ : السَّاحِرَةَ وَالْمُسْتَسْحَرَةَ .
- ٣- وَقِيلَ : الْعَضَةُ النَّمِيمَةُ وَالْبَهْتَانُ. قَالَ الْكَسَائِيُّ : الْعَضَةُ الْكَذِبُ وَالْبَهْتَانُ ، وَجَمَعَهَا عَضُونَ.
- ٤- وَيُقَالُ : آمَنُوا بِمَا أَحْبَبُوا مِنْهُ وَكَفَرُوا بِالْبَاقِي ، فَأَحْبَطَ كُفْرُهُمْ إِيْمَانَهُمْ .
- ٥- وَقَالُوا إِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْعِضَاهِ، وَهِيَ شَجَرُ الْوَادِي وَيُخْرَجُ كَالشَّوْكِ .
- وَاللَّهُ أَعْلَمُ



---

## إنه يُجيب المضطرّ إذا دعاه

---

كم هم الذين ينطبق عليهم قوله تعالى في سورة الذاريات " كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون (١٧-١٨) "؟ ولا أدعي أنني منهم ، فقيام الليل شرف عظيم لا يناله إلا أولو العزمات . وأنتى لضعيف الهمة -أمثالي- أن يكون في عدادهم ؟ وقد تعودنا الأكل الكثير الذي يستدعي النوم الثقيل . وتعودنا السهر الطويل بفائدة وغير فائدة ، ثم ننام حين ننام كما يستلقي القليل دون حراك ، فإذا ما أذن للفجر قام متكاسلاً كمن يحمل الجبال الرواسي على عاتقه . يصلي الفجر متثاقلاً - إن صلاه - لا يدري ما صلى ، ثم يسرع متمماً نوماً ثقیلاً عميقاً ...

ويعيش أحدنا همّه بطنه وفرجه ومظهره الخارجي متناسياً ما يحيطه من مصائب وويلات تكاثرت علينا تذكرنا بما قاله المتنبي مخاطباً الحمى :

أبنت الدهر ؛ عندي كل بنت فكيف وصلتِ أنتِ من الزحام ؟

أو كما قال خراش :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيدُ

فإذا نظر أحدنا إلى بلاد المسلمين شرقاً وغرباً وجدّها ترزح تحت نير الأعداء عسكرياً أو اقتصاداً أو سياسة أو جهالة أو فكرياً وولاءاً أو تحتها كلها أو بعضها ، ولا أحاشي بلداً من بلداننا ، فنحن -والحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه - غارقون حتى الشمال في التبعية للغرب أو الشرق ، قد أدمنا على أن نكون في ذيل قائمة الشعوب ، لا نرضى عن هذه الحالة بديلاً .

والقليل منا يودّ أن يكون حراً سيداً في نفسه وحياته وبلده . ولا أصدّق أننا مغلوبون على أمرنا ، لأن الشعوب الحية تدفع ثمن الحرية ما غلا وحلا ، وتذوق العلقم لتستقي بعده الشهد ، وتبذل الغالي للوصول إلى العزة والكرامة ، فماذا فعلنا في سبيل هدفنا هذا غير الاستسلام للعدو الخارجي والعدو الداخلي على حد سواء؟! فالثاني ظل للأول ، وامتداد له وصنيعة من صنائعه .

ورحم الله الشاعر الشابي إذ قال :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

وما قال الشاعر ما قال إلا حين فهم قوله تعالى : " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " ،  
وقد غيّرنا ما بأنفسنا من السيادة والكرامة والعلم إلى العبودية والضعّة والجهل ، فاستحققنا ما ننعم فيه من  
الدونيّة والتبعية والانهمامية !!

ما علينا ؛؛ فقد أكثرنا من جلد الذات - كما يقول بعضهم ممن لا تستهويه هذه المعاني ولا يود  
التحرك نحو الأفضل - فلنلتفت إن شئنا - ويجب أن نشاء - إلى اللجوء إلى من يأخذ بأيدينا إلى ما نريد  
ونُهو ، إلى مصدر القوة والعظمة ، إلى من كان معنا حين كنا معه نلتمس العون والسداد فنحن في أزمة ،  
بل أزمات تأخذنا يميناً وشمالاً وتحت وفوق ، بل إلى تحت فقط ، وإلى الأعماق السحيقة ، فلا بد من  
البحث عن مخرج مما نتخبط فيه من أمواج عاتية وعواصف مدمّرة ، ولنتلمس بقوة حبل النجاة ، فلا نجاة  
إلا به " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا  
تَذَكَّرُونَ (٦٢) " سورة النمل.

إن الله تعالى ينبه أنه هو المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل . ألم يخبرنا سبحانه قائلًا : " وإذا  
مسككم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه " وقال أيضاً : " ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون " وهنا  
يقول تعالى " أمن يجيب المضطر إذا دعاه " فلا يلجأ المضطر إلا إليه ولا يكشف عنه الضرّ سواه .

يروى الإمام أحمد رحمه الله أن رجلاً قال قلت يا رسول الله إلام تدعو ؟ قال " أدعو إلى الله وحده  
الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي إن ضللت بأرض كفر فدعوته رد عليك ، والذي إن  
أصابتك سنة فدعوته أنبت لك " قال قلت أوصني قال " لا تسبن أحدا ولا تزهدن في المعروف ولو أن  
تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي واتزر إلى نصف الساق فإن  
أبيت فإلى الكعبين وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة " أي  
الخيلاء . وفي رواية أن الإمام أحمد ذكر اسم الصحابي جابر بن سليم الهجيمي قال : أتيت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وهو محتب بشملة وقد وقع هُدهبها على قدميه فقلت أيكم محمد رسول الله ؟ فأومأ بيده إلى  
نفسه فقلت يا رسول الله أنا من أهل البادية وفيهم جفاؤهم فأوصني قال " لا تحقرنّ من المعروف شيئا ولو  
أن تلقى أخاك ووجهك منبسط ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا  
تشتمه بما تعلم فيه فإنه يكون لك أجره وعليه وزره وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن

الله لا يحب المخيلة ولا تسبب أحدا " قال فما سببت بعده أحدا ولا شاة ولا بعيرا .

وعن عبيد الله بن أبي صالح قال : دخل علي طاوس يعودي فقلت له ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن . فقال ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه . وقال وهب بن منبه قرأت في الكتاب الأول أن الله تعالى يقول : بعزتي إنه من اعتصم بي فإن كادته السموات بمن فيهن والأرض بمن فيهن فأني أجعل له من بين ذلك مخرجاً ومن لم يعتصم بي فأني أخسف به من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء فأكله إلى نفسه .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي قال هذا الرجل كنت أكارى (حمال) على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق عن طريق غير مسلوكة فقال لي خذ في هذه فإنها أقرب . فقلت : لا خبرة لي فيها . فقال بل هي أقرب . فسلكناهما فانتبهنا إلى مكان وعمر وواد عميق ، وفيه قتلى كثيرة . فقال لي : امسك رأس البغل حتى أنزل . فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه ، وسل سكيناً معه وقصدي . ففررت من بين يديه وتبعني . فناشدته الله ، وقلت خذ البغل بما عليه . فقال هو لي ، وإنما أريد قتلك . فخوفته الله والعقوبة . فلم يقبل ، فاستسلمت بين يديه وقلت إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين . فقال عجل . فقممت أصلي فأرتج علي القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفا متحيراً وهو يقول : هيه افرغ . فأجرى الله على لساني قوله تعالى : " أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء " فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي ويده حربة ، فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده ، فخر صريعاً . فتعلقت بالفارس وقلت بالله من أنت ؟ فقال أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً .

فإذا أجاب الله دعاء المسلم المضطر ونحن في ضنك واضطرار ، وأخلص في الدعاء وتوجه بكلية إلى مولاه كشف عنه السوء ، ثم زاده خيراً على خير ، وسوّده على من كان عليه سيئاً . ورفع درجته بين الناس . والأمة التي تلجأ إلى الله يكشف عنها السوء ، ويرفعها بين الأمم ، فهو تعالى الرافع والخافض ، ألم يقل تعالى : " إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين " وهو سبحانه من يقول : " وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات " إنه سبحانه يقول في هذه الآية " ويجعلكم خلفاء الأرض " .



فالأمر واضح لذي عينين وذي قلب سليم ، فلماذا يتنكب المسلمون الطريق القويم ويميلون عن الصراط المستقيم؟! والحل لكل المعضلات والمشاكل معروف، أخذ به أسلافنا فكانوا سادة الدنيا وملوكها؟!



## إنها لظى

لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم :

روى هبيرة بن أبي مرثم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلئ الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلئ كلها ، وعن حطان بن عبد الله أنه قال سمعت علي بن أبي طالب وهو يخطب قال : إن أبواب جهنم هكذا - قال أبو هارون - أطباقا بعضها فوق بعض .

وقال ابن جريج سبعة أبواب أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية . وقال قتادة " لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " هي والله منازل بأعمالهم

وحين أخبر الله تعالى أن لجهنم سبعة أبواب " لكل باب منهم جزء مقسوم " فقد كتب لكل باب منها جزءاً من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه - أجازنا الله منه - وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في ذلك بقدر عمله . رواه ابن جرير وقال جوير عن الضحاك " لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " قال باب لليهود ، وباب للنصارى الذين يجعلون عيسى - وهو رسول الله - ابناً لله ، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب ، وباب للمنافقين ، وباب لأهل التوحيد فأهل التوحيد يرجى لهم النجاة منها بعد دخولهم ، ولا يرجى لأولئك أبدا .

وعن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " لكل باب منهم جزء مقسوم " قال " إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبه وإن منهم من تأخذه النار إلى حَجَزَتِهِ ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه، منازلهم بأعمالهم فذلك قوله لكل باب منهم جزء مقسوم " .

وقال القرطبي رحمه الله تعالى : الذي عليه الأكثر من العلماء أن جهنم أعلى الدرجات ، وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي التي تخلق من أهلها فتصفق الرياح أبوابها . ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم سعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية .

وروي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : " لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " جزء أشركوا بالله ، وجزء شكوا في الله ، وجزء غفلوا عن الله ، وجزء آثروا شهواتهم على الله ، وجزء شقوا غيظهم بغضب الله ، وجزء عتوا على الله .

ويروى أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع هذه الآية " وإن جهنم لموعدهم أجمعين " فرّ ثلاثة أيام من الخوف لا يعقل ، فجيء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال : يا رسول الله ، أنزلت هذه الآية " وإن جهنم لموعدهم أجمعين " ؟ فو الذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي ؛ فأنزل الله تعالى " إن المتقين في جنات وعيون " [ الحجر : ٤٥ ] .

وقال بلال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد المدينة وحده ، فمرت به امرأة أعرابية فصلت خلفه ولم يعلم بها ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية " لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " فخرت الأعرابية مغشياً عليها ، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم وجبتها ( صوت وقوعها ) فانصرف ، ودعا بماء فصب على وجهها حتى أفاقت وجلست ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ( يا هذه مالك ) ؟ فقالت : أهذا شيء من كتاب الله المنزل أم تقوله من تلقاء نفسك ؟ فقال : ( يا أعرابية ، بل هو من كتاب الله تعالى المنزل ) .

فقالت : كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب منها ؟

قال : ( يا أعرابية ، بل لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب أهل كل منها على قدر أعمالهم ) . فقالت : والله إني امرأة مسكينة ، ما لي مال ، وما لي إلا سبعة أعبد ، أشهدك يا رسول الله ، أن كل عبد منهم عن كل باب من أبواب جهنم حرّ لوجه الله تعالى .

فأتاه جبريل فقال . ( يا رسول الله ، بشر الأعرابية أن الله قد حرم عليها أبواب جهنم كلها وفتح لها أبواب الجنة كلها ) . (١)



.....  
(١) من تفسير القرطبي للآية الكريمة ، الآية ٤٤ من سورة الحجر .

## أنواع القلوب

في القرآن الكريم أنواع كثيرة من القلوب ، نذكر منها :

القلب السَّليَمُ: هو القلب المخلص لله الخالي من الكفر والنفاق والرديلة.

(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) ﴿الشعراء: ٨٩﴾

القلب المَخْبِتُ: الخاضع المطمئن الساكن لذكر الله تعالى (فَتُخْبِتُ لَهُ قُلُوبُهُمْ) ﴿الحج: ٥٤﴾

القلب المُنِيبُ: وهو دائم الرجوع والتوبة إلى الله مقبلٌ على طاعته.

(مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) ﴿ق: ٣٣﴾

القلب التَّقِيّ: وهو الذي يعظم شعائر الله

القلب الوجِلُ وهو الذي يخاف الله عز وجل ، ويخشى ألا يقبل منه العمل وألا ينجو من عذاب ربّه.

(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) المؤمنون: ٦٠

القلب المِطْمَئِنِّ: الذي يسكن بتوحيد الله وذكره (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) (الرعد: ٢٨)

(ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) ﴿الحج: ٣٢﴾

القلب المَهْدِيّ: الرّاضي بقضاء الله ، المسلم لأمره. (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) ﴿التغابن: ١١﴾

القلب الحَيّ: وهو الذي يَعْقِلُ ويتعظ . (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) ﴿ق: ٣٧﴾

القلب المَرِيضُ: وهو الذي أصابه مرض الشك أو النفاق وتملكه الفجور ومرض الشهوة الحرام.

(فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) ﴿الأحزاب: ٣٢﴾

القلب الأعْمَى: وهو الذي لا يبصر ولا يدرك الحق ولا يعتبر.

(وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) ﴿الحج: ٤٦﴾

القلب اللاهِيّ الغافل عن القرآن الكريم ، المشغول بأباطيل الدنيا وشهواتها ، لا يعقل ما فيه.

(لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ) ﴿الأنبياء: ٣﴾

القلب الآثِمُ: وهو الذي يكتم شهادة الحق.

(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) ﴿البقرة: ٢٨٣﴾

القلب المتكبر: المستكبر عن توحيد الله وطاعته، الجبار بكثرة ظلمه وعدوانه

( قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ) ﴿غافر: ٣٥﴾

القلب الغافل: الغافل عن ذكر الله ، المؤثر هواه على طاعة مولاه.

( وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ) ﴿الكهف: ٢٨﴾

القلب المرتاب: الشاك المتحير . (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ) ﴿التوبة: ٤٥﴾

القلب الغليظ: وهو الذي نُزعت منه الرأفة والرحمة

( وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ) ﴿آل عمران: ١٥٩﴾

القلب الزائع: المائل عن الحق ، الذي يتبع ما يشككه . ( فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ) آل عمران: ٧

القلب المختوم عليه : الذي لم يسمع الهدى ولم يعقله . ( وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ) ﴿الجاثية: ٢٣﴾

القلب القاسي : الذي لا يلين للإيمان ولا يؤثّر فيه زجر ، المعرض عن ذكر الله.

( وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ) ﴿المائدة: ١٣﴾

القلب الأعف: القلب الذي لا ينفذ إليها قول الحق ولا يتعظ بما يجري حوله ..

( وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ) ﴿البقرة: ٨٨﴾ .

- اللهم اجعل قلوبنا ناطقة بذكرك ، مليئة بحبك ، خاشعة لجلالك . واكتبنا عندك من

الناجين .



---

## ثواب الآخرة للمؤمنين وأهم صفاتهم في سورة الشورى

### في ظلال القرآن للشهيد : سيد قطب

---

كنت أقرأ هذه الآيات في سورة الشورى اليوم ٢٩-١١-١٤٣٢ من قوله تعالى " فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى .... إلى قوله سبحانه ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور " فأحسست بعظم هذه الآيات في قلبي وتوقفت عندها طويلاً ، ثم عزمت أن أترجم ما في قلبي وعقلي من ظلالها الممتدة الوارفة ، ثم رأيتني أمسك ظلال القرآن لأستاذنا سيد رحمه الله تعالى وأقرأ ما سطره قلبه الشفاف في هذه الآيات الرائعة ، فأحببت أن تعيشوا معي هذه الدقائق في معانٍ عظيمة قررها الكتاب الكريم في صفحاته الخالدة ، وقدمها الشهيد سيد رحمه الله في قالب حوار أدبي ممتع يترجم تأثيره العملي والإيجابي بكتاب الله جل شأنه.

ولا أخفي عليكم أن الذي شدني إلى كتاب الله والالتزام بدعوته استشهاد سيد قطب رحمه الله تعالى، فقد كنت متديناً بالفطرة وأحب أهل الدين والفكر الإسلامي وعلى رأسهم الشهيد البطل سيد ، وكنت أحب بل أعظم جمال عبد الناصر الذي صورته الإعلام في الستينات من القرن المنصرم بطل العروبة ومنقذ الأمة وريان السفينة ، ولا أدري كيف اجتمع في قلبي حب رجلين مختلفي التوجه دون أن أميز في ذلك الوقت بين الحق والباطل . ربما كان هذا بسبب تحكّم العاطفة الإسلامية والعاطفة العربية القومية في وجداني ولما تنضج الأمور في قلبي وعقلي ، إلى أن حكم عبد الناصر بالإعدام على سيد ، ونفذ الحكم فيه عام ستة وستين وتسع مئة وألف . فتأثرت كثيراً وعزمت أن أقرأ كتابه ( معالم في الطريق ) فأحكم بينهما وأميل إلى الجانب الذي أراه صواباً . وقرأت الكتاب ، وعشت فيه أياماً تداخلت فيها العاطفة بالفكر والقلب بالعقل، وكررت القراءة مرات ومرات، ثم هداني الله تعالى إلى الحق ، فما ينبغي لرجل الدولة أن يقتل عالماً من كبار علماء المسلمين ولا يحق له أن يزهق روح رجل كان ملء العين والبصر ، وكان له رأي في الحق والحرية خالف ما يفرضه الحاكم على شعبه وأكرههم عليه. فهو إذاً طاغية ومتجبر ، ولا يرى غير نفسه ولا يتحمل أن يسمع غير التمجيد بذاته والخضوع لرغباته.

وبدأت أقرأ الظلال والمستقبل لهذا الدين ، وهذا الدين ، وخصائص التصور الإسلامي .. وإذا أنا

تلميذ محب لسيد وإخوان سيد ، وإذا بي أبحث عن الإخوان لأكون منهم بعد سنة أو سنتين ..  
هذا سيد قطب الذي أقنعني بعد استشهاده أن أكون من تلاميذه وأن أسير على دربه ، وأسأل الله  
تعالى أن يحييني على هذه الدعوة وأن أكون آخر أيامي أشد حبا لها وعملاً في سبيلها .

يتحدث الشهيد سيد قطب في سورة الشورى عن دروس مهمة في مسيرة الدعوة ، وهذه الآيات التي  
نحن بصدددها هي الدرس الخامس من سلسلة تربوية جامعة في هذه السورة الكريمة ( الشورى ) يوضح فيها  
تفاهة الحياة الدنيا التي يقتتل عليها البشر ، وهم يرون من سبقهم ودّعها مقهوراً قد ترك ما اقتتل عليه  
فجأة دون سابق إنذار وكأن شيئاً لم يكن ، فالحياة الدنيا متاع زائل لا يدوم ، وكيف يحرص الإنسان على  
أمر يتركه في أوج التمتع به ؟! وهو يعلم أن هذه الحياة فانية وأن ما عند الله خير وأبقى لأقوام اتسموا  
بسمات لا بد منها ليكونوا من أهل الجنان الباقية والنعيم الدائم.

وأترككم في رحاب هذه الآيات مع الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله وفي الخالدين.  
يقول الشهيد : .... ثم يخطو بهم خطوة أخرى ، وهو يلفتهم إلى أن كل ما أتوه في هذه الأرض متاع  
موقوت في هذه الحياة الدنيا . وأن القيمة الباقية هي التي يدخرها الله في الآخرة للذين آمنوا وعلى ربهم  
يتوكلون . ويستطرد فيحدد صفة المؤمنين هؤلاء ، بما يميزهم ، ويفردهم أمة وحدهم ذات خصائص  
وسمات!

**فما أوتيتهم من شيء فمتاع الحياة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى:**

- ١- (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .
- ٢- والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ،
- ٣- وإذا ما غضبوا هم يغفرون ،
- ٤- والذين استجابوا لربهم ،
- ٥- وأقاموا الصلاة ،
- ٦- وأمرهم شورى بينهم ،
- ٧- ومما رزقناهم ينفقون .
- ٨- والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون .

٩- وجزاء سيئة سيئة مثلها ،

١٠- فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين .

١١- ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون  
الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم .

١٢- ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور . . )

لقد سبق في السورة أن صوّر القرآن حالة البشرية ؛ وهو يشير إلى أن الذين أوتوا الكتاب تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم ؛ وكان تفرقهم بغيا بينهم لا جهلاً بما نزل الله لهم من الكتاب ، وبما سن لهم من نهي ثابت مطرد من عهد نوح إلى عهد إبراهيم إلى عهد موسى إلى عهد عيسى - عليهم صلوات الله - وهو يشير كذلك إلى أن الذين أوتوا الكتاب بعد أولئك المختلفين ، ليسوا على ثقة منه، بل هم في شك منه مريب وإذا كان هذا حال أهل الأديان المنزلة ، وأتباع الرسل - صلوات الله عليهم - فحال أولئك الذين لا يتبعون رسولا ولا يؤمنون بكتاب أضل وأعمى .

ومن ثم كانت البشرية في حاجة إلى قيادة راشدة ، تنقذها من تلك الجاهلية العمياء التي كانت تخوض فيها . وتأخذ بيدها إلى العروة الوثقى ؛ وتقود خطاها في الطريق الواصل إلى الله ربها وهذا الوجود جميعا.

ونزل الله الكتاب على عبده محمد [ ص ] قرآناً عربياً ، لينذر أم القرى ومن حولها ؛ وشرع فيه ما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ، ليصل بين حلقات الدعوة منذ فجر التاريخ ، ويوحد نهجها وطريقها وغايتها ؛ ويقم بها الجماعة المسلمة التي تهيم وتقود ؛ وتحقق في الأرض وجود هذه الدعوة كما أرادها الله، وفي الصورة التي يرتضيها .

وهنا في هذه الآيات يصور خصائص هذه الجماعة التي تطبعها وتميزها . ومع أن هذه الآيات مكية ، نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة ، فإننا نجد فيها أن من صفة هذه الجماعة المسلمة: (وأمرهم شورى بينهم). . مما يوحي بأن وضع الشورى أعظم في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً للدولة ، فهو طابع أساسي للجماعة كلها ، يقوم عليه أمرها كجماعة ، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة ، بوصفها إفرازاً طبيعياً للجماعة . كذلك نجد من صفة هذه الجماعة: (والذين إذا أصابهم البغي هم



**ينتصرون).** . مع أن الأمر الذي كان صادراً للمسلمين في مكة هو أن يصبروا وألا يردوا العدوان بالعدوان ؛ إلى أن صدر لهم أمر آخر بعد الهجرة وأذن لهم في القتال . وقيل لهم: **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)**. وذكر هذه الصفة هنا في آيات مكية بصدد تصوير طابع الجماعة المسلمة يوحي بأن صفة الانتصار من البغي صفة أساسية ثابتة ؛ وأن الأمر الأول بالكف والصبر كان أمراً استثنائياً لظروف معينة . وأنه لما كان المقام هنا مقام عرض الصفات الأساسية للجماعة المسلمة ذكر منها هذه الصفة الأساسية الثابتة ، ولو أن الآيات مكية ، ولم يكن قد أذن لهم بعد في الانتصار من العدوان .

وذكر هذه الصفات المميزة لطابع الجماعة المسلمة ، المختارة لقيادة البشرية وإخراجها من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام . ذكرها في سورة مكية وقبل أن تكون القيادة العملية في يدها فعلا ، جدير بالتأمل . فهي الصفات التي يجب ان تقوم أولا ، وأن تتحقق في الجماعة لكي تصبح بها صالحة للقيادة العملية . ومن ثم ينبغي أن نتدبرها طويلا . . ما هي ؟ ما حقيقتها ؟ وما قيمتها في حياة البشرية جميعاً ؟ إنها الإيمان . والتوكل . واجتناب كبائر الإثم والفواحش . والمغفرة عند الغضب . والاستجابة لله . وإقامة الصلاة . والشورى الشاملة . والإنفاق مما رزق الله . والانتصار من البغي . والعفو . والإصلاح . والصبر .

**فما حقيقة هذه الصفات وما قيمتها؟** يحسن أن نبين هذا ونحن نستعرض الصفات في نسقها القرآني.

إنه يقف الناس أمام الميزان الإلهي الثابت لحقيقة القيم . والقيم الزائلة القيم الباقية ؛ كي لا يختلط الأمر في نفوسهم ، فيختل كل شيء في تقديرهم . ويجعل هذا الميزان مقدمة لبيان صفة الجماعة المسلمة: ( فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى ) .

إن في هذه الأرض متاعاً جذاباً براقاً ، وهناك أرزاق وأولاد وشهوات ولذائذ وجاه وسلطان ؛ وهناك نعم آتاهها الله لعباده في الأرض تطفأ منه وهبة خالصة ، لا يعلقها بمعصية ولا طاعة في هذه الحياة الدنيا . وإن كان يبارك للطائع - ولو في القليل - ويمحق البركة من العاصي ولو كان في يده الكثير .

ولكن هذا كله ليس قيمة ثابتة باقية . إنما هو متاع . متاع محدود الأجل . لا يرفع ولا يخفض ، ولا يعد بذاته دليل كرامة عند الله أو مهانة ؛ ولا يعتبر بذاته علامة رضى من الله أو غضب . إنما هو متاع .

(وما عند الله خير وأبقى). . خير في ذاته . وأبقى في مدته . فمتاع الحياة الدنيا زهيد حين يقاس إلى ما عند الله ، ومحدود حين يقاس إلى الفيض المنساب . ومتاع الحياة الدنيا معدود الأيام . أقصى أمدته للفرد عمر الفرد ، وأقصى أمدته للبشرية عمر هذه البشرية ؛ وهو بالقياس إلى أيام الله ومضة عين أو تكاد . وبعد تقرير هذه الحقيقة يأخذ في بيان صفة المؤمنين الذين يذخر الله لهم ما هو خير وأبقى . . ويبدأ بصفة الإيمان: ( وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا ) . . وقيمة الإيمان أنه معرفة بالحقيقة الأولى التي لا تقوم في النفس البشرية معرفة صحيحة لشيء في هذا الوجود إلا عن طريقها . فمن طريق الإيمان بالله ينشأ إدراك لحقيقة هذا الوجود ، وأنه من صنع الله ؛ وبعد إدراك هذه الحقيقة يستطيع الإنسان أن يتعامل مع الكون وهو يعرف طبيعته كما يعرف قوانينه التي تحكمه . ومن ثم ينسق حركته هو مع حركة هذا الوجود الكبير ، ولا ينحرف عن النواميس الكلية فيسعد بهذا التناسق ، ويمضي مع الوجود كله إلى بارئ الوجود في طاعة واستسلام وسلام . وهذه الصفة لازمة لكل إنسان ، ولكنها ألزم ما تكون للجماعة التي تقود البشرية إلى بارئ الوجود .

وقيمة الإيمان كذلك الطمأنينة النفسية ، والثقة بالطريق ، وعدم الحيرة أو التردد ، أو الخوف أو اليأس . وهذه الصفات لازمة لكل إنسان في رحلته على هذا الكوكب ؛ ولكنها ألزم ما تكون للقائد الذي يرتاد الطريق ، ويقود البشرية في هذا الطريق .

وقيمة الإيمان التجرد من الهوى والغرض والصالح الشخصي وتحقيق المغام . إذ يصبح القلب متعلقاً بهدف أبعد من ذاته ؛ ويحس أن ليس له من الأمر شيء ، إنما هي دعوة الله ، وهو فيها أجير عند الله ! وهذا الشعور ألزم ما يكون لمن توكل إليه مهمة القيادة كي لا يقنط إذا أعرض عنه القطيع الشارد أو أؤدي في الدعوة ؛ ولا يغتر إذا ما استجابت له الجماهير ، أو دانت له الرقاب . فإنما هو أجير .

ولقد آمنت العصابة الأولى من المسلمين إيماناً كاملاً أثر في نفوسهم وأخلاقهم وسلوكهم تأثيراً عجبياً . وكانت صورة الإيمان في نفس البشرية قد بهتت وغمضت حتى فقدت تأثيرها في اخلاق الناس وسلوكهم ، فلما أن جاء الإسلام أنشأ صورة للإيمان حية مؤثرة فاعلة تصلح بها هذه العصابة للقيادة التي وضعت على عاتقها .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" . عن هذا الإيمان:

"انحلت العقدة الكبرى - عقدة الشرك والكفر - فانحلت العقد كلها ؛ وجاهدتهم الرسول جهاده الأول ، فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي ، وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى ، فكان النصر حليفه في كل معركة ؛ وقد دخلوا في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة ، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ، ولا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضى ، ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر أو نهى .... "

"حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم - بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم - وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم ، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة ، وفي اليوم رجال الغد ، لا تُجزعهم مصيبة ، ولا تبطّرهم نعمة ، ولا يشغلهم فقر ، ولا يطغيهم غنى ، ولا تلهيهم تجارة ، ولا تستخفهم قوة ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا ، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم ، قوامين بالقسط شهداء لله على أنفسهم أو الوالدين والأقربين . . وطأ لهم أكناف الأرض ، وأصبحوا عصمة للبشرية ، ووقاية للعالم . وداعية إلى دين الله . . . "

ويقول عن تأثير الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول:

"كان الناس عرباً وعجماً يعيشون حياة جاهلية ، يسجدون فيها لكل ما خلق لأجلهم ويخضع لإرادتهم وتصرفهم ، لا يثيب الطائع بجائزة ، ولا يعذب العاصي بعقوبة ، ولا يأمر ولا ينهى ؛ فكانت الديانة سطحية طافية في حياتهم ، ليس لها سلطان على أرواحهم ونفوسهم وقلوبهم ، ولا تأثير لها في أخلاقهم واجتماعهم . كانوا يؤمنون بالله كصانع أتم عمله واعتزل وتنازل عن مملكته لأناس خلع عليهم خلعة الربوبية ؛ فأخذوا بأيديهم أزمة الأمر ، وتولوا إدارة المملكة وتدير شؤونها وتوزيع أرزاقها ، إلى غير ذلك من مصالح الحكومة المنظمة . فكان إيمانهم بالله لا يزيد على معرفة تاريخية ، وكان إيمانهم بالله ، وإحالتهم خلق السماوات والأرض إلى الله لا يختلف عن جواب تلميذ من تلاميذ فن التاريخ ، يقال له: من بنى هذا القصر العتيق ؟ فيسمي ملكا من الملوك الأقدمين من غير أن يخافه ويخضع له ؛ فكان دينهم عارياً عن الخشوع لله ودعائه ، وما كانوا يعرفون عن الله ما يحبه إليهم ، فكانت معرفتهم مبهمة غامضة ، قاصرة بمحمة ، لا تبعث في نفوسهم هبة ولا محبة . . . . انتقل العرب والذين أسلموا من هذه المعرفة العليلة الغامضة الميتة إلى معرفة عميقة واضحة روحية ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح ،

ذات تأثير في الأخلاق والاجتماع ، ذات سيطرة على الحياة وما يتصل بها . آمنوا بالله الذي له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى . آمنوا برب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، العزيز ، الحكيم ، الغفور ، الودود ، الرؤوف ، الرحيم ، له الخلق والأمر ، بيده ملكوت كل شيء ، يجير ولا يجار عليه . . . إلى آخر ما جاء في القرآن من وصفه . يثيب بالجنة ويعذب بالنار ، ويسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، يعلم الخبء في السماوات والأرض ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . إلى آخر ما جاء في القرآن من قدرته وتصرفه وعلمه . فانقلبت نفسيتهم بهذا الإيمان الواسع العميق الواضح انقلاباً عجيباً . فإذا آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله انقلبت حياته ظهراً لبطن . تغلغل الإيمان في أحشائه وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره ، وجرى منه مجرى الروح والدم ، واقتلع جراثيم الجاهلية وجذورها ، وغمر العقل والقلب بفيضانه ، وجعل منه رجلاً غير الرجل ، وظهر منه من روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة ، ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما حير العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق ، ولا يزال موضع حيرة ودهشة منه إلى الأبد ، وعجز العلم عن تعليله بشيء غير الإيمان الكامل العميق" .

"وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملئ على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة وقوة نفس ، ومحاسبتها والإنصاف منها ، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية ، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان ، وسقط الإنسان سقطة وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ، ولا تتناوله يد القانون ، تحول هذا الإيمان نفساً لومة عنيقة ، ووخزاً لاذعاً للضمير ، وخيالاً مروعاً ، لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون ، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة ، ويتحملها مطمئناً مرتاحاً ، تفادياً من سخط الله وعقوبة الآخرة" . .

" . . . وكان هذا الإيمان حارساً لأمانة الإنسان وعفافه وكرامته ، يملك نفسه النزع أمام المطامع والشهوات الجارفة ، وفي الخلوة والوحدة حيث لا يراه أحد ، وفي سلطانه ونفوذه حيث لا يخاف أحداً . وقد وقع في تاريخ الفتح الإسلامي من قضايا العفاف عند المغنم ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، والإخلاص لله ، ما يعجز التاريخ البشري عن نظائره ، وما ذاك إلا نتيجة رسوخ الإيمان ، ومراقبة الله واستحضار علمه في كل مكان وزمان" .

"وكانوا قبل هذا الإيمان في فوضى من الأفعال والأخلاق والسلوك والأخذ والترك والسياسة والاجتماع، لا يخضعون لسلطان ، ولا يقرون بنظام ، ولا ينخرطون في سلك ، يسيرون على الأهواء ، ويركبون العمياء ، ويخبطون خبط عشواء . فأصبحوا الآن في حظيرة الإيمان والعبودية لا يخرجون منها ، واعترفوا لله بالملك والسلطان ، والأمر والنهي ، ولأنفسهم بالرعية والعبودية والطاعة المطلقة ، وأعطوا من أنفسهم المقادة ، واستسلموا للحكم الإلهي استسلاماً كاملاً ووضعوا أوزارهم ، وتنازلوا عن أهوائهم وأنايتهم ، وأصبحوا عبيداً لا يملكون مالاً ولا نفساً ولا تصرفاً في الحياة إلا ما يرضاه الله ويسمح به، لا يحاربون ولا يصالحون إلا بإذن الله ، ولا يرضون ولا يسخطون، ولا يعطون ولا يمنعون، ولا يصلون ولا يقطعون إلا بإذنه ووفق أمره" .

وهذا هو الإيمان الذي تشير إليه الآية وهي تصف الجماعة التي اختيرت لقيادة البشرية بهذه العقيدة .  
ومن مقضيات هذا الإيمان التوكل على الله، ولكن القرآن يفرد هذه الصفة بالذكر ويميزها:

### (وعلى ربهم يتوكلون) .

وهذا التقديم والتأخير في تركيب الجملة يفيد قصر التوكل على ربهم دون سواه . والإيمان بالله الواحد يقتضي التوكل عليه دون سواه . فهذا هو التوحيد في أول صورة من صوره . إن المؤمن يؤمن بالله وصفاته ، ويستيقن أنه لا أحد في هذا الوجود يفعل شيئاً إلا بمشيئته ، وأنه لا شيء يقع في هذا الوجود إلا بإذنه . ومن ثم يقصر توكله عليه ، ولا يتوجه في فعل ولا ترك لمن عداه .

وهذا الشعور ضروري لكل أحد ، كي يقف رافع الرأس لا يحني رأسه إلا لله . مطمئن القلب لا يرجو ولا يرهب أحداً إلا الله . ثابت الجأش في الضراء ؛ قرير النفس في السراء ، لا تستطيره نعماء ولا بأساء . .  
ولكن هذا الشعور أشد ضرورة للقائد ، الذي يحتمل تبعة ارتياد الطريق .

### (والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش) .

وطهارة القلب ، ونظافة السلوك من كبائر الإثم ومن الفواحش ، أثر من آثار الإيمان الصحيح .  
وضرورة من ضرورات القيادة الراشدة . وما يبقى قلب على صفاء الإيمان ونقاوته وهو يقدم على كبائر الذنوب والمعاصي ولا يتجنبها . وما يصلح قلب للقيادة وقد فارقه صفاء الإيمان وطمسته المعصية وذهبت

بنوره

ولقد ارتفع الإيمان بالحساسية المرهفة في قلوب العصبة المؤمنة ، حتى بلغت تلك الدرجة التي أشارت إليها المقتطفات السابقة [ ص ٧٧ ] وأهلت الجماعة الأولى لقيادة البشرية قيادة غير مسبوقة ولا ملحوقة .

ولكنها كالسهم يشير إلى النجم ليهتدي به من يشاء في معترك الشهوات !

والله يعلم ضعف هذا المخلوق البشري ، فيجعل الحد الذي يصلح به للقيادة ، والذي ينال معه ما عند الله ، هو اجتناب كبائر الإثم والفواحش . لا صغائر الإثم والذنب . وتسعه رحمته بما يقع منه من هذه الصغائر ، لأنه أعلم بطاقته . وهذا فضل من الله وسماحة ورحمة بهذا الإنسان ؛ توجب الحياء من الله ، فالسماحة تحجل والعفو يثير في القلب الكريم معنى الحياء .



---

## ( وإذا ما غضبوا هم يغفرون )

---

وتأتي هذه الصفة بعد الإشارة الخفية إلى سماحة الله مع الإنسان في ذنوبه وأخطائه ، فتحب في السماحة والمغفرة بين العباد . وتجعل صفة المؤمنين أنهم إذا ما غضبوا هم يغفرون .  
وتتجلى سماحة الإسلام مرة أخرى مع النفس البشرية ؛ فهو لا يكلف الإنسان فوق طاقته . والله يعلم أن الغضب انفعال بشري ينبع من فطرته . وهو ليس شراً كله . فالغضب لله ولدينه وللحق والعدل غضب مطلوب وفيه الخير . ومن ثم لا يحرم الغضب في ذاته ولا يجعله خطيئة . بل يعترف بوجوده في الفطرة والطبيعة ، فيعفي الإنسان من الحيرة والتمزق بين فطرته وأمر دينه . ولكنه في الوقت ذاته يقوده إلى أن يغلب غضبه ، وأن يغفر ويعفو ، ويحسب له هذا صفة مثلى من صفات الإيمان المحبة . هذا مع أنه عرف عن رسول الله [ ص ] أنه لم يغضب لنفسه قط ، إنما كان يغضب لله ، فإذا غضب لله لم يقم لغضبه شيء . ولكن هذه درجة تلك النفس المحمدية العظيمة ؛ لا يكلف الله نفوس المؤمنين إيها . وإن كان يحبهم فيها . إنما يكتفي منهم بالمغفرة عند الغضب ، والعفو عند القدرة ، والاستعلاء على شعور الانتقام، ما دام الأمر في حدود الدائرة الشخصية المتعلقة بالأفراد .

### (والذين استجابوا لربهم).

فأزالوا العوائق التي تقوم بينهم وبين ربهم . أزالوا هذه العوائق الكامنة في النفس دون الوصول . وما يقوم بين النفس وربها إلا عوائق من نفسها . عوائق من شهواتها ونزواتها . عوائق من وجودها هي وتشبثها بذاتها . فأما حين تخلص من هذا كله فإنها تجد الطريق إلى ربها مفتوحاً وموصولاً . وحينئذ تستجيب بلا عائق . تستجيب بكليتها . ولا تقف أمام كل تكليف بعائق من هوى يمنعها . . وهذه هي الاستجابة في عمومها . . ثم أخذ يفصل بعض هذه الاستجابة:

### (وأقاموا الصلاة . . )

وللصلاة في هذا الدين مكانة عظيمة ، فهي التالية للقاعدة الأولى فيه . قاعدة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وهي صورة الاستجابة الأولى لله . وهي الصلة بين العبد وربّه . وهي مظهر المساواة بين العباد في الصف الواحد ركعاً سجداً ، لا يرتفع رأس على رأس ، ولا تتقدم رجل على رجل !

ولعله من هذا الجانب أتبع إقامة الصلاة بصفة الشورى - قبل أن يذكر الزكاة:

### (وأمرهم شورى بينهم)

والتعبير يجعل أمرهم كله شورى ، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة . وهو كما قلنا نص مكى . كان قبل قيام الدولة الإسلامية . فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين . إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها ، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم فيها بعد .

والواقع أن الدولة في الإسلام ليست سوى إفراز طبيعي للجماعة وخصائصها الذاتية . والجماعة تتضمن الدولة وتنهض وإياها بتحقيق المنهج الإسلامي وهيمنته على الحياة الفردية والجماعية .

ومن ثم كان طابع الشورى في الجماعة مبكراً ، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها . إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية ، وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية . وهي من ألزم صفات القيادة . أما الشكل الذي تتم به الشورى فليس مصبوحاً في قالب حديدي ؛ فهو متروك للصورة الملائمة لكل بيئة وزمان ، لتحقيق ذلك الطابع في حياة الجماعة الإسلامية . والنظم الإسلامية كلها ليست أشكالاً جامدة ، وليست نصوصاً حرفية ، إنما هي قبل كل شيء روح ينشأ عن استقرار حقيقة الإيمان في القلب ، وتكيف الشعور والسلوك بهذه الحقيقة . والبحث في أشكال الأنظمة الإسلامية دون الاهتمام بحقيقة الإيمان الكامنة وراءها لا يؤدي إلى شيء . . . وليس هذا كلاماً عائماً غير مضبوط كما قد يبدو لأول وهلة لمن لا يعرف حقيقة الإيمان بالعقيدة الإسلامية . فهذه العقيدة - في أصولها الاعتقادية البحتة ، وقبل أي التفات إلى الأنظمة فيها - تحوي حقائق نفسية وعقلية هي في ذاتها شيء له وجود وفاعلية وأثر في الكيان البشري، يهيئ لإفراز أشكال معينة من النظم وأوضاع معينة في الحياة البشرية ؛ ثم تجيء النصوص بعد ذلك مشيرة إلى هذه الأشكال والأوضاع ، لمجرد تنظيمها لا لخلقها وإنشائها .

ولكي يقوم أي شكل من أشكال النظم الإسلامية ، لا بد قبلها من وجود مسلمين ، ومن وجود إيمان ذي فاعلية وأثر . وإلا فكل الأشكال التنظيمية لا تفي بالحاجة ، ولا تحقق نظاماً يصح وصفه بأنه إسلامي .

ومتى وُجد المسلمون حقاً ، ووُجد الإيمان في قلوبهم بحقيقته ، نشأ النظام الإسلامي نشأة ذاتية ، وقامت صورة منه تناسب هؤلاء المسلمين وبيئتهم وأحوالهم كلها ؛ وتحقق المبادئ الإسلامية الكلية خير



تحقيق .

### (ومما رزقناهم ينفقون).

وهو نص مبكر كذلك على تحديد فرائض الزكاة التي حددت في السنة الثانية من الهجرة . ولكن الإنفاق العام من رزق الله كان توجيهاً مبكراً في حياة الجماعة الإسلامية . بل إنه ولد مع مولدها . ولا بد للدعوة من الإنفاق . لا بد منه تطهيراً للقلب من الشح ، واستعلاء على حب الملك ، وثقة بما عند الله . وكل هذه ضرورية لاستكمال معنى الإيمان . ثم إنها ضرورية كذلك لحياة الجماعة . فالدعوة كفاح .

ولا بد من التكافل في هذا الكفاح وجرائره وآثاره . وأحياناً يكون هذا التكافل كاملاً بحيث لا يبقى لأحد مال متميز . كما حدث في أول العهد بهجرة المهاجرين من مكة ، ونزلهم على إخوانهم في المدينة . حتى إذا هدأت حدة الظروف وضعت الأسس الدائمة للإنفاق في الزكاة . وعلى أية حال فالإنفاق في عمومه سمة من سمات الجماعة المؤمنة المختارة للقيادة بهذه الصفات . .

### (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ) .

وذكر هذه الصفة في القرآن المكي ذو دلالة خاصة كما سلف . فهي تقرير لصفة أساسية في الجماعة المسلمة . صفة الانتصار من البغي ، وعدم الخضوع للظلم . وهذا طبيعي بالنسبة لجماعة أخرجت للناس لتكون خير أمة . لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتحمين على حياة البشرية بالحق والعدل ؛ وهي عزيزة بالله . (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) . فمن طبيعة هذه الجماعة ووظيفتها أن تنتصر من البغي وأن تدفع العدوان . وإذا كانت هناك فترة اقتضت لأسباب محلية في مكة ، ولمقتضيات تربوية في حياة المسلمين الأوائل من العرب خاصة ، أن يكفوا أيديهم وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فذلك أمر عارض لا يتعلق بخصائص الجماعة الثابتة الأصلية .

ولقد كانت هنالك أسباب خاصة لاختيار أسلوب المسلمة والصبر في العهد المكي :

منها أن إيذاء المسلمين الأوائل وفتنتهم عن دينهم لم تكن تصدر من هيئة مهيمنة مسيطرة على الجماعة . فالوضع السياسي والاجتماعي في الجزيرة كان وضعاً قليلاً مخلصاً . ومن ثم كان الذين يتولون إيذاء الفرد المسلم هم خاصة أهله إن كان ذا نسب ، ولم يكن أحد غير خاصة أهله يجرؤ على إيذائه - ولم يقع إلا

في الندرة أن وقع اعتداء جماعي على فرد مسلم أو على المسلمين كجماعة - كما كان السادة يؤذون مواليتهم إلى أن يشتريهم المسلمون ويعتقوهم فلا يجرؤ أحد على إيذائهم غالباً . ولم يكن الرسول [ ص ] يجب أن تقع معركة في كل بيت بين الفرد المسلم من هذا البيت والذين لم يسلموا بعد . والمسالمة كانت أقرب إلى إلانة القلوب من المخاشنة .

ومنها أن البيئة العربية كانت بيئة نخوة تثور لصاحب الحق الذي يقع عليه الأذى . واحتمال المسلمين للأذى وصبرهم على عقيدتهم ، كان أقرب إلى استثارة هذه النخوة في صف الإسلام والمسلمين . وهذا ما حدث بالقياس إلى حادث الشعب وحصر بني هاشم فيه . فقد ثارت النخوة ضد هذا الحصار ، ومزقت العهد الذي حوته الصحيفة ، ونقضت هذا العهد الجائر .

ومنها أن البيئة العربية كانت بيئة حرب ومسارعة إلى السيف ، وأعصاب متوترة لا تخضع لنظام . والتوازن في الشخصية الإسلامية كان يقتضي كبح جماح هذا التوفر الدائم، وإخضاعها لهدف ، وتعويدها الصبر وضبط الأعصاب . مع إشعار النفوس باستعلاء العقيدة على كل نزوة وعلى كل مغنم . ومن ثم كانت الدعوة إلى الصبر على الأذى متفقة مع منهج التربية الذي يهدف إلى التوازن في الشخصية الإسلامية ، وتعليمها الصبر والثبات والمضي في الطريق .

فهذه الاعتبارات وأمثالها قد اقتضت سياسة المسالمة والصبر في مكة . مع تقرير الطابع الأساسي الدائم للجماعة المسلمة: ( والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون). ويؤكد هذه القاعدة بوصفها قاعدة عامة في الحياة:

### (جزاء سيئة سيئة مثلها) . .

فهذا هو الأصل في الجزاء . مقابلة السيئة بالسيئة ، كي لا يتبجح الشر ويطغى ، حين لا يجد رادعاً يكفه عن الإفساد في الأرض فيمضي وهو آمن مطمئن !

( فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين ) ذلك مع استحباب العفو ابتغاء

أجر الله وإصلاح النفس من الغيظ، وإصلاح الجماعة من الأحقاد . وهو استثناء من تلك القاعدة . والعفو لا يكون إلا مع المقدرة على جزاء السيئة بالسيئة . فهنا يكون للعفو وزنه ووقعه في إصلاح المعتدي والمسامح سواء .

فالمعتدي حين يشعر بأن العفو جاء سماحة ولم يجيء ضعفاً ينجل ويستحيي ، ويحس بأن خصمه الذي عفا هو الأعلى . والقوي الذي يعفو تصفو نفسه وتعلو . فالعفو عندئذ خير لهذا وهذا . ولا كذلك عند الضعف والعجز . وما يجوز أن يذكر العفو عند العجز . فليس له ثمة وجود . وهو شر يطمع المعتدي ويذل المعتدى عليه ، وينشر في الأرض الفساد !

(إنه لا يحب الظالمين) .

وهذا تأكيد للقاعدة الأولى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) من ناحية . وإيحاء بالوقوف عند رد المساءة أو العفو عنها . وعدم تجاوز الحد في الاعتداء ، من ناحية أخرى .  
وتأكيد آخر أكثر تفصيلاً:

(ولمن انتصر بعد ظلمه ، فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون في الأرض بغير الحق . أولئك لهم عذاب أليم) .

فالذي ينتصر بعد ظلمه ، ويجزي السيئة بالسيئة ، ولا يعتدي ، ليس عليه من جناح . وهو يزاول حقه المشروع . فما لأحد عليه من سلطان . ولا يجوز أن يقف في طريقه أحد  
إنما الذين يجب الوقوف في طريقهم هم الذين يظلمون الناس ، ويبغون في الأرض بغير الحق . فإن الأرض لا تصلح وفيها ظالم لا يقف له الناس ليكفوه ويمنعوه من ظلمه ؛ وفيها باغ يجور ولا يجد من يقاومه ويقتص منه . والله يتوعد الظالم الباغي بالعذاب الأليم . ولكن على الناس كذلك أن يقفوا له ويأخذوا عليه الطريق .

ثم يعود إلى التوازن والاعتدال وضبط النفس والصبر والسماحة في الحالات الفردية ، وعند المقدرة على الدفع كما هو مفهوم ؛ وحين يكون الصبر والسماحة استعلاء لا استخذاء ؛ وتحملاً لا ذلاً:  
(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) .

ومجموعة النصوص في هذه القضية تصور الاعتدال والتوازن بين الاتجاhein ؛ وتحرص على صيانة النفس من الحقد والغيط ، ومن الضعف والذل ، ومن الجور والبغي ، وتعلقها بالله ورضاه في كل حال .  
وتجعل الصبر زاد الرحلة الأصيل .

ومجموعة صفات المؤمنين ترسم طابعاً مميزاً للجماعة التي تقود البشرية وترجو ما عند الله وهو خير

وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . .

### حتى إذا بلغ أشده

قال تعالى :

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ..... حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) سورة الأحقاف

حين ذكر تعالى في الآية التوحيد له وإخلاص العباداة والاستقامة إليه عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون في آيات عدة من القرآن كقوله عز وجل " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً " ، وقوله جل جلاله " أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير " إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة وما ذلك إلا أن الله تعالى سبب الخلق فهو المعبود بحق ، أما الوالدان فأداة الوجود ، ولولاهما ما جاء الولد ، وقد أمر المولى تعالى بالإحسان إليهما والحنو عليهما لفضلهما الكبير عليه " حملته أمه كرها " فقااست بسببه الكثير إذ حملته مشقة وتعبا من وحم وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة " ووضعت كرها " فكانت المشقة أيضا من الطلق وشدته " .

الحديث الشريف الذي أمر بالإحسان إلى الوالدين ذكر الأم ثلاث مرات بحسن الصحبة وذكر الأب مرة واحدة ( من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال أمك ... ) فلما قالت الآية ( ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ) ذكر الأب والأم مرة واحدة فلما أتبعه ( حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ) ذكرت الأم مرتين في الحمل والوضع فاكتمل ذكرها ثلاث مرات . فكان التوافق بين الآية والحديث واضحاً .

وبلوغ الأشد أن يصير المرء قادراً على الزواج مدركاً أوليات الحياة ، فيوسف عليه السلام بلغ في الآية ( حتى إذا بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً ) ثلاث عشرة سنة أو أكثر بقليل . أما الحديث عن موسى عليه السلام في قوله تعالى ( حتى إذا بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً ) فقد زاد في الآية كلمة ( استوى ) الدالة على تجاوزه العشرين سنة وأكثر ، والاستواء أكثر قوة وتحملاً ومتانة .

وفي هذه الآية نرى عطف كلمة ( أربعين ) بالواو على قوله : ( حتى إذا بلغ أشده ) فدل العطف على وجود محذوف يفهم من السياق ، كأن تقدّر : قويّ وشبّ وارجل و تنهى عقله وكمل فهمه وحلمه

فصار أباً أو جدّاً وخير الحياة ( وبلغ أربعين سنة )

ويخطئ من ظن أنّ الأربعين هي الأشد ، ودليل ذلك قوله تعالى في إعادة المال لليتيم الذي بلغ أشده ( ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ) والأشد هنا حسن التصرف بالمال من بيع وشراء وغير ذلك . ومن قدر على الزواج في سن الرابعة عشرة قدر على التصرف بماله ، فليس من المعقول أن يسترد اليتيم ماله في الأربعين ! فالأربعون إذاً سن الكمال العقليّ والفهم والإدراك فكان النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السن أهلاً للرسالة التي كلفه الله تعالى بها .

ويقال إنّ الإنسان لا يتغير غالباً عما يكون عليه ابن الأربعين . قال القاسم بن عبد الرحمن : قلت لمسروق متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال إذا بلغت الأربعين ، فخذ حذرك . وعن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنّ العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه ، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه ، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحاسناته ، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء (أسيرُ الله في أرضه) " { من الدرر السنية وقالوا : إنه صالح الحُجِّيّة } ، ولعل بعضهم يضعف هذا الحديث فنحن نستأنس به ليس غير .

وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمي تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياءً من الناس ثم تركتها حياءً من الله عز وجل ، وما أحسن قول الشاعر :

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسه      فلما علاه قال للباطل ابعد

ويبدأ بعد سن الأربعين - سنّ الكمال - منحى الضعف فما بعد الكمال إلا النقص - وهذه سمة كل مخلوق - ، ولا بد من شكر المولى الذي حبانا حياة طويلة ، فيتجه الإنسان إلى مولاه سبحانه يحمدّه ويشكره على :

١ - النعمة التي يتقلب في أعطافها ، ويعيش في أكنافها .

٢ - وعلى ما أنعم الله به على والديه اللذين ربياه التربية الصالحة ، فيشكره عنهما وهذا غاية في

البر والإحسان إلى الوالدين .

٣ - ويسأله أن يتم نعمته عليه في ذرية صالحة تدعو له وتكمل ما بدأه من خير .

٤ - ويعلن توبته عما يغضب الله تعالى ويؤوب إليه مستغفراً ، وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها

٥ - أن يدعو الله تعالى أن يرشده إلى الهدى ويحفظ عليه النعمة ، فقد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد :  
" اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام ونجنا من الظلمات إلى النور  
وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا وتب  
علينا إنك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها أتممها علينا " .



إضاءة :

سرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي - ظاناً أنه سيستردها بعد أن يئس أصحابها من العثور عليها - وطعمة من الأنصار أظهر الإسلام ، هرب بعد هذه الحادثة وارتدّ.

فلما رأوها عند اليهودي ، وأنكر اليهودي أنها له ، أنكرها طعمة بدوره ورمى بها اليهودي ، وحلف طعمة أنه ما سرقها ، وقام قومه - وهم عالمون بسرّيته - يدافعون عنه ، ويسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يبرئ ساحته . ، فنزل على الحبيب المصطفى هذه الآيات الكريمة ليحكم بين الناس جميعاً بالحق والعدل الذي جاءه من الله تعالى ، فلا يدافع عن السارق أبيرق، بل يستغفر الله تعالى لما همّ به . ونهاه أن يجادل عن الذين يخونون أنفسهم بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ، والله لا يحب الخيانة وأصحابها ، بل يعاقب الخائن :

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ، وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ، وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ، يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا

أما قومه الذين استحيوا من الناس ، وخافوهم ولم يستحيوا من الله ولم يخافوه ، فبيتوا ما لا يرضى من القول والفعل ، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يدافع عن أبيرق ، وان ينفي السرقة عنه ، وحلفوا كذباً وبهتاناً ورموا اليهودي بما ليس فيه فإن الله تعالى عليم بهم ،

لقد أساءوا التصرف حين دافعوا ظلماً وزوراً عن قريبهم ، ونسوا أو تناسوا أن الله لا يرضى الظلم ، فلئن دافعوا عنه في الدنيا ، فمن يجروا على ذلك يوم القيامة في حضرة الله تعالى؟ ، ومن الذي يدافع عنهم إذا عذبهم جزاء افتراءهم وعدولهم عن الحق ؟ :

هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا . وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبْهُ

عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا .

ثم يدعوهم سبحانه وتعالى إلى التوبة عما فعلوا قبل أن يدهمهم الموت وهم على ظلمهم ، فالله سبحانه يقبل توبة التائبين ، ويعفو عن المخطئين ، فهو أرحم الراحمين ، وما يفعله الإنسان يحاسب عليه إن شراً فشر ، وإن خيراً فخير . ولا يضر أحدٌ إلا نفسه.

ومن فضل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم أن حفظه من مكر المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأضرموا الكفر وأرادوا التلبيس على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولن يستطيعوا ضرر النبي صلى الله عليه وسلم ، فالله معه يرعاه ويحفظه ويسدد قوله وفعله . وهذه بعض أفضال الله الكثيرة على الحبيب المصطفى : وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا سورة النساء من الآية ١٠٧

ما يستفاد من هذه القصة القرآنية :

١- حين ينتشر الإسلام وتقوى شوكته يظهر النفاق ، إذ يتظاهر بعض الكفار بالإيمان لأسباب عدة ، منها :

- أ- الحفاظ على المكانة السابقة للمرء قبل الإسلام ،
  - ب- ونيل المكاسب المتوقعة من مجارة المؤمنين ،
  - ت- وإبعاد العيون عن الماكرين ومكرهم بالدعوة وأهلها ،
  - ث- واهتبال الفرص المناسبة للانقضاء على الدعوة من مكمناها ،
  - ج- والتعرف على ما يفعله المؤمنون عن كثب دون إثارة الشبهات .
- ٢- النفاق سمة إنسانية لا بد من وجودها ، فالناس ليسوا على مستوى واحد من الإخلاص أو الفهم والعقل والدراية ، وتفعل المادية فعلها في الإنسان إذا ضعف إيمانه ، وفكر في حاضره الفاني غافلاً عن حياته المستقبلية الأبدية .

٣- إن ضعف الإيمان تُواكبه الأنانية القاصرة التي تجعل صاحبه يتصرف بهواه بعيداً عن التدبر



والتفكر في العاقبة ، وقد تجعله يقع في المحذور فينكشف المستور ، ويظهر على حقيقته . وهذا ما حصل للمنافق طعمة بن أبيرق الذي سرق الدرع ، واتهم بها اليهودي حين افتضح أمره ، ثم هرب إلى مكة مستجيراً بالكفار ، ثم ارتد ارتداداً كاملاً عن الإسلام ومات في منفاه الإرادي بعيداً عن المدينة المنورة .

٤- قد يدافع عن الظالم أهلوه بوعي ودون وعي ، أما دون وعي فللحمية التي تتسارع في نفوسهم تجاه قريبهم ومن يلوذ بهم ، فيقعون في الخطأ الكبير (مجافة الحق ووأذ نوره) ، والعصبية الجاهلية تعمي القلوب وتطفئ نور العقول ، فينقلب الحق باطلاً والباطل حقاً . وأما عن وعي فلأن العربي الجاهلي جبل على نصرة أخيه ظالماً ومظلوماً ، فالحق في عرفه يتجلى في الدفاع عن ابن قبيلته والالتفاف حوله مهما كانت الدوافع والأسباب .

٥- وجاء الإسلام يأمر بنصرة الأخ ظالماً أو مظلوماً بالطريقة الصحيحة وتحري العدل وابتغاء الحق حين قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : تحجزه ، أو تمنعه ، من الظلم فإن ذلك نصره " فلا مكان للعصبية المقيتة ولا القرابة المادية في حياة المسلم إذا منعه ذلك عن التزام الحق والوقوف في صفه .

٦- وينبه القرآن من ينحرف عن الصواب - ويجانبه فيقف في صف الباطل - إلى أنّ الموقف الذي يُرضي الله تعالى هو التخلي عن الهوى والميل إلى الحق الذي قامت به السموات والأرض ، ولن ينفع الإنسان حين يقف بين يدي الله تعالى إلا العدل والحق والميل إليهما " فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون .. فيماذا يتساءلون يا رب؟ وبماذا يوزنون ؟ " فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون " فالعمل الصالح هو الميزان السليم يوم الحساب ، وهو الذي ينجي صاحبه ، وليست التكتلات القائمة على المصالح المؤقتة والمادية المتقطعة ! .

فما نهاية هؤلاء إن جهلوا وحادوا عن الصراط المستقيم ؛ يا رب ؟ يأتي الجواب سريعاً " ومن خفت موازينه ، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون " إنه الخلود في النار .. قد يخسر الإنسان ماله وأرضه وأهله فيعوضهم ، أما أن يخسر نفسه ؟ .. إن هذا هو الخسران المبين .

٧- قد يكون للأصحاب والأتباع تأثير على تغيير وجهة الحكم ، وقد يميل القاضي - تحت

ضغطهم وإلحاحهم ، أو الثقة بهم - عن الحق ، درى أم لم يدر ، وهذا أمر خطير لا ينبغي أن يفوت المسؤول أو الحاكم ، وإلا هلك وأهلك من معه باجتناّب الحق وعدم التحري عنه . والإسلام ما جاء إلا لإقامة العدل وإحياء الناس حياة طيبة تقوم على أساس من العدل قويم ، وثبات من الحق متين .

٨- وقد يكون الحق إلى جانب من نكرهه ويكرهنا ، فلا ينبغي أن يأمرنا كرهه بظلمه ، أو إلى التغاضي عن الوصول إلى الحق . فالظلم مرتعه وخيم ، والظلم يزيد الإحن ويدعو إلى التنافر ، فيزيد الشقة بيننا وبين الآخرين ، والداعية حريص على إحقاق الحق والإحسان إلى الناس ، هذا الإحسان يجعل الكاره محباً والعدو صديقاً

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم... فطالما استعبد الإنسان إحساناً

ألم يقل الله تعالى " ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌ حميمٌ " ثم أعقبها بقوله تعالى مبيناً أن العادل يكسب الكثير ، وأنه الرابح الحقيقي لصبره ورفيع سلوكه وحسن تصرفه " وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم " إن العدل أساس الملك . وفي تاريخنا وسيرة نبينا وسير عظمائنا الكثير من هذه المواقف المشرفة التي عصّدت رجحان الرحمة والعدل ونصرة المظلوم .

٩- هرب طعنة بن أبيرق إلى الأعداء حين لم يرض الخضوع للحق والتزام السبيل القويم ، فاستقبل بالحفاوة والإكرام - في مكة - أول الأمر ، فلما استنفدوا منه أغراضهم طردوه شر طردة ، ويقول المفسرون : إن المرأة التي استقبلته في بيتها حملت أغراضه ورمت بها في الطريق ، وهذا درس كبير يستفيد منه ذوو الأحلام وأولو الأبصار .. أفلا يرعوي من يبيع شرفه ودينه للعدو - هذه الأيام في بلادنا قاطبة - من ذلك المصير الذي ينتظرهم ، ألا يُحسون وهم يمالئون أعداء الله أن العدو نفسه يحتقرهم - وهو يتعامل معهم - كما يحتقرهم أبناء بلدهم وشعوبهم؟! وربما أكثر. وأنهم أداة رخيصة سرعان ما يُلقى بها في مزابل النسيان ويتخلص منهم حين يستنفد غرضه منهم؟.

١٠- كما أن العودة عن الخطأ فضيلة والتوبة تجب ما قبلها " وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا " وهذا من سماحة الإسلام الذي يقر بضعف الإنسان " وخلق الإنسان ضعيفاً " ويقبل توبته إن أخلصها وأعلن ندمه ، وأقر بخطئه واعتذر عن إساءاته ، فالله غفور رحيم ، والإسلام دين السماح ، يُقيل العثرة ويعفو عن زلل التائبين ، ويقبل في رحابه العائدين المقبلين عليه .

١١ - كما أن الله تعالى يحفظ الدعوة ويسدد خطاهم كما فعل سبحانه حين أراد قوم الأبيرق

استدراج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدفاع عن السارق الأنصاري والعدول به عن الحق ، فأرسل جبريلَ بهذه الآيات يوضح الموقف ويدفع إلى التصرف السليم ،

١٢ - وقد يقول بعضهم : إن الله تعالى يسدد بالوحي تصرُّفَ النبي صلى الله عليه وسلم ويصوبه،

فكيف وقد انتهى الوحي فكيف يسدد خطأ الدعوة ؟ والجوابُ أن دراسة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ودراسة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والتمكّن من الفقه وأقوال السلف الصالح مع الإخلاص في النية زاد الداعية وضياؤه في طريق الدعوة ، ومن أحب الله تعالى وأقبل عليه أقبل الله عليه وهيئاً له أسباب الهدى والرشاد وورقه السداد والنجاح في مسعاه . وهذا التوفيق الإلهي فضلٌ على الدعوة يشعرون به في حياتهم ويأرزون إليه في مهمتهم

أقول:

|                                |                                 |
|--------------------------------|---------------------------------|
| أحب إلهك ، فالسنة سماءه        | وهو الجميل لكل خير قد حوى       |
| من كان حبُّ الله نسغَ فؤاده    | فإلى الجلال إلى الكمال قد انضوى |
| لا الحبُّ يذويه ويؤذيه بل السد | عند الدوام لمن أفاء ومن أوى     |
| يا رب ، أنت الحب ، أنت ضياؤه   | من عاش في نور الهداية ما غوى    |



قال تعالى : ( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننَّ به ، ولتنصرُنَّه . قال : أقررتم ، وأخذتم على ذلكم إصري؟ قالوا: أقررنا . قال : فاشهدوا ، وأنا معكم من الشاهدين ) .

ما قرأت هذه الآية الكريمة إلا رأى قلبي - ببصيرة من الله تعالى - صور الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه يقفون أمام نور الله تعالى يتوجههم بجلال النبوة ، ويقلدهم وسام الحكمة ، ويكلفهم مهمة الدعوة ، ثم يأخذ عليهم عهداً وميثاقاً أن يكونوا المثل والقُدوة للدعاة في سبيله سبحانه ، فهم خلاصة البشر وذروة سنامهم ، رباهم الله تعالى على عينه . ألم يقل لموسى عليه السلام " ولتصنع على عيني " وقال لحبيبه المصطفى " واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا ؟

أعطاهم الحكم والنبوة ، فما من نبي إلا نزل عليه من ربه كتاب ، أو أُلزمه كتاب نبي قبله ، يسير على هدايه ، ورسم له الهدف الذي يسعى إليه في الدعوة إلى الله وحده " أن اعبدوا الله ربي وربكم " وينير طريق الحياة لأتباعه .

ثم نسمع بأذن البصيرة ذلك العهد المؤثّق بأن يكون كل نبي قائداً تحت راية محمد صلى الله عليه وسلم إن رآه أو التقاه ، فهناك القيادة العامة للسائرين في رحاب الله تعالى ، إليه تنتهي الرياسة ، وتحت قيادته تنتهي كل الرايات ، إنه خاتم الأنبياء ، ودينه الخاتم لكل الشرائع الإلهية .

وعلى كل نبي أن يبشر أتباعه - إن عايشوا ذلك النبي الخاتم - أن ينضوا إليه ، ويدخلوا في دينه . ورحمة الله تعالى يكتبها لـ " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويُحلّ لهم الطيبات ، ويحرّم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم " .

وكما أخذ الله تعالى من الأنبياء ذلك العهد المؤثّق أن يتبعوا النبي القائد وصّى الأنبياء الكرام أتباعهم أن يؤمنوا به وينصروه ، فإن فعلوا كان النجاح حليفهم " فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون " . فلا دين بعد دينه ولا شريعة سوى الإسلام " إن الدين عند الله الإسلام

" فمن رغب عن ذلك واستمر فيما هو عليه وقع في الضلال ، وخسر الآخرة " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين " .

في التوراة والإنجيل صفة الرسول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الكتب السابقة كذلك ، والدليل المنطقي على ذلك أن الوصاة باتباعه يستلزم التعريف به وتوضيح صفاته .

روى ابن كثير في تفسير الآية الخامسة والأربعين من سورة الأحزاب في صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة " قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا هَالَلُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ قَالَ أَجَلَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا " وَحِزْرًا لِلْأُمِّيِّينَ فَأَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَطٍّ وَلَا عَلِيطٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمَلَّةَ الْعَوْجَاءُ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْبُيُوعِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ فُلَيْحِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ هَالَلِ بْنِ عَلِيٍّ " .

وروى في تفسير الآية نفسها صفات رائعة مفصلة عن وهب بن منبه قال: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ شَعْيَاءُ : أَنْ قُمْ فِي قَوْمِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنِّي مُنْطِقُ لِسَانِكَ بِوَحْيٍ وَأَبْعَثُ أُمِّيًّا مِنَ الْأُمِّيِّينَ ، أَبْعَثْهُ لَيْسَ بِفَطٍّ وَلَا عَلِيطٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، لَوْ يَمُرُّ إِلَى جَنْبِ سِرَاجٍ لَمْ يُطْفِئْهُ مِنْ سَكِينَتِهِ ، وَلَوْ يَمْشِي عَلَى الْقَصَبِ لَمْ يُسْمَعْ مَنْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، أَبْعَثْهُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، لَا يَقُولُ الْحَنَّا ، أَفْتَحْ بِهِ أَعْيُنًا كُمْهًا ، وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا ، أَسَدِّدْهُ لِكُلِّ أَمْرٍ جَمِيلٍ ، وَأَهْبِ لَهُ كُلَّ خَلْقٍ كَرِيمٍ ، وَأَجْعَلِ السَّكِينَةَ لِبَاسِهِ ، وَالْبِرَّ شِعَارَهُ ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ ، وَالْحِكْمَةَ مَنْطِقَهُ ، وَالصَّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ ، وَالْهُدَى إِمَامَهُ ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ . أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلَالِ ، وَأُعْلِمْ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ ، وَأَرْفَعْ بِهِ بَعْدَ الْخُمَالَةِ ، وَأَعْرِفْ بِهِ بَعْدَ النِّكَرَةِ ، وَأُكْثِرْ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ ، وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ ، وَأَجْمَعْ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ ، وَأُولِّفْ بِهِ بَيْنَ أُمَّمٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَقُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ ، وَأَسْتَنْقِذْ بِهِ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ عَظِيمَةً مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَأَجْعَلْ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، مُؤَحِّدِينَ مُؤْمِنِينَ مُخْلِصِينَ مُصَدِّقِينَ لِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلِي ، أَلْهِمَهُمُ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ

وَالْتَنَاءَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّوْحِيدَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَجَالِسِهِمْ وَمَضَاجِعِهِمْ وَمُنْقَلَبِهِمْ وَمَثْوَاهُمْ ، يُصَلُّونَ لِي قِيَامًا وَفُجُودًا، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صُفُوفًا وَزُخُوفًا ، وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أَلُوفًا ، يُظْهِرُونَ الْوُجُوهَ وَالْأَطْرَافَ ، وَيَشْدُونَ الثِّيَابَ فِي الْأَنْصَافِ ، قُرْبَانَهُمْ دِمَاؤُهُمْ وَأَنَاجِيلَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ، رُهْبَانَ اللَّيْلِ ، لُيُوثَ النَّهَارِ ، وَأَجْعَلْ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ السَّابِقِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ . أُمَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ، وَأُعِزَّ مَنْ نَصَرَهُمْ وَأُؤَيَّدَ مَنْ دَعَا لَهُمْ ، وَأَجْعَلْ دَائِرَةَ السَّوءِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ بَغَى عَلَيْهِمْ أَوْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَرِعَ شَيْئًا مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، أَجْعَلُهُمْ وَرَثَةً لِنَبِيِّهِمْ ، وَالدَّاعِيَةَ إِلَى رَبِّهِمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَيُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ . أَخْتِمُ بِهِمُ الْخَيْرَ الَّذِي بَدَأْتَهُ بِأَوَّلِهِمْ، ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءَ ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .. هَكَذَا رَوَاهُ إِبْنُ أَبِي حَاتِمٍ."

فلما أخذ الله تعالى على أنبيائه ذلك العهد ووثقته في كتابه العظيم - القرآن - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأقر به الأنبياء وعاهدوا ربهم " قال : أَقَرَرْتُمْ ، وأخذتُم على ذلكم إصري؟ قالوا: أَقَرَرْنَا " ختموا ذلك الإقرار بالشهادة أمام الله تعالى أن يلتزموا ، وختم الله تعالى بشهادته سبحانه على شهادتهم " . قال : فاشهدوا ، وأنا معكم من الشاهدين " .

ومن جميل التوثيق وأشدّه :

١- الإخبار : فالقرآن يستعمل في توثيق القصة والإخبار عن الماضي ( الحاضر في الذهن ) كلمة : إِذْ ، التي تنقلنا إلى الشاهد المحسوس .

٢- تحديد المقصود : وهو كلمة : مِيثَاقُ النَّبِيِّينَ ، فيأتي التركيز والانتباه للأمر المطلوب.

٣- المن والفضل : فضل الله على النبيين حين رفعهم إلى هذا المقام العظيم أن يحافظوا عليه ، ويشكروه سبحانه عليه .. لما آتيتكم من كتاب وحكمة والأصيل يعرف الفضل ويرعاه ، ويقر به .

٤- التشوّف للأمر : مجيء النبي الخاتم والسيد المتبوع ذي المقام الرفيع جاءكم رسول فهو نبي

ورسول مثلهم .

٥- مهمة القائد الأعظم : أنه يتوج برسالته الرسالات كلها ويتممها ، مصدّق لما معكم . وهو

اللبنة الأخيرة في صرح التوحيد .

٦- الهدف المطلوب : الإيمان به ونصرته ومؤازرته . والتعريف به وتنبيه الأتباع إلى الإيمان به .

لتؤمنن به ولتنصرنه .

٧- الشهادة الموثقة : الممهورة بالخاتم الإلهي ، وكانت على شقين مؤكدين : أولهما : الإقرار :

أقررتم ، وأخذتم على ذلكم إصري؟ قالوا: أقررتنا

ثانيهما : الإشهاد : قال : فاشهدوا ، وأنا معكم من الشاهدين .



## سبحانك يا غفار

قالوا: إن أرجى آية قوله تعالى في سورة الزمر الآية ٥٣ " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم : لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم " واستدلوا على ذلك من الآية نفسها بما يلي :

١- " قل " : بما بعدها من الرحمة والتلطف تفيد البشرى من الله تعالى .

٢- " يا عبادي " نداء يدل على التحبب ف " العباد " غير " العبيد " وقد وردت العباد- في القرآن- للتكريم ، والعبيد للتهديد . فهي إبتداء أمن وأمان وداعية للغفران

٣- " الذين أسرفوا على أنفسهم " ولو قال : أحسنوا لأنفسهم قلنا هم يستحقون اللطف والبشرى لما قدّموا من عبادة لربهم وتفان في الإخلاص له سبحانه . لكن الخطاب لمن أساء وأخطأ وازداد عصياناً ، وانغمس في الفواحش والمفاسد . ثم حين انتبهوا لما قدّموا تحسّروا على ما فاتهم ، وأحسوا أن زمن التوبة تجاوزهم فأصابهم الغم والحزن ، ويئسوا من رحمة الله ، وظنوا أن مأواهم النار وغضب الله لا محالة . وأن ما مضى من عظيم ذنوبهم لا يؤهلهم للتوبة والإنابة . فازدادوا غمّاً على غم وهما على هم . وربما زين الشيطان لهم - ما داموا قد سقطوا ولا نجاء لهم - أن يسرفوا في المعاصي وأن يجترئوا عليها أكثر مما اجتروا . وعلى هذا يطمئن الشيطان أن مصيرهم ارتبط به ، وأنهم مثله من أهل النار خالدين فيها .

٤- " لا تقنطوا من رحمة الله " فتنتعش نفوسهم ، ويحيا الأمل فيها ، ويتنبهون إلى أن القطار لم يفتهم ما لم يغرغروا . فيتوبون إلى الله ويستغفرونه ، ويسألونه العفو والمغفرة عما مضى من ذنوبهم ، وأن يعينهم على استدراك ما فات من عظيم أخطائهم ... ولكنها أمثال الجبال فهل يتجاوز الله تعالى عن كل ذلك ؟! فيجيبهم غفار الذنوب وستار العيوب والمنعم المتفضل سبحانه :

٥- " إن الله يغفر الذنوب جميعاً " يغفرها كلها صغيرها وكبيرها ، خطيئها وحقيئها ، دِقَّها وجليلها حين يقبل المرء عليه معترفاً بتقصيره ، مقرأً بجريئته ، عازماً على التوبة ، نادماً على ما فرط . فكّرُمُ الجليل جليل ، وغفران الكبير كبير ، وعفو العظيم عظيم . ولكنهم كانوا في الغي سادرين ، وفي الضلالة سائرين ! فيجيب الرب الكريم منبهاً عن صفتين من صفاته واسمين من أسمائه يدلان على جميل نعمائه وحسن عطائه :



٦- " إنه هو الغفور الرحيم " فهو يغفر لأنه رحيم ، ويرحم لأنه غفور . ولا يسد خلل عباده وضعف حيلتهم ونقص خليقتهم إلا كمال صفاته وجليل معروفه .

هذا ما قاله العلماء وأحسن بما قالوا . إلا أنني أجد آية سبقت أختها في السورة نفسها - الزمر - الآية ٣٥ أكثر رجاء - والله أعلم - يقول المولى تعالى فيها :

" ليكفر الله عنهم أسوأ ما عملوا ، ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون "

وتصور معي - أخي الحبيب - أنني وإياك اجترحنا سيئات صغيرة وكبيرة ، وعملنا حسنات كبيرة وصغيرة أيضاً . ونحن بشر نصيب ونخطئ ويقوى إيماننا ويضعف . وما منا إلا مَرَّ بمثل هذا " كل ابن آدم خطاء " ثم نتوب حين نعود إلى أنفسنا وينجلي غشاء النسيان ووسوسة الشيطان فنحاسبها " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " الأعراف ٢١٠ . فنحسن العمل خائفين راجين ، راهبين راغبين . فماذا يفعل الإله العظيم سبحانه حين يرانا عليه مقبلين ، وعن أخطائنا راغبين ؟ .. عد إلى الآية واقرأها متمعناً متيقناً بما فيها تر الله تعالى - جلّ من كريم مفضل - يكرمنا بخصلتين رائعتين رائعتين :

الأولى : أنه يمسح الذنوب العظيمة الثقيلة ، وكأنها لم تكن . فأين الذنوب الصغيرة ؟ " اللمم " إنه يمسحها من باب أولى ، فإذا غفر الكبائر فانتهى أمرها ، أترأه يحاسبنا على الصغائر ؟ ! بل إنها ممحوّة سلفاً قبل الموت بإذن الله ، بل في اللحظة والتو . لقول النبي صلى الله عليه وسلم " الصلوات الخمس . والجمعة إلى الجمعة . ورمضان إلى رمضان . مكفرات ما بينهن . إذا اجتنب الكبائر "

الثانية : أنه سبحانه حين يجزينا الثواب - وهناك حسنات صغيرة وأخرى كبيرة ، والعادة عند البشر أن لكل عمل ثواباً بما يناسب العمل نفسه - يجعلها كلها بأجر أفضل الأعمال . نعم يجزينا أعمالنا الحسنة بأفضل الثواب وخير الجزاء .

فما أعظم لقاء الله !

وما أكرم فضله وأعظم خيره !

اللهم إننا نحبك ، ونحب لقاءك ، ونرجو الخير في ذلك اليوم العظيم ..

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقاءك .

التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

استوقفتني هذه الكلمة ( السياحة ) أكثر من غيرها ، فما قبلها - في الآية - وما بعدها يسهل معرفته سريعاً، لكنّي توقفت أتساءل : كيف يكون المسلم سائحاً؟ تساءلت وأنا أعلم أن هناك معنى إسلامياً للسياحة غير الذي يعرفه عوامّ الناس  
"السائحون " قيل : إنهم:

١. الصائمون ؛ فعن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما : الصيام . ومنه قوله تعالى : " عابدات سائحات " [ التحريم : ٥ ] . وقال سفيان بن عيينة : إنما قيل للصائم سائح لأنه يترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والمنكح . والسائحون : لا يذوقون في النهار قطرة لربهم امتثالاً لأمر ربهم ورغبة في نيل رضاه.. فعن عائشة أنها قالت : سياحة هذه الأمة الصيام ؛ أسنده الطبري . ورواه أبو هريرة مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( سياحة أمتي الصيام ) . قال الزجاج : ومذهب الحسن أنهم الذين يصومون الفرض . وقد روي عن عطاء : إنهم الذين يديمون الصيام .

٢. وقال شاعر يمدح المسلم السائح :

وبرّاً يصلي ليله ونهاره  
يظل كثير الذكر لله سائحا ،

وقال : السائحون المجاهدون . وروى أبو أمامة أن رجلاً استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال : ( إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ) . صححه أبو محمد عبد الحق .

٣. وقيل : السائحون : المهاجرون قاله عبد الرحمن بن زيد .

٤. وقيل : هم الذين يسافرون لطلب الحديث والعلم ؛ قاله عكرمة .

٥. وقيل : هم الجائلون بأفكارهم في توحيد ربهم وملكوته وما خلق من العبر والعلامات الدالة على توحيده وتعظيمه حكاه النقاش .

وحكي أن بعض العباد أخذ القدح ليتوضأ لصلاة الليل فأدخل أصبعه في أذن القدح وقعد يتفكر

حتى طلع الفجر فقليل له في ذلك فقال : أدخلت أصبعي في أذن القدح فتذكرت قول الله تعالى : " إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل " [ غافر : ٧١ ] وذكرت كيف أتلقى الغل وبقيت ليلي في ذلك أجمع.

٦. قال القرطبي رحمه الله : لفظ " سِيحَ ، " بالياء يدل على صحة هذه الأقوال فإن السياحة أصلها الذهاب على وجه الأرض كما يسيح الماء ؛ فالصائم مستمر على الطاعة في ترك ما يتركه من الطعام وغيره فهو بمنزلة السائح . والمتفكرون تجول قلوبهم فيما ذكروا . وفي الحديث : ( إن الله ملائكة سياحين مشائين في الآفاق يبلغوني صلاة أمتي ) . والسياحة هنا لعمل مطلوب منهم ، ليس كمفهوم السياحة لدى العامة .

٧. والسياحة في القرآن كذلك حياة الأمن والأمان لقوله تعالى يخاطب المشركين " فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله... " والمعنى سيروا أيها المشركون آمنين مدة أربعة أشهر لا تلقون من المسلمين فيها مكروهاً . وهو أمر إباحة يتضمن تهديداً بالقتال ما لم يسلموا أمرهم إلى الله .

٨. والانسياح : الاتساع. نقول ساح باله: اتسع. قال الشاعر

أُمِّي ضمير النفس إياك بعدما يراجعني بئني فينسأح بالها

- وعلى هذا فالسياحة المرغوبة ( المطلوبة ) عبادة الله صياماً وجهاداً وهجرة وتعلماً وتفكيراً

وتدبراً ... وقليل من يفعل ذلك .

قالوا ربنا الله ... ثم استقاموا(١)

كيف قالوا ربنا الله ؟ أقالوها بألسنتهم دون أن يدروا كنهها، أم بقلوبهم فآمنوا مقتنعين راضين

مطمئنين ، وفي أعمالهم فحققوا وثابروا ؟



## لمن كان له قلب

ديننا الإسلامي دين عقل وفكر ، يخاطب الإنسان بمنطقية ، فيضع النقاط على الحروف ، وي طرح الفكرة عليه ( الإنسان ) بما لا يدع مجالاً للإنكار - هذا عند أولي الفهم وأصحاب العقول - فالأفكار المعروضة متصل بعضها ببعض ، ويؤدي أولها إلى ثانيها بإحكام ، وثانيها إلى ثالثها بطوعية وسلاسة ، وهكذا ، فيعرضها الباحث عن الحقيقة على قلبه وعقله ، فيراها منطقية محكمة العرض ، متناسقة بينما نجد الأديان الأخرى تعيش في مسرح الغيبيات وزوارب التناقضات .

مثال هذه المنطقية هذه الآية الكريمة في سورة البقرة :

" كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " ( ٢٨ ) فذكر

القرآن الكريم أحوالاً خمسة مر الإنسان ببعضها أو مر غيره بإحداها إذ سبقه إليها ، وستمّر البشرية بالأحوال كلها : ١ - وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا

٢ - فَأَحْيَاكُمْ

٣ - ثُمَّ يُمِيتُكُمْ

٤ - ثُمَّ يُحْيِيكُمْ

٥ - ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

١ - فقبل مجئنا إلى هذه الدنيا أين كان البشر؟ أكانوا في مكان غير هذا المكان وحياة غير هذه الحياة ؟ أم كانوا في طور العدم ؟ ولن يدّعي أحد أنه كان حياً قبل أن يولد إلا إذا كان مختل العقل أو معانداً للحق ، وهذا العدم فناء وموت ، ولن ينكر هذا العدم والفناء أحدٌ أكان مشركاً أم ملحداً .

٢ - ونحن في هذه الدنيا نتحرك ونأكل ونشرب ونلبس ونسافر ويحارب بعضنا بعضاً ، ويفرض القوي على الضعيف ما يريد ، أكان حقاً أم باطلاً . ونصح ونمرض وترى البناء والهدم ، وتسمع الخبر وتراه عياناً .. أفنحن في هذه الدنيا أحياء أم أموات ؟ ولن يشك أحد ، مشركاً كان أم ملحداً طوبواً أم عاقلاً أننا في طور الحياة ، وأنه في كلتا الحالتين لا يملك لنفسه شيئاً .

وفي الحالتين الأولى والثانية خوطبنا بالفعل الماضي " كنتم ، فأحياكم " فالحالتان حصلتا ،

مرّت الأولى ، ونحن في الثانية .

٣- وفي الحالة الثالثة نجد الموت الثاني ، أليس العدم الأول موتاً ، فالفناء الثاني الذي سبقنا إليه الأولون من آباء وأجداد وإخوان نراهم يسارعون إليه وندفنهم بأيدينا فناءً ثانٍ لا بد منه ، وهذه أيضاً لا ينكرها أحد اكان مشركاً أم ملحداً فهو يرى الناس تموت أفراداً وجماعات في الأرض والبحر والسماء، وسنلحق بهم عاجلاً أم آجلاً . وذكر القرآن هذه الحالة بالفعل المضارع " يميتكم " لأن هذه الحالة الثالثة ستكون في المستقبل المنظور للمخاطب الذي يرى الناس ينتقلون إلى دار الفناء - البرزخ - وهو ما يزال حياً ، فهي لمن ذاق طعم الموت صارت ماضياً ، وله - من ظل حياً - أن ينتظر ، فاستعمل بالفعل المضارع .

٤- أما الحالة الرابعة " يحييكم " فهي بيت القصيد الأول التي لا يصدقها إلا ذو القلب الحي والفهم الصحيح الذي عاين الحالات الثلاث الأولى وآمن بأن الله تعالى الذي صدق في الحالات الثلاث السابقات هو الذي يخبرنا عن الحالتين الرابعة والخامسة ، والله سبحانه وتعالى - ابتداءً - صادق الوعد ، ومن رأى بعيني قلبه ووجهه صدق الله تعالى ليؤمننّ بحتمية الأخيرتين ، وهو سبحانه قادر على إعادة الخلق والحياة ، وهي أهون عليه سبحانه - وكل شيء هيّن عليه - فسيحيينا ، ولكن لماذا يحيينا ؟

٥- الجواب على هذا السؤال واضح في الحالة الخامسة - بيت القصيد الثاني والأهم - الصادقة كأخواتها، " إليه ترجعون " نسأل الله تعالى أن يجعل خير أيامنا يوم العرض عليه ، فتعرض الأعمال على المسلمين عرضاً ، ثم يغفر الله تعالى لعباده تقصيرهم - إن شاء - ، فقد كانوا يستغفرونه ، ويسألونه في كل حالاتهم العفو والغفران ، إنه غفار الذنوب ، ستّار العيوب ، الرحيم بعباده . أما من نوقش الحساب فقد هلك - نعوذ بالله من سوء العاقبة .

ومن الملاحظ أن كلمة " أحياكم " سُبقت بفاء الترتيب والتعقيب لأن الله تعالى خلقنا ، ويخاطبنا ، فناسبت الفاء هذه الحالة ، وأن الكلمات " يميتكم ، يحييكم ، إليه تُرجعون " بينها زمان قد يطول ، فاستعمل حرف العطف " ثم " للترتيب والتراخي .

فالعاقل من يتفكر ويتدبّر ... اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيفهمونه بقلوبهم كأنهم يرونه رأي

العين، ويتبعونه .

## متاع الحياة الدنيا

أقرأ القرآن الكريم - أحياناً - كما يقرؤه الكثرة الكثيرة من الناس، وأمر على الآيات أفهمها فهماً يخالطه الانشغال بالدنيا ، وبكلمة أخرى أقرأ دون وعي وتدبر في بعض الأحيان ، فأنا إنسان ضعيف تأخذني الدنيا في متاهاتها دون أن أشعر بذلك - ولعلك مثلي في كثير من هذه الحالات ، فعلى رأي الكوفيين نحن ( الإنسان ) من النسيان وإن كنت أرى ما تراه المدرسة البصرية من أن الإنسان من ( الأنس ) وهذا ما قرأناه في مسائل الخلاف للأنباري - رحمه الله تعالى - حين كنا في السنة الثانية الجامعية .

قرأت قبل يومين قوله تعالى في سورة الشورى: " فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) " مع الآيات السبع التي تليها قراءة كما ذكرت آنفاً لكنني عدت إليها أمعن التفكير فيها - وما ألدّ تدبر الآيات والتفكير فيها - فوقفت على ما يلي :

١- لا ينال أحدنا ما يريد، إنما هو فضل من الله تعالى نُؤْتَاهُ على ضعفنا ، وليس لنا إلا شكر الله على نعمائه والإقرار بهذا الفضل ولسنا نقول ما قاله قارون " إنما أوتيته على علم عندي " وغاب عنه رغم تشدقه الباطل بالفهم والدراية أنه أقرّ بأنه ( أوتيّه ) ولكن الاستكبار يفضح صاحبه من حيث لا يدري.

٢- والعطاء ( أشياء ) جمع شيء والآية تقول ( من شيء ) فما يأخذه الإنسان جزءاً من شيء . إنه قليل إذن إذا ما قورن بالحقيقة . ألم يقل الله تعالى ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) . وأين ما يحوزه المخلوق من عطاء الخالق سبحانه ؟ يعرف هذا من يعلم الفرق بين الخالق والمخلوق.

٣- الدنيا زائلة فانية ، وما فيها متنقل بين الناس فهو متاع ، والمتاع في العربية ما ينتهي إلى أجل وهل يكون عطاء الدنيا إلا فانيا مثلها ، وهذا العطاء الدنيوي يأخذه البر والفاجر والمؤمن والكافر.

٤- وما عند الله - في جنات النعيم - دائم خالد لا ينقطع ولا يزول . فعلام يتشبث الإنسان بالزائل ويتعلق به ويفضله على الدائم المتجدد؟ إنه سوء تفكير وضعف في الفهم والإيمان لا ينتبه إليه إلا :

أ- المؤمن بالله تعالى المتصل به سبحانه وهؤلاء قليلون ، ألم يقل الله تعالى " وما أكثر الناس - ولو حرصت بمؤمنين " إن الهوى والشيطان يجرفان أمامهما من يعيش حياته غثاء ولا يعمل إلا لدنياه غافلاً

عن الحقيقة التي سوف تجبهه في يوم يندم فيه ولا ينفعه الندم.

ب- الذي يتوكل على الله ، وما يتوكل على مولاه سوى العاقل النبيه الذي يدري سبب خلقه " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" ويطيع ربه ويعمل ليوم قادم لا محالة ، إن التوكل على الله لجوء إلى حصن حصين وملاذ آمن منيع. ومن توكل على الله كفاه الله ، وما أعظم الحديث الشريف الذي علمنا إياه سيد البشر صلى الله عليه وسلم "

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : " من قال ( يعني إذا خرج من بيته ) بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، يُقال له : هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيتَ وتنحى عنه الشيطان " رواه الترمذي، وزاد أبو داود في روايته : فيقول- يعني الشيطان للشيطان آخر - : كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي؟! "

ت- (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) والاجتناب عدم المرور به والتوقف عنده إنه الابتعاد والحذر عن كبائر الإثم أولاً وهنا نرى أن الإثم نوعان صغير وكبير ويقع المسلم في اللثم لكنه يستغفر أو يتوضأ ويصلي فيمحي اللثم ، وما أضيفت كلمة الكبائر إلى الإثم إلا للتنبيه من الوقوع في الإثم الصارخ لأنه مثل الفاحشة تماماً .

ث- وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) فالإنسان يغضب وقد يثور ، وهو في ثورانه يُضَيِّعُ رشده ويتصرف بنزق وقد يفعل ما لا تُحمد عقباه ففي هذه الحالة ينبغي أن يملك نفسه ويعود لهدوئه ويغفر لمن أساء إليه وهذه محمدة لا يصل إليها إلا أولو العزم الذين يذكرون قوله تعالى " وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ والله غفور رحيم" وهذا ما فعله سيدنا أبو بكر رضي الله عنه حين سمع هذه الآية - وكان أقسم ان لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة لأنه خاض في الإفك ، فقال بلى يا رب بلى ، وغفر لمسطح . إنها درجة لا ينالها إلا المتقدمون.

ج- وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ " ولا يستجيب لأمر ربه فيلتزمه ويتعد عن المنهي عنه إلا السعداء ، وأقف عند كلمة الاستجابة فأراها سمة المؤمنين الأطهار المتصلين بربهم في كل أحوالهم ، ولا يستجيب إلا الواعي النبيه ذو القلب الزكي والعقل الذكي .

ح- وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ : إن إقامة الصلاة دليل الاهتمام بها ، وما ذكرت الصلاة إلا وسبقها كلمة

الإقامة ، وعد إلى القرآن الكريم لتتأكد من ذلك . إنّ من يؤدي صلاته بخشوع وتدبر فيطمئن بقيامه وركوعه وسجوده ويستقبل الله تعالى في صلاته فقد أقامها اما السرعة في الحركة دون الاطمئنان والتعقل في حركات الصلاة فليست صلاة على ما أعتقد .

خ- "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ" وهل يقوم المجتمع الصالح المتماسك وهل تبني الدولة القوية إلا على أساس قويم من الشورى والعمل المشترك؟ إن البلاء الذي أصاب أمتنا ودفع بها إلى مؤخرة الأمم تجبّر الحاكم وتفرد به باتخاذ القرار ، فكأن الناس عبيد في مزرعته وملك يمينه يفعل بهم وبيلادهم ما يشاء دون وازع من إيمان ولا ضابط من شورى ، وثورات الشعوب على حكامهم ما جاءت من فراغ ، وتاريخنا المعاصر ظلم وفساد وتأخر بسبب غياب الشورى ووأد الحريات وقتل الإبداع .

د- "وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" (٣٨). وإذا سألت عن سبب تقديم : "مما رزقناهم" على "ينفقون" علمت أن الله تعالى يرزقنا ويكرمنا ويعطينا ويتفضل علينا ثم يأمرنا أن ننفق مما رزقنا فالعطاء أولاً يتبعه الاعتراف بالفضل والإقرار به فينتج عنه شكر النعمة بالإنفاق على عباد الله ، وبالشكر تدوم النعم . ولعلك ترى ان الله سبحانه لا يكلفنا شططاً حين يأمرنا أن ننفق القليل من هباته وكرمه سبحانه.

ذ- "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ" (٣٩) ، فالله تعالى يعلمنا أن نكون أحراراً لا نرضى الدنية في ديننا ولا حياتنا ، إن البغي مرتعه وخيم ، ومن عاش في الذل لا يستقيم ولا يستحق الحياة من رضي الهوان . وأفهم هنا أن من سمات المسلم أنه لا يظلم احداً ولا يرضى الظلم من احد . فما كان الجهاد إلا عنوان الحياة الحرة الكريمة .

ر- "وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا" رأيتم ميزان العدل؟ فما ينبغي إذا ما ظلمتُ أن أتجاوز استرداد حقي وإلا انقلبُ ظالماً ، وما ينبغي للمسلم ان يكون ظالماً . وما يثور الحر إلا لظلم مسّه أفيكون كمن ظلمه؟! إن تجاوز الحق ظلم ، هكذا علمنا ديننا.

ز- "فمن عفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ" : وما العفو إلا عند المقدرة ، وإلا كان هواناً ، إنّ العفو عمن ظلمك يأتي حين يرى الظالم أنه بين يديك وتحت رحمتك ، وهذا درس له رائع ، بل إنك حين تربه من القوة ما يُرهبه ثم تغفو عنه تملك قلبه ، فإذا ما أحسنت إليه انقلب صاحباً وصديقاً ، ونلت أجراً من الله عظيماً ، لقد علمنا الله تعالى أن نكسب قلوب العباد فقال : " ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله



وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي احسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يُلقَّها إلا الذين صبروا ، وما يُلقَّها إلا ذو حظ عظيم" ولا ننس أن الله تعالى يكره الظلم والظالمين " إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) "

س- " وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ " (٤١) روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من دعا على من ظلمه فقد انتصر ، إن إحقاق الحق والوصول إليه يشفي قلب المظلوم أولاً ويكسر شوكة الظالم ثانياً ويربي المجتمع ثالثاً فيخاف الظالم أن يظلم . لكن حين يعلم المظلوم أن القاضي أخذ بحقه وأن عقوبة الظالم مستحقة فتنازل عن حقه وعفا عن جريمة المسيء كان من الصابرين، وهذا لا يحوزه سوى النبيل من الناس الذي يكظم غيظه ويعفو عمن ظلمه قادراً عليه كما ذكرنا آنفاً .

ش- ولن يكون المدافع عن حقه الساعي إليه ظالماً ، والظالم الحقيقي من بدأ الظلم واعتدى على حقوق الآخرين وأهانهم، ولم يراع حرمة الأخوة في الله ولا حقوق المجتمع في الأمن والأمان والحياة الحرة الكريمة "إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ" ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) "

ص- إن القرآن الكريم - مع دعوته إلى الحفاظ على الحقوق الإنسانية - يريد من المؤمن أن يرتفع إلى مستوى من الصبر الجميل في تحمل أذى إخوانه لأنه داعية وقدوة ، وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم هذا إذ يقول : " المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم لا يصبر على أذاهم " وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) إنه السمو في الأخلاق والسمو في الإنسانية والسمو في دعوة إلى الله.



في تفسير قوله سبحانه وتعالى " وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً "

عَنْ أَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ " تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ " أَقْبَلْتُ الْعُورَاءَ أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلَوْلَةُ ، وَفِي يَدِهَا فَهْرٌ وَهِيَ تَقُولُ : مُدَمَّمًا عَصَيْنَا وَأَمْرُهُ أَبِينَا وَدِينُهُ قَلْبِنَا — تقصد بذلك الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وحاشاه أن يكون مذمماً بل هو محمد في الدنيا والآخرة - وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ أَقْبَلْتُ ، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَكَ ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي ) وقرأ قوله تعالى من سورة الإسراء " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا " . فَوَقَفْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي ! فَقَالَ : لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكَ . قَالَ : فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ : قَدْ عَلِمْتُ فُرُشَ أَبِي إِبْنَةَ سَيْدِهَا . وَفِي رِوَايَةٍ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا نَزَلَتْ " تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ " جَاءَتْ امْرَأَةٌ أَبِي هَبٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَوْ تَنَحَّيْتُ عَنْهَا لَعَلَّاهُ تُسْمِعُكَ مَا يُؤْذِيكَ ، فَإِنَّهَا امْرَأَةٌ بَذِيَّةٌ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( إِنَّهُ سَيَحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ) فَلَمْ تَرَهُ . فَقَالَتْ لِأَبِي بَكْرٍ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، هَجَانَا صَاحِبُكَ ! فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يَنْطِقُ بِالشَّعْرِ وَلَا يَقُولُهُ . فَقَالَتْ : وَإِنِّي لَمُصَدِّقَةٌ ؛ فَاَنْدَفَعْتُ رَاجِعَةً . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمَا رَأَيْتُكَ ؟ قَالَ : ( لَا مَا زَالَ مَلِكٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا يَسْتُرُنِي حَتَّى ذَهَبَتْ ) . وَقَالَ كَعْبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ : : الْآيَةُ الَّتِي فِي الْكَهْفِ " إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا " ، وَالْآيَةُ فِي النَّحْلِ " أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ " ، وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْجَاثِيَةِ " أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً " . فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَهُنَّ يَسْتَرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قَالَ كَعْبُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : فَحَدَّثْتُ بِهِنَّ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَتَى أَرْضَ الرُّومِ فَأَقَامَ بِهَا

زَمَانًا ، ثُمَّ خَرَجَ هَارِبًا فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ فَقَرَأَ بِهِنَّ فَصَارُوا يَكُونُونَ مَعَهُ عَلَى طَرِيقِهِ وَلَا يُبْصِرُونَهُ . قَالَ الشَّعْلِيُّ :  
وَهَذَا الَّذِي يَرَوْنَهُ عَنْ كَعْبٍ حَدَّثْتُ بِهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ فَأُسِرَ بِالْدَّيْلَمِ - مَكَانٍ فِي فَارَسَ - ، فَمَكَثَ  
زَمَانًا ثُمَّ خَرَجَ هَارِبًا فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِ فَقَرَأَ بِهِنَّ حَتَّى جَعَلَتْ ثِيَابَهُنَّ لَتَلْمِسَ ثِيَابَهُ فَمَا يُبْصِرُونَهُ .

قال القرطبي رحمه الله : وَيُزَادُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ أَوَّلُ سُورَةِ يَسَ إِلَى قَوْلِهِ " فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ " فَقَدْ خَرَجَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِهِ وَالنَّاسُ مَتَحَلِّقُونَ حَوْلَهُ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ لِيَقْتُلُوهُ ، فَيَذْهَبُ دَمُهُ بَيْنَ  
الْقِبَائِلِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ بَنُو هَاشِمٍ إِلَّا أَنْ يَقْبَلُوا الدِّيَةَ فِيهِ . فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ ، وَأَخَذَ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَهُوَ يَنْتَلُو هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ يَسَ  
: " يَسَ . وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ - إِلَى قَوْلِهِ -  
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ " . حَتَّى فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ  
أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ .

ويقول القرطبي عن نفسه حين كان في الأندلس : وَلَقَدْ أَتَيْتُ لِي بِبِلَادِنَا الْأَنْدَلُسِ بِحَصْنٍ مَشْهُورٍ مِنْ  
أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ مِثْلَ هَذَا . وَذَلِكَ أَنِّي هَرَيْتُ أَمَامَ الْعُدُوِّ وَانْحَزْتُ إِلَى نَاحِيَةِ عَنْهُ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِي  
فَارِسَانٍ وَأَنَا فِي فُضَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ قَاعِدٍ لَيْسَ يَسْتُرُنِي عَنْهُمَا شَيْءٌ ، وَأَنَا أَقْرَأُ أَوَّلَ سُورَةِ يَسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْقُرْآنِ ؛ فَعَبَّرَا عَلَيَّ ثُمَّ رَجَعَا مِنْ حَيْثُ جَاءَا وَأَحَدُهُمَا يَقُولُ لِلْآخَرِ : هَذَا (دَيْبُلُهُ) ؛ يَعْنُونَ شَيْطَانًا . وَأَعْمَى  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبْصَارَهُمْ فَلَمْ يَرُونِي ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ .



## هل للجن رسل منهم ؟

قال تعالى في الآية ١٣٠ من سورة الأنعام

" يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ۖ وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ "

استوقفتني كلمة " منكم " وساءلت نفسي : هل من الجن رسل ؟ وما أسماؤهم ؟ ولو لم يكن منهم رسل ما أقروا بذلك ولم يشهدوا على أنفسهم حين قالوا " شهدنا على أنفسنا " .

اطلعت على عدد من كتب التفسير ، فوجدت ابن كثير رحمه الله تعالى يستفيض في كتابه المشهور ( تفسير القرآن العظيم ) في توضيح هذه الآية بما يشبع فهم السائل ، ويروي ظمأه في بسط هذه المسألة .

ونقل عن ابن كثير بعض ما أورد مع التعليق والاستنتاج الذين بدؤا لي يوضحان الفكرة ويجليانها :  
وَهَذَا مِمَّا يَقَرِّعُ اللَّهُ بِهِ كَافِرِي الْجِنَّ وَالْإِنْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ يَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ : هَلْ بَلَّغْتُمُ الرُّسُلَ رِسَالَاتِهِ ؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرٌ " يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ " أَيِّ مِنْ جَهْلَتِكُمْ ، وَالرُّسُلُ مِنَ الْإِنْسِ فَقَطْ ، وَلَيْسَ مِنَ الْجِنَّ رُسُلٌ كَمَا قَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخُلَفِ ،

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : (الرُّسُلُ مِنْ بَنِي آدَمَ ، وَمِنَ الْجِنَّ نُذُرٌ) .

وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ أَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ فِي الْجِنَّ رُسُلًا ، وَاحْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهَا مُحْتَمَلَةٌ وَلَيْسَتْ بِصَرِيحَةٍ وَهِيَ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - كَقَوْلِهِ " مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبَأْيَ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " إِلَى أَنْ قَالَ " يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ " والمقصود بالبحرين ماء الأنهار والبحيرات العذبة وماء البحار والمحيطات المالحة . وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ إِنَّمَا يُسْتَخْرَجَانِ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ لَا مِنَ الْخُلُو ، فَغَلَبَ الْمَاءُ الْمَالِحُ عَلَى الْمَاءِ الْعَذْبِ ، كَمَا تُغَلَّبُ الذَكَرَانِ عَلَى الْإِنَاثِ ، فَتَقُولُ مَخْبَرًا عَنْهُمْ جَمِيعًا بِصِيغَةِ الْمَذْكَرِ : " الرجال والنساء قادمون " وَهَذَا وَاضِحٌ تَمَامُ الْوُضُوحِ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - . وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْجَوَابَ بِعَيْنِهِ ابْنُ جَرِيرٍ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا هُمْ مِنَ الْإِنْسِ قَوْلُهُ تَعَالَى " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ

مِنْ بَعْدِهِ - إِلَى قَوْلِهِ - رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ " وَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ " وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ " فَحَصَرَ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ ، سَيِّمًا أَنْ الْخُطَابَ كَانَ لِلنَّاسِ " لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ .. " فَكَانَ الرُّسُلُ مِنْهُمْ .

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِنَّ النُّبُوَّةَ كَانَتْ فِي الْجَنِّ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ بَيْعَتُهُ . وَقَالَ تَعَالَى " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ " . وَمَنْ الَّذِي يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ غَيْرَ الْبَشَرِ

وَقَالَ مُخَاطَبًا نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى " وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجِنَّ تَبَعَ لِلْإِنْسِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَصَحِيحٌ أَنْ كَلِمَةَ رَجُلٍ تُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرَانِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْجِنِّ " وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا " إِلَّا أَنْ كَلِمَةَ " أَهْلِ الْقُرَى " تَخْصُ الْإِنْسَ لَيْسَ غَيْرَ . وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى إِيخْبَارًا عَنْهُمْ :

" وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قَالُوا : يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ، وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُخْرِجَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ، أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " وَهَذَا لَا يَدُّ أَنْ نَقُولَ :

- صَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْجِنَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ كَمَا أَرْسَلَ لِلْبَشَرِ . وَلَوْ كَانَ لِكُلِّ جِنْسٍ رَسُولٌ لَمَا صَرَفَهُمْ إِلَيْهِ .

- وَأَنَّهُمْ لَمَا سَمِعُوا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ كَانُوا وَاسِطَةَ الدَّعْوَةِ إِلَى بَنِي جِنْسِهِمْ ، ( مُنْذِرِينَ ) .

- وَأَنَّ الْجِنَّ اعْتَادُوا ذَلِكَ حِينَ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَعَلَى هَذَا فَقَدْ سَمِعُوا مِنْ مُوسَى ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ أَنْبِيَاءٌ مِنْهُمْ لَمَا سَمِعُوا مِنْ مُوسَى وَآمَنُوا بِهِ .

- وَقَوْلُ الْجِنِّ الَّذِينَ سَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ .. " أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ هِيَ الَّتِي تَتَكَرَّرُ فِي إِنْذَارِ الْجِنِّ ، وَأَنَّهُمْ يُصْرِفُونَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ فَيَسْمَعُونَ مِنْهُمْ

ويؤمنون بهم ، وينطلقون منذرين .

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ ، وَفِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى " سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " . فَكَانَ تَكْلِيفُهُمْ مِنْ قَبْلِ رِسَالَةِ الْبَشَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا أَنْبِيَاءَ مِنَ الْجِنِّ بَلْ هُمْ مِنَ الْبَشَرِ حَصْرًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



---

## وأعدّوا

---

- قال تعالى: ((وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدوّ الله وعدوكم وآخرين من دونهم .. لا تعلمونهم ، الله يعلمهم )) .
- ١ . لا بد من إعداد القوة لهؤلاء الذين يستبيحون بيضة الإسلام.
  - ٢ . الإعداد يرهب العدو ويُخزيه .. فيسعى لمنعه.
  - ٣ . المنافقون - وهم كفار ضمناً بنص القرآن - لُعب بيد الأعداء يحركونهم كما تحرك الدمى.
  - ٤ . عدونا هو عدوّ الله سواء بسواء
  - ٥ . يجب الإعداد قدر ما نستطيع ، ولو كان قليلاً ، لنكون أهلاً لنصر الله.
  - ٦ . لا يُرهب العدو ويهدم أحلامه إلا القوة المسلمة.
  - ٧ . في حالة ضعفنا لا يجد الأعداء حرجاً من إظهار حقيقتهم ، وفي حال قوتنا ينزفون وراء كثير من الاستار ، وهم أعداء في كل حال.
  - ٨ . صيغة الجمع في ( وأعدّوا ) لا ترضى بأعداء المتخوفين الجبناء الذين يدلّسون ويُرجفون.
  - ٩ . لا يجعل العدو ذليلاً سوى الجهاد ، ولا يكون السلام إلا بعد القوة . أما سلام الضعفاء فهو الذلُّ عينه.
  - ١٠ . أعداؤنا هم الكفار ( ملة الكفر واحدة ) والمنافقون، والمثبطون الذين يعملون لحرف الثورة وإضعافها.



## وحيل بينهم وبين ما يشتهون

وقفت اليوم وأنا أقرأ آخر آية من سورة سبأ ( وحيل بينهم وبين ما يشتهون ) - أريد بعض معاني هذه الآية الكريمة- على تفسيرها في ( الجامع لأحكام القرآن ) للقرطبي، ف وقعت على قصة إسرائيلية أوردها صاحبُ التفسير، وذكرَ قبل عرض القصة الإسرائيلية أقوال بعض التابعين والعلماء في تفسيرها .

- قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما يعني ( الإيمان ) .
- وقال السدي " وحيل بينهم وبين ما يشتهون " وهي التوبة وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله.
- وقال مجاهد " وحيل بينهم وبين ما يشتهون " من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل .
- وروي نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع بن أنس " رضي الله عنهم وهو قول البخاري وجماعة .

والصحيح أنه لا منافاة بين القولين الثاني والثالث، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة فمنعوا منه .

أما القصة الإسرائيلية فعلى الرغم من غرابتها نجد الحكمة والتدبر وكثيراً من العظات ، ولا بأس أن نتمتع فيها ، فلعلنا نجد بعض ما يترك في النفس من أثر حميد:

فقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا أثراً غريباً عجيباً جداً فلنذكره بطوله إذ قال :

حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر بن حجر الشامي حدثنا علي بن منصور الأنباري عن الرقي بن قطامي عن سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل " وحيل بينهم وبين ما يشتهون " إلى آخر الآية قال :

"كان رجل من بني إسرائيل فاتحاً أتاح الله تعالى له مالا فمات ، فورثه ابن له تافه أي فاسد فكان يعمل في مال الله تعالى بمعاصي الله تعالى عز وجل فلما رأى ذلك أخوات أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل ، فأتى عينا بحاجة فسرّح فيها ماله وابتنى قصراً ، فبينما هو ذات يوم جالس إذ شملت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجاً أي ريحا فقالت من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا امرؤ من بني إسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال ؟ فقال نعم . قالت فهل لك من



زوجة؟ قال لا . قالت فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك ؟ قال قد كان ذاك . قال فهل لك من بعل ؟ قالت لا قال فهل لك إلى أن أتزوجك ؟ قالت إني امرأة منك على مسيرة ميل فإذا كان غدٌ فتزود زاد يوم وائتني ، وإن رأيت في طريقك هولا فلا يهولنك .

فلما كان من الغد تزود زاد يوم وانطلق فانتهى إلى قصر فقرع رتاجه فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا (أي رجحا) فقال من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا الإسرائيلي قال فما حاجتك ؟ قال دعني صاحبة هذا القصر إلى نفسها . قال صدقت . قال فهل رأيت في الطريق هولا ؟ قال نعم ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس علي لهالي الذي رأيت . قال ما رأيت ؟

١- قال : أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بكلبة فاتحة فاهها ففرعت فوثبت فإذا أنا من ورائها وإذا جراؤها ينبحن في بطنها فقال له الشاب لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان يقاعد الغلام المشيخة في مجلسهم ، ويسرهم حديثه .

٢- قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بمئة عنز حفّل وإذا فيها جديّ يمصها فإذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتمس الزيادة . فقال لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتمس الزيادة

٣- قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بشجر فأعجبني غصن من شجرة منها ناضرة فأردت قطعة فنادتني شجرة أخرى يا عبد الله مني فخذ ، حتى ناداني الشجر أجمع : يا عبد الله مني فخذ ، فقال لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان ، يقلّ الرجال ويكثر النساء حتى إن الرجل ليخطب المرأة ، فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهن .

٤- قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل فإذا أنا برجل قائم على عين يغرف لكل إنسان من الماء فإذا تصدعوا عنه صبّ في جرتهم فلم تعلق جرتهم من الماء بشيء قال لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان ، القاصّ يعلم الناس العلم ، ثم يخالفهم إلى معاصي الله تعالى .

٥- قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بعنز وإذا يقوم قد أخذوا بقوائمها وإذا رجل قد أخذ بقرنيها وإذا رجل قد أخذ بذنبها وإذا راكب قد ركبها وإذا رجل يحتلبها فقال أما العنز فهي الدنيا والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها ، وأما الذي قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقا وأما

الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه وأما الذي ركبها فقد تركها وأما الذي يحلبها فبِخٍ بخٍ ، ذهب ذلك بها .  
٦- قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل يمتح على قلب كلما أخرج دلوه صبه في الحوض فانساب الماء راجعا إلى القلب . قال هذا رجل رَدَّ الله عليه صالح عمله فلم يقبله .

٧- قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل يبذر بذرا فيستحصد فإذا حنطة طيبة . قال هذا رجل قبل الله صالح عمله ، وأزكاه له .

٨- قال: ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل مستقل على قفاه ، قال: يا عبد الله ادن مني فخذ بيدي وأقعدني فوالله ما قعدت منذ خلقتني الله تعالى فأخذت بيده ، فقام يسعى حتى ما أراه فقال له الفتى هذا عمُّ الأبعد نفد ، وأنا ملك الموت ، وأنا المرأة التي أتتك ، أمرني الله تعالى بقبض روح الأبعد في هذا المكان ثم أصيره إلى نار جهنم .

قال ففيه نزلت هذه الآية " وحيل بينهم وبين ما يشتهون " الآية ... هذا أثر غريب وفي صحته نظر وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور المفتون ، ذهب يطلب مراده ، فجاءه ملك الموت فجأة بغتة ، وحيل بينه وبين ما يشتهي .

وقوله تعالى : " كما فعل بأشياعهم من قبل " أي كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم " فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون " .

وقوله تبارك وتعالى " إنهم كانوا في شك مريب " أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب .

قال قتادة : إياكم والشك والريبة ، فإن من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه .



## ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون

قال مستغرباً : قرأت قوله تعالى في سورة الرحمن " فوريك لنسألتهم أجمعين عما كانوا يعملون " ثم قرأت قوله تعالى في سورة القصص " ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ، فكيف نوازن بين هاتين الآيتين ؟ قلت : ليس في الآيتين تعارض ، فالإنس والجن موقوفون أمام الله ومسؤولون " وقفوهم ؛ إنهم مسؤولون " ولكن ألم تقرأ قوله صلى الله عليه وسلم يمدح بعض المخلصين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب إذ قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما : " عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقل لي، انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" .. فلما دخل صلى الله عليه وسلم بيته لحاجة ، ثم خرج على أصحابه ، فرآهم يخوضون في هؤلاء ويبحثون عن السبب الذي يجعلهم بعيدين عن المساءلة قال: "ما الذي تخوضون فيه؟" فأخبروه فقال: "هم الذين لا يرقون ، ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون" رواه الشيخان .

فهؤلاء مستثنون من الحساب لأن الله تعالى أحب أن يكرمهم لإخلاصهم وعظيم إيمانهم . فالحساب هو القاعدة ، وهؤلاء مستثنون من القاعدة . وفي المقابل يُستثنى المجرمون في دخولهم النار فلا يُحاسَبون لكثرة جرائمهم وشدة ظهورها . وقال بعض المفسرين : ألم تقرأوا قوله تعالى " يُعرف المجرمون بسيماهم ، فيؤخذ بالنواصي والأقدام " ؟ هؤلاء المجرمون يحشرون سود الوجوه ، زرق العيون " .. ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقاً .. " فيُخذون من رؤوسهم وأرجلهم ، ويُلقَوْنَ في النار بلا حساب . إن ألسنة النار تأخذهم من بين الخلائق فتلقي بهم في جوفها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حبَّ السمسم " وقد قال الضحاك : يُجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره حتى يندق ظهره ، ثم يُلقى في النار ليكون أشد لعذابه . وقيل : إن الملائكة تسحبهم إلى النار ، تارة تأخذهم بنواصيهم ، وتجرحهم على وجوههم ، وتارة تأخذهم بأقدامهم وتسحبهم على رؤوسهم .

وقيل في شرح الآية " ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون " : لا يُسألون سؤال استعتاب ، كما قال

سبحانه " ولا هم يُستعتبون " ، " فما هم من المعتبين " وإنما يُسألون سؤال توبيخ وتقريع ، ويُفضحون على رؤوس الخلائق .

نسأل الله العافية وحسن الختام .



## إنهم في كل مكان ( فلنحذرهم )

كنت أتحدث صباحاً بعد صلاة المسجد عن المنافقين الذين يتصدرون المجالس ويخطبون ودّ الناس بمعسول الكلام ويتسمون بوجوههم . وقلوبهم - كما ذكر الحبيب المصطفى - قلوبُ الذئاب . وقد تراهم يصلون في الصفوف الأولى ليرسموا لأشخاصهم في نفوس الناس صورة غير التي هم عليها يدرؤون بها حقيقتهم ويوهمون المجتمع صلاحهم الظاهر الذي يخبئون وراءه كفراً وضلالاً.

يسال أحد المصلين متعجباً أو مستنكراً : وهل يمكن أن ترى منا من ينطبق عليه ما تقول: وهل يدخل المنافق المسجد ويصلي بيننا؟

علمتُ ما يقصده الشيخ طيب القلب ، فقلت له : نسأل الله تعالى أن يعافينا أن نكون منهم ، ولكنّ أما قرأت قوله تعالى " إذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد إنك لرسول الله "؟ فقد كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلون وراءه ويظهرون التقوى والإيمان ويعلنون تصديقهم للرسالة النبوية وانضواءهم تحت لوائها. وتقرأ قوله تعالى يدمغهم بالكذب " والله يشهد إن المنافقين لكاذبون " ومن أعظم شهادة وأصدق قولاً من رب العزة سبحانه وتعالى. لقد قالوها بألسنتهم وجحدوها بقلوبهم . وكان المنافقون يملأون المدينة ويفسدون فيها ما استطاعوا حتى نزلت فيهم كثير من الآيات توضح خطرهم في سورة " التوبة " وغيرها ونزلت فيهم سورة كاملة " المنافقون "

كانوا في المدينة يتآمرون ، ومسجد الضرار شاهد على ذلك . وعهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدُ الصلاح الأول، حوّلَه خيرُ المسلمين من صحابته رضوان الله تعالى عنهم الذين نشروا الرسالة في العالم كله. أفلا يكونون موجودين في هذا الزمن الكئيب الذي يجاهر فيه الفاسد بفساده ؟

وتأمل الآية الأولى في سورة " المنافقون " وهي تبدأ بـ "إذا " الشرطية المستقبلية التي تدل على أنهم يفعلون ذلك في كل زمان، ومكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع غيره إلى أن تقوم الساعة ويكررون غشيان مجالس المسلمين ومساجدهم لينفذوا إلى أهدافهم ويُعمّوا على وسائلهم في حرب الإسلام وأهله ، وهؤلاء كما نعلم أشد خطورة من الأعداء الظاهرين ، إنهم يلبسون لباس الإسلام ويتحدثون بلسان المسلمين . ويخلفون الأيمان ليُدلّسوا على السامعين " اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ " .

قال تعالى في تحملهم للناس وطريقة حديثهم " وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ " ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم منهم ومن ذلاقة ألسنتهم التي يكسبون بها قلوب البسطاء،: [أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان]. وهذا ينطبق بشكل واضح على علماء النظام السوري الذين يتصدرون تحت لوائه وينافحون عنه ويحلبون في إنائه ، باعوا دينهم في سبيل عَرَض زائل وأذلوا أنفسهم للنظام السافل الذي يستخدمهم كما يريد ثم يرميهم كما تُرمى الأحذية الخلقة حينما ينتهي دورهم وتنتفي الفائدة منهم. فيخسرون الدنيا قبل خسارتهم الآخرة وينطبق عليهم قول الحكيم ( هؤلاء باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم). فما أشد خسارتهم وأسوأ حظهم.



## بين الخليل والضليل

الحوار بين المتناقضين فكراً وهدفاً أمرٌ عادي تراه في حديث الدعاة وأصحاب المبادئ وفُرقاء السياسة وأرباب العلم والأدب . وفي القرآن أمثلة واضحة تدل على وجوب الحوار الهادف للوصول إلى الحق أو لدحض الطرف الآخر . منها ما كان بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وملك زمانه الذي أمر بطرحه في النار، فلما أنقذه الله منها كان بينهما لقاء قرأناه في سورة البقرة ، أول الجزء الثالث من القرآن الكريم :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)).

ولعلك ترى في قوله تعالى ( أَلَمْ تَرَ ) دعوة إلى التفكير والتدبر في أمور عدّة ، منها :

- ١- أن على المرء أن يتفكر ويتدبر فيما يجري حوله ليصل إلى الهدف المنشود.
  - ٢- وأن على العاقل أن يمحّص الأمور ويقلبها معتمداً على فهم الواقع والعظمت والعبر.
  - ٣- وأن يكون الهدف من الحوار حضوراً أو اشتراكاً فيه الوقوف على الحق والتزامه.
- قد يغتر الإنسان بنفسه حين يغتني ( إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ) ألم يقل الرجل الغني المكابر للمؤمن الأقل منه مالاً وولداً متفاخراً ( أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً ) يظن أنه بكثرة ماله وولده أكرم منه وأقرب عند الله. أو أعظم مكانة من غيره ، والحقيقة أن الغنى والفقر امتحان واختبار ، وقد قال الله تعالى في هذا المعنى ( فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمنّ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول : ربي اهأنّ ) ويأتي الجواب ( كلا .. ) وهذا الملك الذي يحاوره إبراهيم الخليل عليه السلام يدلّ عليه أنه ملك عظيم ... وينكر على إبراهيم عبادة الله ( حاجّ إبراهيم في ربه ) ومن كان ملكاً استعبد الناس واستعلى عليهم، وفرض عليهم نفسه إلهاً

والملاحظ أن المستكبر لا يملك -على الأغلب - آلية الحوار والمبادرة فيه سوى الامر الواجب على الآخرين أن ينفذوه دون تباطؤ. لقد بدأ إبراهيم عليه السلام بالحوار قائلاً : إن الإله يحيي ويميت ، وما ذكر هاتين الصفتين إلا لأنهما من أوليات الألوهية الحقّة فما كان من الملك السفیه إلا ان ردّ ( أنا حيي وأميت )

دون أن يفهم مرام الكلمة ، فمن صفات المحيي والمميت أنه أبدي سرمدي ، وأنى لمخلوق مهما علت مرتبته واشتدت قدرته أن يحَيِّ إلى الأبد ، ونسي هذا المدّعي أن له بداية ، ومن كانت له بداية لا بد أن تكون له نهاية ، فهو ميّت وعاجز مقهور [ والميّت بتشديد الياء :الحَي الذي سوف يموت ، وقد خاطب الله تعالى نبيه الكريم : إنك ميّت وإنهم ميّتون؟ ] ، وظن الملك المستكبر الجاهل أن العفو عمّن استحق عقوبة الموت إحياءً وأن قتل الغافل عن الظلم إماتة ، فجاء باثنين قتل أحدهما وأبقى على الثاني، وهذه غاية الحماقّة في المتكبرين

لا بد -إذاً - من تعجيز واضح ينهي الجولة بما لا يحتمل التأويل . فأخبره أن الله يأتي بالشمس من المشرق ، فليأت بها من المغرب . وهذا الكلام جاء صاعقة على الملك المغرور ، فما كان يتوقع هذه الضربة القاصمة التي تشل تفكيره وتسكت غروره ، فانتهى الحوار سريعاً حين أخرس مُدّعي الألوهية وظهرت حجته واهية أو قلّ : تعرّى أمام ملئه حين أفحم وأبلس. لقد كانت الشمس تسير في دائرتها المخططة لها قبل أن يولد الملك والبشرية كلها وفق نظام محكم لا تحيد عنه إلى أن تقوم الساعة.

ومن اساليب الحوار المفحم ان تبادر من تحاوره بما لا يتوقعه ، فيُسقط في يده ويظهر ضعفه سريعاً فتنتهي جولة الحوار قبل أن تبدأ ، واستعمل القرآن كلمة ( بُهِتَ ) التي تصور صمته المفاجئ وفمه المفتوح ، وحركته المتوقفة ، وانفراج عينيه وميلان رأسه للأمام . ثم تصوّر - أخي - الصمت الذي ران على الحضور والعيون المراوحة بين إبراهيم عليه السلام والملك المفجوع بالجواب المخرس.

وتأتي القفلة الرائعة توضح سبب خسارة الملك الضليل ( والله لا يهدي القوم الظالمين ) .

وهل أظلم ممن ادّعى ما ليس له.؟

وهل أظلم ممن كذب على الناس؟

وهل اظلم ممن استعبدهم وأبعدهم عن الهدى؟

وهل أظلم ممن يحاول وأد النور وإشاعة الكفر والضلال.؟

إنهم لا يتعلمون ممن سبق ويستمرون على غيهم وفسادهم ، ويقعون في الخطأ نفسه الذي وقع فيه

أمثالهم من الظلمة المجرمين ، وقد صدق فيهم قوله تعالى ( ونذرُهم في طغيانهم يعمهون).





---

## صفات المكذبين في سورة ( ن ) نون

---

هل لنا أن نطيع الكذاب والله تعالى ينبه حبيبه وخليله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقع في حبالهم، فقال : " فلا تطع المكذبين " فلا خير فيهم. وهم يُغيّرون مواقفهم في كل آن ويلبسون لكل موقف لباسه ، ونلاحظ بوضوح نوعاً من النصيح المبطن بالتهديد في قوله تعالى " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً" . والمهدّد بكسر الدال هو المولى سبحانه ، والمهدّد بفتحها هو حبيبه صلى الله عليه وسلم .

فما الصفة الفاقعة الأولى للمكذّبين التي ينبغي معرفتها والبعد عنها؟ يذكر القرطبي رحمه الله

في تفسيره معاني كثيرة للصفة الأولى للمكذّبين " ودوا لو تدهن فيدهنون " : إنها المداهنة

- ١- ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم.
- ٢- ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك.
- ٣- لو تلين فيلينون لك . والإدهان : التلين لمن لا ينبغي له التلين ؛ قاله الفراء .
- ٤- ودوا لو ركنت إليهم وتركت الحق فيمالتونك.
- ٥- ودوا لو تكذب فيكذبون .
- ٦- ودوا لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك .
- ٧- ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم .
- ٨- ودوا لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم .
- ٩- لو تنافق وترائي فينافقون ويراءون .
- ١٠- ودوا لو تضعف فيضعفون ؛
- ١١- ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم ؛
- ١٢- طلبوا منه أن يعبد آلهتهم مدة ويعبدوا إلهه مدة.

فهذه اثنا عشر قولاً كلها إن شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى ؛ فإن الإدهان : اللين

والمصانعة . ومجاملة العدو، وممايلته .

والمقاربة في الكلام والتلين في القول والمداهنة - في أغلب الأحيان - نوع من النفاق وترك المناصحة . فهي على هذا الوجه مدمومة . ويقال أدهن في دينه وداهن في أمره ؛ أي خان فيه وأظهر خلاف ما يضر . وقيل : داهنت بمعنى وارىت ، وأدهنت بمعنى غششت .

" فيدهنون " لم تجزم لسوقها على العطف ، ولو جاء بها جواب النهي لقال فيدهنوا . وإنما أراد : إن تمنا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك ؛ عطفا لا جزاء عليه ولا مكافأة ، وإنما هو تمثيل وتنظير .

وأما الصفة الثانية للمكذّبين فكثرة الحلف . ووصف من يتخذ الحلفان دأبه بالمهانة " ولا تطع كل حلاف مهين " وصيغة المبالغة (حلاف) تكسبه المهانة عند الله تعالى وعدم تصديق السامعين له ، فمن امتنهم اسم الله كان عند الله مهيناً ( مُحْتَقراً ) ووضيعاً لانه لم يُراعِ عظمة الله سبحانه لضعف إيمانه وقلة يقينه وكان الكذب متأصلاً فيه . ومن أكثر من الحلفان كذّبه الناس ولم يصدّقوه ، فكأنه يقول لهم - على عكس ما يريد - لا تصدقوني أيها الناس .

وأما الصفة الثالثة للمكذّبين فالتحريش بين الناس والمشي بينهم بالنميمة ونقل الحديث لفساد ذات البين وقال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يدخل الجنة قتات " وهو النمام ، وروثاً أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ألا أخبركم بخياركم ؟ " قالوا بلى يا رسول الله قال " الذين إذا رُؤوا ذكر الله عز وجل " ثم قال " ألا أخبركم بشاركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة والباغون للبراء العنت " إن النمام والمغتتاب لا ذمام له ولا خير فيه ، مدموم محتقر لإساءاته بزرع الفتنة بين الناس .

وأما الصفة الرابعة للمكذّبين فالمناع للخير المعتدي الأثيم يمنع الخير عن الناس ويحتكره لنفسه ويعتدي على حرّمات الله سبحانه ويسرف في ارتكاب الموبقات ، ويتجاوز حدود الحلال إلى الحرام غير آبه به . يميل إلى الباطل . ويحارب الحق وأهله ويعذب المؤمنين ويصرفهم عن الحق .

#### وأما الصفة الخامسة للمكذّبين ( فالْعُتْلُ الزنيم )

أما العُتْلُ فهو اللفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع . روى الإمام أحمد عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر " .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم فقال " هو الشديد الخلق المصحح الأكل

الشروب الواحد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف " وعن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا هضما فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم "

وأما الزنيم في لغة العرب فهو الدعي ، قال الشاعر:

زنيم ليس يُعرف من أبوه === بغّي الأمّ ذو حسب لئيم

وقيل: الدعي الفاحش اللئيم الملحق النسب الملقب بالقوم ليس منهم ، وعن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالشر.

اما الصفة السادسة فالناكر لفضل الله المستكبر عن التزام الحق ، إذا عُرض عليه الإيمان بالله وحده أباه وجحده ووصفه بالخرافات والأباطيل : " إذا تتلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين ". ألم يقل الله تعالى " وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور " مختال مخادع. والمستكبر على شرع الله المخالف لأمره يتبع هواه فيرديه " ومن أضل ممن اتبع هواه بغير علم؟ "

ومن كان بهذه الصفات استحق اللعنة الأبدية وكان من أهل النار والعياذ بالله .. نسأل الله العفو والعافية والأمن والإيمان وحسن الختام.



---

## ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك

---

" ألاّ تسجد " منصوب بنزع الخافض ، وكأنك تقول : ما منعك من أن تسجد . و " لا " زائدة .  
وفي سورة ص " ما منعك أن تسجد " .

وقيل : ليست بزائدة ؛ فإن المنع فيه طرف من القول والدعاء ، فكأنه قال : من دعاك إلى ألا تسجد ؟ كما تقول : قد أمرتك ألا تفعل كذا . وقيل : في الكلام حذف ، والتقدير : ما منعك من الطاعة وأحوجك إلى ألا تسجد .

قال العلماء : الذي أحوج إبليس إلى ترك السجود هو الكبر والحسد ؛ وكان أضمر ذلك في نفسه إذا أمر بذلك . وكان الله تعالى قد وصى أهل السماء بالسجود لآدم قبل خلقه ، يقول الله تعالى : " إني خالق بشر من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " [ ص : ٧١ - ٧٢ ] . وقوله إني خالق بشر غير قوله : إني خالق بشر . فمعنى الجملة الاولى انه سيخلق بشراً ومعنى الجملة الثانية أنه خلق وأتم الخلق ، فافهم هذا وتدبر .

فكأن إبليس دخله أمر عظيم من قوله " فقعوا له ساجدين " . فإن في الوقوع توضيح الواقع وتشريفاً لمن وقع له ؛ فأضمر في نفسه ألا يسجد إذا أمره الله بالسجود في ذلك الوقت . فأراد الله تعالى كشف خبيثته ليفضحه بين الملائكة ، فلما نفخ فيه الروح وقعت الملائكة سُجّداً ، وبقي هو قائماً بين أظهرهم ؛ فأظهر بقيامه وترك السجود ما في ضميره . فقال الله تعالى : " ما منعك ألا تسجد " أي ما منعك من الانقياد لأمرى ؛ فأخرج سر ضميره فقال : " أنا خير منه . "

إذ أمرتك

. ولا ننس أن ( إذ ) ظرفية بمعنى حين . فقد أمره الله تعالى مرتين بالسجود : مرة حين أخبره وأخبر الملائكة بضرورة السجود لآدم حين يخلقه ، ومرة حين خلقه وأمر الجميع بالسجود له . فأبى إبليس في ضميره أولاً وأبى في الثانية عملاً .

قال أنا خير منه

وكان رد إبليس - كما يقول القرطبي رحمه الله - : منعي من السجود فضلي عليه ؛ فهذا من إبليس

جواب على المعنى . كما تقول : لمن هذه الدار ؟ فيقول المخاطب : مالکها زيد . فليس هذا عين الجواب ، بل هو كلام يرجع إلى معنى الجواب .

خلقتني من نار وخلقته من طين

فرأى أن النار أشرف من الطين ؛ لعلوها وصعودها وخفتها ، ولأنها جوهر مضيء .

قال ابن عباس والحسن وابن سيرين : أول من قاس إبليس ، فأخطأ القياس . فمن قاس الدين برأيه قُرّن مع إبليس .

قال ابن سيرين : وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس .

وقالت الحكماء : أخطأ عدو الله من حيث فضل النار على الطين ، وإن كانا في درجة واحدة من حيث هما مخلوقان فإن الطين أفضل من النار من وجوه خمسة :

أحدها : أن من جوهر الطين الرزانة والسكون ، والوقار والأناة ، والحلم ، والحياء ، والصبر . وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع ، فأورثه المغفرة والاجتناء والهداية . ومن جوهر النار الخفة ، والطيش ، والحدة ، والارتفاع ، والاضطراب . وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار ؛ فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء؛ قاله القفال .

الثاني : أن الخبر ناطق بأن تراب الجنة مسك أذفر ، ولم ينطق الخبر بأن في الجنة نارا وأن في النار ترابا.

الثالث : أن النار سبب العذاب ، وهي عذاب الله لأعدائه ؛ وليس التراب سببا للعذاب .

الرابع : أن الطين مُستغنٍ عن النار ، والنار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب .

الخامس ، وهو أن التراب مسجد وطهور ؛ كما جاء في صحيح الحديث . والنار تخويف وعذاب ؛

كما قال تعالى : " ذلك يخوف الله به عباده " [ الزمر : ١٦ ] . وقال ابن عباس : كانت الطاعة أولى بإبليس من القياس فعصى ربه ، وهو أول من قاس برأيه . والقياس في مخالفة النص مردود .





## الفهرس العام

|     |   |
|-----|---|
| ٣   | المقدمة .....                                       |
| ٥   | ❖ مع سورة الفاتحة (١) .....                         |
| ١٩  | ❖ في محراب موسى عليه السلام ( ١ ) .....             |
| ٢٤  | ❖ ( ... فَعَفَّرَ لَهُ ... ) .....                  |
| ٢٧  | ❖ ( ربِّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي ) .....          |
| ٣١  | ❖ إيت القوم الظالمين .....                          |
| ٣٤  | ❖ إسرائيليات في قصة موسى عليه السلام .....          |
| ٤٣  | ❖ مع سليمان عليه السلام في سورة النمل ( ١ ) .....   |
| ٥٠  | ❖ مع سليمان عليه السلام في سورة النمل ( ٢ ) .....   |
| ٥٧  | ❖ آداب في قصة ( نوح عليه السلام ) في سورة هود ..... |
| ٦٢  | ❖ مع نوح عليه السلام في سفينته .....                |
| ٦٧  | ❖ لا تقصص رؤياك على إخوتك .....                     |
| ٧٠  | ❖ مع إخوة يوسف عليه السلام .....                    |
| ٧٤  | ❖ قضي الأمر الذي فيه تستفتيان .....                 |
| ٧٧  | ❖ ( اذكرني عند ربك ) .....                          |
| ٨٠  | ❖ " إيتوني به أستخلصه لنفسي " .....                 |
| ٨٢  | ❖ جماليات في سورة يوسف .....                        |
| ٨٦  | ❖ تجد المرء قوياً حين يكون صادقاً .....             |
| ٨٨  | ❖ مكر النساء .....                                  |
| ٨٩  | ❖ درس بليغ من لقمان الحكيم (١) .....                |
| ٩١  | ❖ درس بليغ من لقمان الحكيم ( ٢ ) .....              |
| ٩٦  | ❖ محمد رسول الله .....                              |
| ١٠١ | ❖ نظرات بيانية في بعض من آيات سورة الإسراء .....    |
| ١٠٤ | ❖ نظرة في سورة الهُمزة .....                        |
| ١٠٧ | ❖ في رحاب آية: كل نفس ذائقة الموت .....             |
| ١١٠ | ❖ وآتاكم من كل ما سألتموه ( ١ ) .....               |
| ١١٤ | ❖ وآتاكم من كل ما سألتموه ( ٢ ) .....               |

|     |   |
|-----|---|
| ١١٦ | ..... أحسن الحديث ❖                                     |
| ١١٩ | ..... السخرية في سورة ( المنافقون ) ❖                   |
| ١٢٢ | ..... المعجبون بأنفسهم ❖                                |
| ١٢٤ | ..... { الحسنى والزيادة } ❖                             |
| ١٢٦ | ..... المسارعون إلى الله تعالى ❖                        |
| ١٣١ | ..... (المقتسمون الذين جعلوا القرآن عِضِينَ) ❖          |
| ١٣٤ | ..... إنه يُجيب المضطرَّ إذا دعاه ❖                     |
| ١٣٨ | ..... إنها لظى ❖  |
| ١٤٠ | ..... أنواع القلوب ❖                                    |
| ١٤٢ | ..... ثواب الآخرة للمؤمنين وأهم صفاتهم في سورة الشورى ❖ |
| ١٥١ | ..... ( وإذا ما غضبوا هم يغفرون ) ❖                     |
| ١٥٩ | ..... ديننا الرائع ❖                                    |
| ١٦٤ | ..... محمد رسول الله .....وميثاق النبيين ❖              |
| ١٦٨ | ..... سبحانه يا غفار ❖                                  |
| ١٧٠ | ..... سياحة إسلامية ..... ❖                             |
| ١٧٢ | ..... لمن كان له قلب ..... ❖                            |
| ١٧٨ | ..... من ألطاف الله بحبيبه المصطفى ..... ❖              |
| ١٨٠ | ..... هل للجن رسل منهم ؟ ..... ❖                        |
| ١٨٣ | ..... وأعدّوا ..... ❖                                   |
| ١٨٤ | ..... وحيل بينهم وبين ما يشتهون ..... ❖                 |
| ١٨٧ | ..... ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون ..... ❖              |
| ١٨٩ | ..... إنهم في كل مكان ( فلنحذّره ) ..... ❖              |
| ١٩١ | ..... بين الخليل والضلّيل ..... ❖                       |
| ١٩٣ | ..... صفات المكذّبين في سورة ( ن ) نون ..... ❖          |
| ١٩٦ | ..... ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ..... ❖                 |
| ١٩٩ | ..... الفهرس العام ..... ❖                              |

